هادي العلوي

الأعمال الكاملة (٦)

فصول عن المرأة



فصول عن المرأة

الأعمال الكاملة

هادي العلوي

اسـم المـؤلـف : هادي العلوي
عنوان الكتـاب : فصول عن المرأة
النـاشـــــر : المدى
الطبـعـة الاولى : سنة ١٩٩٦
الطبـعـة الثـانيـة : سنة ٢٠٠٣

Author :Hadi Al Alawy
Title :chapters on woman
Al- Mada P.C.
First Edition :year 1996
Second Edition :year 2003

دار المدى للثقافة والنشر

سورية – دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ –تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ –٢٣٢٢٢٧٦–فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box. : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت–الحمراء–شارع ليون –بناية منصور–الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦–٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

هادي العلوي

الأعمال الكاملة (٦)

فصول عن المرأة



الإهداء

إلى هَدْية بنت الحاج عباس البغدادية

في كل حركة انتصار للفقيرات يكون صوتك هو الأصل
فمنك عرفت كيف تواجه المرأة الجوع بالكرامة
وكيف يزيدها الفقر قوة على الحياة
إليك يا أم الرزايا

أهدي هذا الحديث المنتصر للمرأة أماً وأختاً وزوجة وسيدة في مجتمع حر متساوٍ خارج عبودية القانون وظلم الاقتصاد وانحلال الغرب .

هادي

مفتتح

تتناول هذه الفصول وضع المرأة في الجاهلية والإسلام من خلال موضوعتي الحريات والحقوق وتفاوتها ما بين العصرين ومقدار ما حصلت عليه النساء من مكاسب وما فقدته من حريات في الإسلام بالنسبة إلى الجاهلية. ويستعرض الكتاب مواقف الفقهاء والمفكرين من قضايا المرأة وتطور الأحكام المتعلقة بها في الشرع ما بين صدر الإسلام المحكوم بالتأثير الجاهلي المباشر والعصر العباسي حيث اكتمل المجتمع الإسلامي في نظامه الأبوي الذكوري المعقد. واتجه الكتاب إلى الدراسة المقارنة في بعض مفاصله لكي يُظهر المسرى الطبيعي والمتورخ لقوانين المرأة في الإسلام والأفكار المتعلقة بها. وتنتهي فصول الكتاب من ثم إلى المشروع الناجز لتحرر المرأة في الصين الشيوعية كمحطة بارزة في تاريخ النضال النسوي تقف خارج الذكورية الحاكمة في الحضارات القديمة والإباحية الجنسانية لحضارة الغربيين الحديثة.

ألحق بالفصول قاموس للمرأة والعائلة وما يتعلق بهما مستل من مخطوطات "المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

وليس لهذا الكتاب علاقة بالمؤتمر الأمريكي للمرأة المنعقد في

بيجينغ مع تحرير هذه الفصول، وإنما جاء التوقيت على جهة الصدفة.

هادي العلوي

دمشق / أوائل تشرين الأول ١٩٩٥م

أوائل جمادى الأولى ١٤١٦هـ

فوائد لغوية:

مرأة مؤنث مرء. ومرء في السامية القديمة: مرا ومؤنثه مراة ويعني السيد المولى. وورد في نص آرامي: "مراي ملك آشور" أي مولاي ملك آشور. وهو في السريانية مار ويلقب به شيوخ الدين: مار فلان بن فلان.... وتطور معناه ولفظه في العربية إلى مرء ومرأة ويعني الرجل وأنثاه. وليس له جمع من جنسه. ومرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرأة نقرأ امرأة ومرة ومراة، والأخيرة على اللفظ السامي القديم. والمرة والمراة هما الدارجان في لغة الكلام المعاصرة والأولى أشيع وتستعمل الثانية في النسبة غالباً. يقول المصريون مراتي وكذا يقولها عرب بخارى المعاصرون. ويقول غيرهم مَرْتي. والمرة وردت في الشعر كقول أبي طاهر القرمطي يسخر بالعباسيين:

يا بني العباس من ينصركم
أصبيٌ أم خصيٌ أم مَرَةَ؟

يشير إلى تحكم نساء البلاط والخصيان بالخليفة.

وتدخل ال التعريف على المرأة والمرة ولا تدخل على امرأة إلا في الشواذ. وجمع المرأة نساء ونسوة ونسوان. والنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني. والنسوان هي الدارجة في لغة الكلام المعاصرة.

وينسب إليها بعض المفردات فيقول العراقيون: نْسيناوي لمن يتدخل في أمور النساء ويقول أهل الشام نسونجي لزير النساء.

اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزاً بين المؤنث والمذكر ويتقاسم التأنيث والتذكير مفرداتها وأدواتها بالمناصفة. وليس ذلك بسبب الحاجز الاجتماعي بين الجنسين كما يزعم الأكاديميون الغربيون الذين يبحثون في أمور الشرق بأسلوب الصحف الشعبية في بريطانيا، إنما يرجع إلى المكانة التي تمتعت بها المرأة في الحضارات السامية. وقد انبثقت هذه الحضارات من مجتمعات الهلال الخصيب والعربيا المشاعية فحملت من منظومات المرحلة السابقة الشيء الكبير فيما يخص الاقتصاد والمجتمع ومنها احتفاظ المرأة بمكانة انعكست في التشريع كما انعكست قبل ذلك في بروز التأنيث في لغاتها. ولا تعكس اللغات السامية ما تعكسه اللغات الأوروبية من ذكورية طاغية لظهور الأخيرة في مجتمعات أبوية مكتملة. فالرجل في اللغات الأوروبية هو الإنسان والإنسان هو الرجل والمرأة مشتقة من الرجل man-wo وإذا أريد في الإنجليزية مثلاً أن يشار إلى كاتبة قالوا: woman writer لأن الأصل فيها هو المذكر "كاتب" ولإجراء التأنيث يجب إلحاق اسم المرأة: "كاتب امرأة". وهكذا: عالم امرأة، وفنان امرأة، وعامل امرأة... الخ وبسبب توحيد الإنسان في الرجل عند الأوروبيين يقع مترجمونا في التباسات كثيرة عندالنقل من إحدى اللغات الأوروبية فيثبتون كلمة رجل في مصطلح قد يكون مشتركاً بين الجنسين والمقصود به الإنسان لا الرجل. وتطغى الذكورية على الترجمات فيقولون: رجال العلم ورجال الأعمال ورجال الدولة نقلاً حرفياً عن اللغات الأوروبية. والإنسان في العربية من "المستوي" حسب

اصطلاح اللغويين اي الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: هو إنسان وهي إنسان، هذا إنسان وهذه إنسان. ولا يجوز تأنيثه إلى إنسانة. ووردت في الشعر لكن الشعراء ليسوا حكاماً جيدين على اللغة لأنهم يخضعون لدواعي الوزن والقافية. وقد عالجت هذه المشكلات في مقدمات "المعجم العربي المعاصر". ولا تزال الذكورية تفرض بعض تأثيراتها على الغربيين رغم امتلاك المرأة كامل حريتها وكامل حقوقها في الغرب بعد الثورة الرأسمالية. ومن مظاهرها تلقيب الزوجة بلقب الزوج وفيه إقرار رسمي بتبعية المرأة للرجل. وأخذت به عندنا فئات المثقفين والساسة وهم في جملتهم متأهلون في الثقافة الغرباوية، وتقبلته نساؤهم ولم ينتبه إلى دلالته السلبية غير نوال السعداوي التي استنكرته في كتاباتها النسوية وشنّعت على من تقبل به من نسائنا. ونأمل الإقلاع عن هذه العادة السيئة وأن تتولى النساء بأنفسهن إبطالها ورفضها. كانت بعض النساء في مصر قد تضايقن من نون النسوة ودعون إلى إخراجها من اللغة فكتب أحدهم قصيدة يذكر فيها هذا المطلب قال فيها:

هلا أتاك حـــــديثـــــهنّ
النـون ليـــــســت نونهنّ
النون تخـــدش ســمــعــهنّ
ومـــا أرق شـــعـــورهنّ

وهذا من التخليط في المطالب ذلك أن حذف نون النسوة يعني تذكير النساء وإلحاقهن بالرجال فقد وقعن فيما هربن منه. ورغم أني أرى نون النسوة يجب أن تعالج في لغة الكتابة كما عولجت في لغة

الكلام لتخفيف نطقها فإن حذفها تماماً سيكون لصالح الرجال وحدهم(*).

قلنا إن التأنيث والتذكير متعادلان في اللغات السامية. ونجد العربية، وهي أكمل اللغات السامية وأحدثها، تؤنث الكثير من مظاهر الطبيعة والمجتمع الكبرى كالشمس والسماء والأرض والحرب والسلم والقبيلة والدولة والحكومة والسوق... وتؤنث جموع التكسير كلها وإليه يشير القول المشهور لأحد النحاة:

لا أبالي بجمعكم كل جمعٍ مؤنثٌ.

وتتناصف أعضاء الجسم تذكيراً وتأنيثاً. وهكذا جملة القاموس العربي. ويستعمل لتمييز المؤنث العلامة السامية نفسها وهي الهاء والتاء المربوطة ويزاد عليها الألف المقصورة والألف الممدودة ويسمى هذا «مؤنث لفظي». وهناك مؤنث بلا علامة. وهذا النمط يجوز تذكيره وتأنيثه إلا في المشهورات كالشمس والأرض.

---

* يندرج هذا المطلب في باب الالتحاق بالقوي أو المتفوق لنشدان التحرر أو التقدم. إن المطالبة بحذف نون النسوة تقوم على افتراض المطابقة بين الذكورة والتحرر فلكي تتحرر المرأة يجب أن تلتحق بالرجل بوصفه مصدر القوة والحرية. وهذا كالمطالب التي يطرحها مثقفو الحداثة بالاندماج في الغرب حتى يتخلص العرب والشرقيون من أنوثتهم الحالية فيصبحوا أحراراً.

في الجاهلية

المجتمع الجاهلي في الأصل هو مجتمع البداوة المحكوم بالنظام القبلي. وحياته الاقتصادية منظمة بأصول المشاعية الآسيوية ويتداخل فيه دور الفرد ودور الجماعة فتظهر فردية الجاهلي في حريته القائمة على انعدام الدولة أي انعدام مؤسسة قمعية تتحكم في سلوكه وخياراته، وتظهر في نفس الآن جماعيته المقننة بالنظام القبلي؛ فهو عضو في القبيلة وخاضع في فرديته لأصول الحياة الجماعية المتمثلة في التملك المشاعي وللأساس الجماعي الذي تتحرك عليه القبيلة في مجمل حياتها الداخلية كما في علاقتها مع القبائل الأخرى. ومن مظاهر هذا التداخل بين الفردي والجماعي الفخر المزدوج للشعراء بأنفسهم وبقبائلهم فالشاعر الجاهلي الذي قصيدة الفخر عمدة عمله الشعري يعدد مآثره الشخصية ومآثر قبيلته على السواء فهو ابن القبيلة لكنه أيضاً ابنها الحر، وهو جزء في جماعة لكنه فرد، كائن جزئي، أيضاً... ويتحرك الفرد الجاهلي من وراء منظومة القيم الجاهلية في عمومها ويحرص على التكامل معها ولكن ضمن فرديته نفسها. وفي هذه الحدود الحرجة تتفاوت الاستجابة للمتعارضات وتتدرج الشخصية في اكتمالها تبعاً لوضع الفرد، الفرد كذات، أي كتكوين نَفسْجسمي يرجع إليه أصلاً محكم التكامل بين الفردي والجماعي في أفراد واختلاله في أفراد يفتقرون إلى المقومات

النفسجسمية التي تساعدهم على استحضار استجابات قوية للمحيط(*). ويمكننا من قراءة نصوص الجاهلية وأخبارها أن نقف على خليط من القرارات البشرية يتحدد تفاوتها في تفاوت استجابتها لمنظومات القيم ودرجة استيعائها لظروف حياتها الاجتماعية بتعارضاتها المتعددة. والثابت الأكبر في هذا الموروث الواسع هو القيم التي يرى الفرد الجاهلي نفسه ويراه الآخرون من خلالها. ويستند الهجاء الجاهلي كما المدح والفخر بل الغزل إلى حد كبير، إلى المنظومة نفسها ويكون المدح والهجاء بقدر القرب أو البعد عنها. ولننظر في هذه الشتيمة المنثورة لأحدهم:

إنكم لتعصرون العطاء

وتعيرون النساء

وتبيعون الماء

البخل (شدة الحرص على المال الشخصي) ضعف الغيرة (عدم الحرص) على المرأة، ثم بيع الماء: الخرق الأكبر للأصول المشاعية الحاكمة. والجاهلية تقوم في أصلها على شيوعية المال دون شيوعية النساء: ومن هنا يأتي ذمه لهم بإعارة المرأة وصيانة المال. وهذه مرحلة متقدمة في استيعاء الشيوعية والوصول إلى نصابها الأم. لأن المرحلة المبكرة من المشاعية تقترن بشيوعية النساء أيضاً. وقد وُجدت بعض مظاهرها في أشكال الزيجات الجاهلية كما سنشرحها، واستمرت إلى نهاية العصر الجاهلي لكنها لم تكن نظاماً شاملاً للعائلة الجاهلية وإنما كانت بقايا

---

* من هنا تكون التوعية التي تأخذ شكل الحكمة والمثل والنصيحة والموعظة لما يراد به بناء الشخصية وفق منظومة القيم الحاكمة في المجتمع . وكان لها حيز واسع في الثقافة الجاهلية .

شيوعية نساء قديمة تفرقت في بطون وأفخاذ وعشائر وغالباً على شكل ممارسات فردية. وفي مجرى تطور غير مقنن فإن بقايا طور سابق تتشبث عادة بالبقاء عن طريق هكذا بقايا وممارسات. وفي الطور اللاحق، نهايات العصر الجاهلي، كانت المرأة قد تحصنت وانفصلت عن شيوعية النساء، واستقر نظام العائلة الأبوية كمنحى غالب في المجتمع الجاهلي. ولم يصلنا عن هذا الطور من شخصياته الأدبية والاجتماعية من يرجع نسبه القريب إلى زيجة ذات أصل مشاعي سوى زياد بن أبيه المفترض أنه ولد لمومس وإن كان الظن قد ينصرف إلى أن سمية لم تكن مومساً بل مراهطة.

وضع المرأة الجاهلية يتعين ضمن الوقائع التالية:

١- حريتها كفرد غير محكوم بدولة. وكانت سافرة مع غطاء الشعر التقليدي الذي يستعمله الرجال أيضاً، إنما محتشمة على النهج السائد في حضارات الشرق، وتختلط بالرجال وتسافر وحدها ولا يمنعها من ذلك سوى شرط الأمان في الطريق. وكانت تركب الخيل ولو أن الفارسات قلة بحكم الفارق البيولوجي مع الرجل. ولم تخضع في تحركها لشرط المَحْرَم وكان لها أن تساير الرجل الغريب أو تستقبله في منزلها مع غياب أهلها وهي ملزمة بأداء حقوق الضيافة لمن ينزل عليها من الرجال إن كانت وحدها، وتعفى منه إذا وجد الرجل من أهلها في المنزل.

٢-وكان لها موقع في الحياة الثقافية. وقد ظهر من الجاهليات شواعر كبيرات وحكيمات وكاهنات. ومن طرائف الصاحب بن عباد أن أبا بكر الخوارزمي وفد عليه فاستأذن عليه من حاجبه وكان الصاحب يعرف بوصوله فأراد مناكدته فقال للحاجب قل له إن مجلسي لا يدخله

إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فقال الخوارزمي للحاجب: قل له هذا من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فقال الصاحب: ينبغي أن يكون أبا بكر الخوارزمي قل له فليدخل! وكانت الخنساء خاتمة شواعر الجاهلية العظام. وفي خبر عن بشار بن برد أنه قال مرة: مامن شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف. فاعترضه أحد جلسائه: والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصى! ومن بين الشعر الكثير في السيرة، وهو امتداد للشعر الجاهلي، نقف على قصيدتين هما في الذروة منه: قصيدة عبد الله ابن الزِبَعْري في التشفي بقتلى أُحُد من المسلمين، وقصيدة لامرأة من قريش يوم فتح مكة تناشد النبي محمد أن يحمي قريش من سعد بن عُبادة. وتكشف القصيدة أن مكة لم يكن فيها في تلك اللحظة شاعر بقوة هذه المرأة ولا عبد الله بن الزِبَعْري الذي خاطب النبي معرباً عن توبته وندمه بأبيات باردة ركيكة....

٣- وكانت تملك حق الطلاق كما يملكه الرجل.

٤- وكان لها الحق في إقامة علاقة حب مع رجل تختاره وتخلو به بشرط عدم المساس بجسدها. والحب الجاهلي يتحدد بلقاء منفرد للحديث والغزل وأقصى ما يسمح به التقبيل كما تقول امرأة سئلت عن الحب ماهو؟ فأجابت: "مص الريقة ولثم العشيقة والكف عما دون ذلك". وكانوا يقولون إن للصديق ما فوق السرة وللزوج ما تحتها. ولا يفهم من هذا اجتماع الزوج والصديق، فالصداقة حق مخصوص للأيِّم (التي لا زوج لها) ولا يجوز لها اتخاذ أكثر من صديق في وقت واحد والتي تخالف هذا الشرط تسمى الضَنُوط وهي التي يكون لها صديقان أو أكثر. ويُسمى فعلها ضَمْد. وعليه قول أحدهم يخاطب صديقته وقد جمعته مع آخر:

تريدين كـيـمـا تضـمـديني وخـالداً
وهل يُجمع السيـفان ويحكِ في غـمـد؟

وأخطأ الشيخ الجليل عبد الله العلايلي في وضع ضَمد مقابل تعدد الأزواج في معجمه "المرجع" فالضمد لتعدد الأصدقاء أما تعدد الأزواج فله اصطلاح آخر سنأتي عليه بعد قليل.

وقد استمرت المرأة العربية تمارس هذا الحق إلى وقت متقدم من الأوان الأموي.

٥- لكن المرأة الجاهلية كانت محرومة من نصيبها في الإرث، الذي يوزع حسب مشيئة الأب على الأبناء ومن غير حصص مقننة للأبناء أنفسهم. وإذا مات الأب عن بنات ولم يكن له وريث من الذكور ذهب ميراثه إلى من يبادر للاستيلاء عليه من الإخوة والأعمام وأبناء العم.

٦- وكان الزواج الضرائري عادياً وغير خاضع لحد أعلى من الزوجات. لكن النساء من فئات معينة تقع ضمن قبيلة أو عشيرة أو بطن أو فخذ كن يتزوجن أكثر من رجل واحد. وهذا الزواج يسميه الجاهليون "نكاح الرهط" والرهط من الرجال ما بين ثلاثة إلى تسعة. وقد وردت أخبار عن نساء كان لهن تسعة أزواج في وقت واحد..... ومر بنا في السطور السابقة احتمال أن تكون سمية أم زياد مراهطة لا مومساً. على أنه كان من النوادر ويقتصر على أوساط معزولة فهو من بقايا شيوعية النساء التي ترجع إلى طور مبكر من الجاهلية. والمراهطة قديمة وهي من لوازم المشاعية الصرفة المتصلة ببواكير المجتمع البدائي ويؤخذ من المدونات الرافدانية الغابرة أنها منعت بقرار من الملك السومري أوركاجينا المتوفى عام ٢٣٧١ ق.م. ومنعها في ذلك الزمن البعيد لا

يعني أنها انتهت فالأمر يتعلق بتطور مجتمع معين من حالته البدائية إلى النظام الأبوي بينما تكون مجتمعات أخرى معاصرة أو لاحقة في حالة بدائية خالصة. ووجود بقايا المراهطة في الجاهلية دليل على ذلك. وقد اختفت نهائياً مع انتشار الإسلام في العربيا.

٧- ومن الزيجات السفاحية عند الجاهليين نكاح المقت وهو استيلاء الابن على زوجة أبيه بعد موت الأب. وكان شائعاً. واستيلاؤه عليها يعني وضعها تحت وصايته يتزوجها إن شاء أو يزوجها لآخر ويستولي على مهرها.

وبإجمال، كانت المرأة الجاهلية تتمتع بالحرية التي يتمتع بها الرجل في مجتمع بلا دولة ولا شريعة. لكن حقوقها كانت قليلة. وكانت الجنسوية تحكم عادة الجنسين: التحيز ضد الأنثى، العاجزة عن فرض المساواة مع نمو النظام الأبوي وتراجع سلطتها. وقد تعقدت كراهية الأنثى بتأثير حالة الغزو السائدة في المجتمع الجاهلي مما يعكسه القرآن بهذه الآيات: "وإذا بشّر أحدهم بالإنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشربه: أيمسكه على هَوْنٍ أم يدسه في التراب؟" وظهرت بنتيجته عادة الوأد أي دفن المولودات عند ولادتهن. وسبب الوأد الهروب من عار السبي إذ كان من المعتاد أن تؤسر المرأة صغيرة أم كبيرة وتصبح في حكم الجارية لآسرها. ورغم أن المرأة في الريف والبوادي العربية هي أكثر حرية من زميلتها في المدينة فإن الشعور بالعار مما يجري عليها من الرجال يكون عند البدو والفلاحين أشد منه عند أبناء المدن. ولا تزال عادة "غسل العار" سائدة عندهم حيث يقدم ولي المرأة من أب أو أخ على قتلها إذا اتهمت بعلاقة غير شرعية.

والجاهلي يتحسس لهوان المرأة في علاقتها مع الجنس الآخر وهو يرفض حتى الزواج الشرعي لابنته أو أخته من رجل غير عربي. وقد رد النعمان ابن المنذر طلب كسرى برويز أن يزوجه من إحدى بناته مع أنه كان ملكاً صغيراً يدير مملكة تابعة لكسرى. وذكر أبو الفرج في أغانيه أن هذا الرد من النعمان كان سبب تنكيل كسرى به وهو قد يكون سبباً مباشراً لسبب أكبر إذ كان كسرى يتخوف من طموح النعمان إلى إنشاء مملكة عربية مستقلة عن امبراطوريته. ويعبر عن هذا النزوع "زواج الأكفاء" وسيأتي الحديث عنه.

ومن مظاهر عقدة المرأة عند الجاهليين مسألة البكارة. وهي مشتركة مع كثير من مجتمعات آسيا. ومن المعتاد أن يطلّق الرجل زوجته إذا لم يجدها عذراء إذ يفترض أنها كانت على علاقة غير شرعية مع رجل آخر. وفي دعائم الإسلام "للداعية الإسماعيلي النعمان بن حيّون أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب وقال له: إني تزوجت امرأة عذراء فوجدتها غير عذراء، فقال له علي: إن العذرة تذهب من الوثبة والقفزة والحيض والوضوء وطول التعنيس... (٢٣١/٢) .لكن تخريجات علي لم تحمل محمل الجد حتى اليوم.

وكانت المرأة من أسباب الحرب باعتبار هذه العُقَد. بينما كان وجود النساء مع المقاتلين ضرورياً لدعم المعنويات لأن الفرار في المعركة يكون عندئذ عاراً مزدوجاً: فرار من الحرب، وترك المرأة للعدو.وفي معركة فتح البصرة كان عدد العرب قليلاً بالقياس إلى الجيش الساساني فخرجت النساء تقودهن زوجة عتبة بن غزوان وهي ترتجز:

"إن يغلبوكم يولجوا فينا الغُلُف"

فاستقتلوا حتى أزاحوا الجيش عن موقعه واستكملوا فتح البصرة بأقل كلفة. وفي الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧ كانت قبيلة الدلِيم، مواليةً للإنجليز ثم انقلبت عليهم بسبب امرأة، فقد تحرش الجنرال البريطاني ليتشمان بكنة شيخهم ضاري المحمود فشكته إلى عمها فامتشق سيفه وخرج يبحث عن الجنرال. وكان يملك بندقيةً لكنه آثر استعمال السيف. ووجد الجنرال قد توجه إلى بغداد وهو في الفَلّوجة فلحقه إلى هناك ودخل عليه مكتبه فأهوى على رأسه بالسيف فقطعه بضربة واحدة. وجرت أحداث كبرى على أثر ذلك وخسر الإنجليز ولاء القبيلة التي لم تشارك أول الأمر في مقاومة الاحتلال لأنها من القبائل السنية. وكان فقهاء السنة قد تعاونوا أو تهاونوا مع الاحتلال فلم يصدروا الفتوى الشرعية لتحريك قبائلهم في هذا الاتجاه. وكانت القبائل العراقية في ذلك الوقت شديدة الارتباط بالمرجعية الدينية.

وليست هذه غيرة على المرأة كذات بل غيرة على الرجولة لأن الجنسوية تحكم كما قلت علاقة الجنسين، والمساس بالمرأة يفسر على أنه تحدٍ لرجولة الرجل، وقد ساعد ذلك على وضع حدود فاصلة صلبة ما بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال في النظام القبلي منذ الجاهلية ضمن المعادلة التي تجمع صيانة المرأة إلى ابتذال المال. ونقف كثيراً على مركّبات كهذه في الهجاء كقول دعبل الخزاعي يهجو شاعراً آخر:

قل لابن خائنة البعول وابن الجوادة والبخيل

يعني: ابتذال جسد المرأة وصيانة المال. كما يزعم الشاعر الذي يكرر بلغته الخاصة به تهمة "بيع الماء وإعارة النساء" وهذا بخلاف الوضع الطبيعي: ابتذال المال وصيانة الجسد.

وتبقى المرأة مع كون المعادلة واقعية ومأخوذة في منظومة القيم موضوعاً للفعل لا ذاتاً فاعلة لأن الفعل هو للرجولة في جنسويتها التي تتعامل مع عنصر السلب الحاكم في المرأة. وكان هذا هو الوضع الغراري للمرأة الجاهلية: كائن يحرّك ولا يتحرك. وتحريكه ليس بالإلهام الأنثوي المشترك في علاقة الجنس الموجب بالجنس السالب عند عامة البشر إنما هو بالتعارض القائم ما بين شيوعية المال وشيوعية النساء. والحروب الجاهلية تذكيها المرأة بهذا السلب المحرك للموجب الرجولي متداخلاً في النادر مع/ أو منفصلاً في الغالب عن أنوثة هيلين الطروادية... وكان التنافس على المرأة أقل إثارة للنزاع والقتال من عقدة العِرض.

العائلة الجاهلية أبوية في العموم وتعيش الزوجة في بيت الزوج. ووجد مع ذلك نكاح العُمْرة وهو انتقال الزوج إلى بيت الزوجة، ويمكن اعتباره من بقايا الزواج الأمومي والعائلة الأمومية. ولا تزال تحدث حالات من هذا القبيل لكنها غير تابعة للتقاليد التي استقرت على أبويتها الصارمة منذ الإسلام إنما هي أمور خاصة وشخصية جداً ترجع إلى ظروف عائلية أو اقتصادية. ويسمي العراقيون الرجل الذي يعيش مع أهل زوجته «قْعَيدي» على التصغير المشعر بعدم الاحترام. وفي حال استقلال الزوج عن أهله يعيش الزوجان في بيت مستقل وهذا حين يبلغ الابن مبلغ الرجال ويعتمد على نفسه في تدبير حياته. ويشار إلى ذلك بقولهم: "بنى بأهله أو بنى بها"، ويراد به حسب تفسير الأصمعي بناء بيت للزوجية وهذا هو البيت الشرعي في الفقه. وينشأ الأولاد مع أبويهم والمسؤولية عنهم مشتركة بينهما. والقيمومة للرجل وهو الذي يقرر مصير الأولاد ويتولى تزويجهم باختياره وتبعاً لحساباته الخاصة به.

والزواج أباعدي وأقاربي ويسمى الأباعدي «تفشُّل» والأقاربي: «إضواء» ولا علاقة للتفشل بالفشل ولم أعثر له على أصل في العربية ولا في الساميات القريبة. أما الإضواء فاختصوه بزواج الأقارب لأن النسل الناتج عنه يكون ضاوياً أي ضعيف النمو. و"أضوى فلان" ولد له ولد ضاوٍ لزواجه من قريبة. ومنه الحديث النبوي: «اغتربوا لاتضووا". ولاهتمام الجاهليين بسلامة النسل جنحوا إلى التفشل. وعانت المرأة بسبب ذلك من مشكلة الغربة فهي فضلاً عن نزوعها للأهل كثيراً ما تتعرض لسوء المعاملة لكونها غريبة عن أهل الزوج. وقد ضربوا المثل بمرآة الغريبة في الوضوح والصفاء، وفسروه بأن الغريبة تعنى دائماً بشكلها وزينتها حتى تظهر لأهل الزوج بمظهر لائق وتتجنب العيوب والمذام ولذلك تختار أفضل المرايا.(*)

ولم يعرف الجاهليون سفاح القربى فالزواج محرم بالقطع من الأخت والأم والبنت وكان مسموحاً به عند جيرانهم الفرس. ومارسوا نكاح المقت، وقد بيناه.

وعانت المرأة الجاهلية من "العَضْل" وهو المنع من الزواج من جانب الأب أو الأخ. وعرفت هذه العادة عند الفقهاء بالعُصْرة وهي محرمة عندهم. إلا أنها لا تزال في البوادي والأرياف. ويسميها العراقيون نهوة فَعلة من النهي وتسمى في بوادي الشام ونواحي الشمال الفراتية «حَيار» (فعال من الحيرة) وتكون هذه من قريب المرأة إذا أرادها غريب فينهى عنها ليتزوجها هو وإذا رفضته تمنع من الزواج وهذا هو العضل أو العُصْرة.

---

* كقول الشاعر يصف وجه حبيبته :

"ووجه كمرآة الغريبة أسجح"

والوجه الأسجح الطويل في اعتدال واستواء .

وتشددوا في "زواج الأكْفاء" ويعني زواج العربية من العربي وعدم السماح بزواجها من أعجمي. ويشمل ما بين العرب زواجها من عشيرة أو قبيلة أدنى مكانة. وقد تمسك به الأمويون بعد الجاهليين فيما يخص العربية وسعوا لجعله حكماً شرعياً وقال به بعض الفقهاء الموالين لهم لكن المعارضة رفضته، وأبطله عمر بن عبد العزيز في خلافته. على أنه استمر عملياً حتى اليوم، (من النادر في هذا العصر أن تتزوج عربية من أجنبي ولا سيما أوروبي) وقد اتسع مداه بعد الإسلام فامتد إلى الزواج من رجل على غير دينها. وتمنع المسلمة العربية من الزواج من مسيحي عربي، وهو محرم شرعاً. كما تمنع المسيحية العربية من الزواج من مسلم عربي وتكون عقوبتها الطرد من الأسرة. في حين يسمح المسيحيون الغربيون بزواج بناتهم من عرب مسلمين أو مسيحيين، لأن الغربيين مع تعصبهم العنصري لا يدققون في أمور الزواج(*)، وعنصريتهم تفعل في متون أوسع عالمية الأفق.

وزواج الصغيرة مألوف في الجاهلية ويسمى "الاهتجان" وهو الزواج قبل البلوغ بالنسبة للبنت و"الالتباء" بالنسبة للولد، والمقصود بالأخير تزويج الولد صغيراً بعد البلوغ، والغرض منه تكثير نسله. وزواج الصغيرة البالغة من المسن مألوف أيضاً لكن السائد في الزيجات تقارب العمر.

والزواج الجاهلي مرتب، وأمر البنت بيد والدها فإن مات فبيد إخوانها أو أعمامها، ومنهم يخطبها الخاطب. ولم أقف على صيغة عقد زواج جاهلي إلا أنه يتضمن المهر وشروطاً من أحدهما أو كليهما. ومن المعتاد أن تكون الخطيبة معروفة لخاطبها وأن يكون قد رآها وحادثها

* يمارس زواج الأكفاء عند الغربيين على أساس طبقي إذ يمنع زواج المرأة من أسرة ارستقراطية من رجل عامي كما تمنع الأميرات من الزواج إلا ممن يجري في عروقه دم ملكي .

لأنها غير محجوبة ولا محجّبة. والمهر في الغالب من الأنعام (الإبل بخاصة) وقلما يستعمل النقد إلا في المدن التجارية مثل مكة. ومنه سمي المهر "سياق" أخذاً من قولهم ساق إليها مهرها أي ساق إليها الإبل التي اتفقوا على أن تكون مهرها. والكلمة لا تزال في اللهجات العراقية بلفظها الجاهلي، وتطلق على المهر عموماً وهو نقدي في الوقت الحاضر طبعاً. وكان يُعنون بالزفاف وتقام له حفلات غناء ورقص يقدم فيها الطعام والشراب. والوليمة أساسية في العرس الجاهلي. لكن العروس الجاهلية لا تبالغ في الزينة والملابس المزركشة. ومحاسن المرأة كما يكشف عنها الشعر الجاهلي هي جمالها الأصلي مع رائحتها الطيبة وكانت العناية بالتعطر أكثر من العناية بزركشة الملابس. ويختلف الجاهليون في ذلك عن الشعوب الزراعية التي تبالغ في التلوين والزينة. ومن ملاحظات ابن الراوندي عن ملابس أهل الجنة من السندس والاستبرق وأساور الفضة والذهب أنها تجعلهم يشبهون عروس الأكراد أو النبط. وابن الراوندي يصدر هنا رغم فارسيته عن ثقافة عربية تنفر من البهرجة.

لم يكن للمرأة الجاهلية دور مرموق إلى جانب الرجل شأن المرأة في أي من الحضارات الغابرة. وقد تكون الكاهنات أبرزهن في هذا المضمار وهن نساء يملكن ثقافة سحرية وشخصية مؤثرة في العوام وكن يجمعن بين وظيفة العرّاف وحّلال المشاكل وتفاوت فعلهن ما بين الإصلاح والتخريب تبعاً للخصال الشخصية للكاهنة الفرد. وكان للنساء موقع في الطب وذكرت مصادر السيرة طبيبة من بني أسلم تدعى رُفيدة اتخذت لها خيمة في المسجد الأول لمداواة المسلمين وجرحاهم في حروب العهد النبوي. وكانت في نفس الوقت ترعى ذوي الحاجة من أهل يثرب أو الوافدين عليها. وفي خيمتها عولج سعد بن مَعاذ الذي أصيب بسهم

قاتل في معركة الخندق. على أن الموقع الأرمق لهن كان الشعر وقد برز إلى جانب الخنساء شواعر مثل جليلة وخِرنْق وكبشة وهي أخت عمرو بن معدي كرب وكانت ناقدة للشعر يحضر الشعراء إليها فيقرؤون لها قصائدهم لتقييمِها.

وبالرجوع إلى الأوان القبجاهلي نقرأ في المدونات الآشورية عن ملكات عربيات حكمن في أنحاء من العربيا منهن شمس وزبيبة. والمعلومات عنهن لا تتعدى ذكرهن في تلك المدّونات. وينبغي التنبيه إلى كلمة عرب في اللغات السامية فهي تختلط بمفهوم البادية والبدو ولا تزال الكلمة تستعمل في لغة الكلام للإشارة إلى أهل الريف. فالعامي من العراق يقول رحنا للعرب ويريد رحنا للريف، والواحد من أهل الريف عندهم هو العُربي بضم العين وجمعه عُرْبان. وهذه الكلمة وردت في لغة العصر الإسلامي واستعملت للمعنى نفسه. وهي ما كان يعنيه ابن خلدون في الفصل المعنون من المقدمة "في أن جيل العرب في الخِلْقة طبيعي" فجعلهم جيلاً أي طوراً من أطوار المجتمع البشري. وهذا يعني أنه قصد بهم البدو أو الأعراب*. أما العرب كأمة فهم موجودون في جميع الأطوار وليسوا جيلاً واحداً.

ومن هنا لا يمكن اعتبار أهل الأوان القبجاهلي عرباً بالمعنى الحاصر للأمة التي تكونت وتبلورت في غضون العصر الجاهلي. ولم تكن لغة أولئك الشعوب الذين ذكرتهم المدونات الآشورية هي لغة الجاهليين وينبغي الشك في قراءة أسماء مثل شمس وزبيبة فهي قد تكون شمسو أو شمشو وقد تكون زبيبة بالألف لا بالهاء أو زبيبو. وهذا ما تهدينا

---

* العَرَبة في العبرية هي الصحراء .

إليه النقوش الثمودية والصَفَوية ونقش النّمارة الأحدث والأقرب إلى الجاهلية وهي لا تنطق بعربية المعلقات وتختلط بالنبطية التي شكلت المرحلة الوسطى بين الآرامية وعربية الجاهليين.

يأخذنا ذلك إلى قضية زنوبيا التي تسميها المصادر العربية الزبّاء، ويسميها بعضهم زينب ويسميها الرومان زنّوبيا وهي تحريف لاسم زينب لكنْ زينب بلفظها الذي يجب أن يكون مختلفاً بعض الشيء عن لفظها الحالي ولعلها من صيغ اسمها الأصلي وهو الزبّى. والمؤرخون من العرب والرومان متفقون على أنها عربية من جهة الأب. وادّعت هي لها نسباً يصل إلى كليو بطرا المصرية. و"عروبتها" تُفهم على الشرط الذي بيناه. وزمنها يقع في العصر الجاهلي الأول. القرن الثالث الميلادي -حيث كانت اللغة العربية هي اللغة الموزعة على الثمودية والصفوية ولغة النّمارة والمختلطة بالنبطية. أما تدمر فكان أهلها خليطاً من الآرامي والنبطي والعربي -العربي بشرطه الذي أوردناه، واسمها عندهم تدمور أو تدمورو. وعند الجاهليين تدمر. ونورد هذا النقش من عهد الزباء لمقارنته مع العربية الجاهلية:

صَلْمت سفتيميا بت زبّى نهيرتا وزدقتا، ملكتا سفتيميوا زَبْدا رب حيلاربا وزبّى.رب حيلا دي تدمور قرطسطوا أقيم لمرتهون بـ يرح آب دي شنة.

صلمت (صنم- تمثال) سفتيميا (اسم علم) بت زبى (الزباء) نهيرتا (الفاضلة) وزدقتا (الصدّيقة) ملكة أبناء سفتيميا (وهما) زبدا رب حيلا (قائد الجيش) -الحَيْل القوة- الأكبر (ربا) وزبّى قائد الجيش التدمري، وأن قرطسطو (القائدان) أقاماه لسيدتهم (امرأتهم- والمرأة

في غير العربية هي السيدة والمرء (مرا) السيد بـ يرح (شهر- ورخ- تاريخ) آب دي شنة (لسنة) كذا....

هكذا فالزباء -وهو اسمها الأصلي كما يتبين من النص التدمري- ليست عربية بالمعنى الدال على الأمة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. لكن هذه الشخصية التاريخية تتوج البدايات الأولى لنشوء الأمة العربية من وراء صراع هائل يذكرنا بصراع هاني بعل ضد روما القديمة خاضته الزباء ضد روما الميلادية التي كانت تحتل بلاد الشام. وكانت تدمر دويلة حاجزة تحت الحماية الرومانية وكان آخر ملوكها أدينت الذي سمّاه الجاهليون أُذينة يصانع الرومان ويخدم مصالحهم فلما مات استولت زوجته على الحكم. وكانت كما يدل تطور الأحداث قد وضعت خطة لإقامة دولة حقيقية مستقلة وتصفية الاحتلال الروماني لسوريا. وتحالفت لهذا الغرض مع القبائل العربية التي كانت قد استوطنت أجزاء واسعة من سوريا وشكلت ما يمكن اعتباره طلائع الأمة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. (من هنا اعتبار العرب الجاهليين للزباء بأنها عربية).

أقامت الزباء دولة راقية ذات مدنيّة مثقفة وهي من الملوك المعدودين مثقفين وكانت تتكلم عدة لغات فبالإضافة إلى لغتها التدمرية واللهجات السامية الأخرى المنتشرة في محيطها كانت تتقن اللاتينية والقبطية. وكان عصرها هو عصر الثقافة الهللينية التي هي مزيج من ثقافة اليونان وثقافات آسيا الغربية. وقد استقدمت الفيلسوف الروماني كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس ليكون في معيّتها وجعلته مستشاراً لها. وكان كاسيوس صديقاً للفيلسوف فرفوريوس الصوري أحد شراح أرسطو (فرفويوس لم يكن يوناني الأصل بل من أهالي مدينة صور حين كانت مزيجاً من بقايا الكنعانيين والآراميين). كما استدعت المؤرخ

كليكراتس وهو من أهل صور أيضاً. ولوبوكوس البيروتي وهو لغوي وفيلسوف، وبوسانياس الدمشقي المؤرخ، ونيقوماخس وهو مؤرخ وكاتب ومن شراح الفلسفة اليونانية. وكان الأول كاسيوس أوثق مستشاريها وقد أسره الرومان في نهاية الحرب مع تدمر وقتلوه تحت التعذيب. ولا أعرف ما دعاه إلى الالتحاق بالزباء وهو روماني بخلاف زملائه الآخرين.

وكان من بين سكان تدمر عدد كبير من اليهود الذين كانوا لجؤوا إليها بعد احتلال القيصر تيتوس لبيت المقدس عام ٧٠م وقد رعتهم الزباء ووجدوا الأمن في ظلها إلا أنهم لم ينخرطوا معها في الصراع ضد مضطهديهم الرومان؛ واليهود لم يحسنوا التحالف مع أحد في كل تاريخهم الطويل.

امتدت مملكة الزباء من الفرات إلى البحر المتوسط ومن صحراء العرب إلى آسيا الصغرى. وقد تقدمت لاسترجاع مصر من البطالمة، ويقترن ذلك بادعائها النسب المصري، لكنها لم تفلح في السيطرة النهائية على مصر. ودامت مملكتها سبع عشرة سنة. وكان قد وصل الحكم في روما في هذه الأثناء الإمبراطور القاسي أورليانوس فعقد العزم على تصفية مملكة الزباء بعد أن توجس من خطرها على امبراطوريته. وحساسية الغربيين لأي نهوض في هذه المنطقة تزيد على نظائرها ضد البقاع الأخرى من العالم لأنهم يرون فيها النقيض القاتل لوجودهم. وتقدم أورليانوس بقوات ضاربة نحو تدمر فتصدت له الزباء في أنطاكيا وخاضت ضده معركة ضخمة انتهت باندحارها أمام قواته المتفوقة في العدد، وانسحبت إلى تدمر فلحقها إليها. وحاصر المدينة وقطع عنها إمدادات الأغذية فاضطر أهلها إلى الاستسلام بعد مقاومة

شديدة. ولم تستسلم الزباء وإنما حاولت مغادرة المدينة من بعض ممراتها السرية. ولعلها كانت تفكر باللجوء إلى حلفائها من القبائل في صحراء العربيا. لكنها وقعت في قبضة الرومان، فأخذوها أسيرة إلى روما عام ٢٨٤م. ولم تعش طويلاً في الأسر فقد ماتت في السنة التالية. ويقول المؤرخون إن الأخبار التي بلغتها عن أفاعيل الرومان في تدمر واستباحتهم لها وتخريبها قد عجلت في نهايتها. وهي من حكام يعتبرون الهزيمة هزيمة.

الزباء من عجائب التاريخ النسوي ويصعب العثور على قرين لها في النساء. يمكن اعتبار جان دارك الفرنسية نسخة منها لكنها نسخة مبسطة وأقل إيحاءً لأن جان دارك لم تؤسس دولة مزدهرة ومثقفة كدولة الزباء وإنما قادت حرب المقاومة الفرنسية ضد الانجليز وقدمت حياتها ثمناً لوطنها. وربما استطعنا مقارنة الزباء بالامبراطورة الصينية وو تزوتيان من أسرة تانغ (سيرد ذكرها في الفصل الثالث) وهي مثلها استلمت العرش بعد وفاة زوجها وقادت الامبراطورية في طريق القوة والرخاء وأظهرت من القدرة على الحكم ما تفوقت به على الكثير من الأباطرة. إلا أنها لم تكن مضطرة إلى خوض حروب دامية كالتي خاضتها الزباء كما أنها ورثت دولة مستقرة مستقلة والزباء ورثت دولة تابعة مستضعفة فحولتها إلى امبراطورية.

من حيث التقييم التأريخي للزباء يمكن وضعها في المسار الطويل للصراع بين الساميين والغربيين. وهي من هذه الجهة وريثة هاني بعل امبراطور قَرْت حَدَش (قرطاجة). وقد خاضت نفس حروبه مع الاحتلال الروماني. أما وريثها هي فقد ظهر من الأمة التي شهدت الزباء بدايات

نشوئها وهو عمر بن الخطاب ورب حيله الأكبرخالد بن الوليد. ويخلاف هاني بعل ووريثته الزباء انتصر الوريث المسلم على الرومان وأخرجهم من بلاد الشام نهائياً. وقدتم ذلك على يد رب حيله الذي اختلف معه في أخلاقيات الحرب لكنه كان الأقدر عسكرياً على ملاحقة الثعبان الأوروبي لقطع رأسه وإعادة الذنَب إلى داخل القارة.

على أن عمر لم ينتصر لأنه ذكر والزباء أنثى. وإنما انتصر لأنه ظهر في مجرى حركة تاريخية صاعدة أطلقها محمد وسار بها هو إلى غايتها المرسومة. ومن حيث الكفاءة لا فرق بين عمر والزباء. بل إن هذه الزباء لو جاءت اليوم ورأت حكام العصر وألقت نظرة على مثقفيه ثم قارنت مع نفسها ومع مثقفيها فلعلها ستستنزل آية جديدة تقول: "النساء قوامات على الرجال.." وهي على أي حال توفر دليلاً مُتوْرَخاً على صحة مذهب ابن رشد في المرأة.

على ملاك الجاهلية يمكننا وضع نبية بني تميم سجاح. والسجاح من السجاحة وهي الاستواء والاستقامة والرجاحة. وتميم قبيلة كبرى توضع في عداد الشعب لا القبيلة ولها فروع تأثرت بالزرادشتية والمزدكية وخرج منها شعراء متميزون كالفرزدق ومعارضون كعامر العنبري، من بني العنبر أحد فروع تميم وتأتي سجاح ضمن هذا الوضع التميمي المتميز.وقد أعلنت نبوتها بعد وفاة النبي القريشي وتحالفت مع نبي بني حنيفة مسليمة. وبالطبع لم يكن لها أن تنجح أمام المشروع المتكامل لنبي قريش مع محدودية مشروعها ومشروع مسليمة. وانتهت إلى الفشل المتوقع لأمثالها. وعلق أحد بني تميم على نبوتها قائلاً:

أضحت نبيتنا أنثى نطوف بها

وأصبحت أنبياء الناس ذُكرانا

في الإسـلام

كان مؤسسو الإسلام إلى جانب محمد رجلاً وامرأة. الرجل هو أبو بكر، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد الأولى، والأرمق، وأم أولاده الوحيدة. واعتبار خديجة أول من أسلم من النساء كاعتبار أبي بكر أول من أسلم من الرجال افتئات على السيرة لأنهما من المؤسسين. ولدورها التأسيسي علاقة بابن عمها ورقة بن نوفل، القرشي المتنصّر، الذي ترجع إليه أقدم ترجمات الكتاب المقدس، وهي إلى ذلك من وجوه مكة وتجارها وأبرز شخصياتها النسوية. وقد عاشت مع محمد قبل الدعوة خمسة عشر عاماً وبعدها عشر سنوات، ولم تكن مجرد زوجة لرجل يصغرها بخمسة عشر عاماً، بل ويمكن الافتراض أن عرضها الزواج عليه لم يكن لرغبتها في الرجال وقد ناهزت الأربعين. وأسرار محمد لا تعرفها إلا السماء. لكن سر العلاقة مع ابن العم قارئ الكتاب المقدس معروف، ولعلها بهذه العلاقة كانت همزة الوصل بين زوجها وابن عمها. ويحتاج موقع هذه المرأة الغامضة في دعوة محمد إلى إعادة نظر في ضوء هذه المعطيات. وما يعنينا في إفاضتنا هذه أن يعلم قراؤنا أن للمرأة ثلث الحصة في هذا التأسيس المعجزلإحدى أخطر الحركات في تاريخ العالم.

انخرط في الحركة منذ البدايات نساء غير خديجة وأقل أهمية منها كن من العبيد في الأغلب لكنهن سجلن أمثلة صمود نادرة في تاريخ

النسـاء وقتلت إحداهن، سمية أم عمار بن ياسر، وهي صامدة للتعذيب فكانت أول شهداء الإسلام.

وفي الدائرة الصغيرة لنشاط المرأة في التاريخ ظهرت في حياة السيرة بعد الطور المكي نساء من طراز خديجة وسمية كن يشكلن ما يشبه الحاشية النسوية لصاحب السيرة، وكان منهن أم عُمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية والرُميصاء أم سُليم،وكان يصطحبهن في حملاته الكبيرة وشهدن معه صلح الحديبية، الذي شهدته أم سَلَمة زوجته الأميز بعد خديجة. ويناهز عدد الصحابيات بالوصف المقبول للصحابي أربعمئة من مجموع عشرة آلاف وهو عدد مرموق في قياس الدائرة النسوية. وكان للنساء حضور مشهود في المسجد الأول واعترضت إحداهن على تخصيص الكلام في القرآن بالرجال فصارت الآيات من ثم تعطف النساء على الرجال في كل مناسبة تقتضي ذلك فتقول: المؤمنين والمؤمنات، الصابرين والصابرات، الصادقين والصادقات.... أو تقول: "إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى:.

هل كان لهذا الحضور النسوي في الإسلام الأول علاقة بموقف معين من المرأة؟ لنضع في الحساب أن النساء ساهمن في حركات التغيير الثوري على امتداد التاريخ من غير أن ترتهن مساهمتهن بالنسوية كمحور نضال. ومساهمة المرأة في منعطفات كهذه تأتي منها كعنصر اجتماعي غير مشروط بالجنس بل هي قد تتصدر حركة أو تحكم جماعة من غير أن يترتب عليه تغيير في الوضع التشريعي للجنسين. لكن المنعطفات الكبيرة تجلب معها في المعتاد تغيرات اجتماعية تطول شتى وجوه الحياة. وهو ما يسعنا تلمسه في الإسلام بخصوص المرأة.

هنا نجد أن وضع المرأة في الإسلام تبدل في اتجاهين متعارضين سيكونان محور البحث في هذا الملف المكرس للمرأة في تاريخنا العربي ثم الإسلامي وهما في تعارضهما يتشكلان كظاهرتين تأريخيتين تمتدان في بعضهما ولاتنفصل إحداهما عن الأخرى وكان لهما كليهما أثر مشترك في تحديد وضع المرأة العربية حتى اليوم كما سيتضح من هذا البحث.

في المنحى الأول

رأينا في عرضنا المجمل للمرأة الجاهلية أنها كانت تتمتع بحرية واسعة تكاد تتكافأ مع حرية زميلها الرجل في مجتمع عديم الدولة. ولم يكن المنزل يعني عندها أكثر مما يعنيه للرجل إلا في حساب التدبير المنزلي، المعهود إليها، واعتبارات الأمان التي تجعلها أقل قدرة من الرجل على الحركة في الخارج. وقد تبدل هذا الحال في الإسلام ففقدت المرأة كثيراً من حريتها وفرضت عليها قيود لا يعرفها أهل الجاهلية. ويتصل هذا التحول باكتمال تطور المجتمع العربي في الإسلام نحو الأبوية الذكورية الناجزة مع نشوء الدولة القائمة في جوهرها السياسي والتشريعي على اقتصاد التملك الخاص والمدارة من طرف الرجال. ويعني وجود الدولة كمظهر شامل وجود القيد على حرية الأفراد رجالاً ونساء. لكن قيود المرأة كانت أشد، ونجملها فيما يلي:

تقييد الاختلاط: إن المكان الذي تحدد في الإسلام لتجمع الناس هو المسجد بوظائفه المتعددة: الصلاة، مقر النبي والخلفاء حتى نهاية الراشدين، الدراسة، الانتداء... وقد استمرت وظائفه هذه عدا كونه مقراً للحاكم، طيلة العصور الإسلامية. ولم تمنع المرأة في صدر الإسلام

من حضور المسجد والمساهمة في فعالياته. ولم يفرد لهن مكان مخصوص فيه وإنما كان يفصل بينهم في قاعة الصلاة فتكون بين النساء والرجال مسافة بضعة أذرع إذا كن قدامهم ومسافة أقل إذا كن وراءهم. وفي "المسند" عن عبد الله بن عمر أن النساء والرجال كانوا يتوضؤون معاً في زمان رسول الله (الحديث ٥٧٩٩). ولم يقيد حضورهن بوقت الصلاة فقد كن يحضرن في أي وقت ويشاركن في الكلام والمناقشات مع الرجال ومع المتصدر في المسجد من الخليفة ومن يليه.

والاختلاط يكون أيضاً في الطواف حول الكعبة. وهو جارٍ إلى اليوم. وكان قد منع لبعض الوقت بأمر خالد القَسْري والي مكة للوليد بن عبد الملك بعدأن سمع شاعراً يقول:

يا حبذا الموسم من موقفِ
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتي يزاحمننا
عند استلام الحجر الأسود

وعاد الاختلاط بعد انقضاء ولايته.

ثم أخذ المسلمون بعد نهاية الأوان الأموي بتقييد حرية المرأة في حضور المسجد وترد في هذا الشأن أحاديث مختلفة الصيغ بعضها يبيح الحضور بإطلاق وبعضها يقيده بإذن الزوج. ووضع الغزالي هذه القضية في نصاب محسوم ومحدد فقال في إحياء علوم الدين "أذن رسول الله للنساء في حضور المسجد، والصواب الآن المنع إلا للعجائز"- كتاب آداب النكاح. وحكم الغزالي هنا هو اجتهاد في موضع النص ورد مباشر وصريح على النبي محمد. على أن الاختلاف بقي بين الفقهاء بخصوص

الاختلاط. وهو اليوم ممنوع في العراق للمساجد والحسينيات (مساجد الشيعة) ومسموح به في سورية مع تخصيص أماكن لهن. لكن الشيعة يسمحون به في مزاراتهم قياساً على الطواف في الكعبة. ويختلط الزوار الشيعة ببعضهم داخل المزار مع وجود أماكن مخصصة لهن إذا أردن الصلاة إذ ليس من المألوف أن تصلي المرأة والرجال يروحون ويجيئون من حولها. وكانت النساء يحضرن المساجد في العصر العباسي إنما بنسبة أقل هي التي أراد الغزالي كما يبدو منعها نهائياً. وساهم بعضهن في التعليم في المسجد وغيره. وقد وصلتنا لوحة للرسام يحيى الواسطي من القرن السابع تصور امرأة تلقي دروساً على الرجال، وهي مكشوفة الوجه محجبةالشعر. لكن رجال الدين تشددوا في المنع ووضعوا أحاديث على لسان محمد والصحابة وأئمة أهل البيت بإلزام المرأة بيتها. وهو حكم مخصوص بنساء النبي فقط ولا يعم غيرهن، ويتصل هذا الاتجاه بتعقد المجتمع الإسلامي مع العصر العباسي واتساع الجنسوية الذكورية لدى عموم الرجال. وقد تحكمت فيه عقدة الخوف من العلاقة المحرمة وأظهر مسلمو العصر العباسي تحسساً شديداً ضد الاختلاط مفترضين حضور العلاقة الجنسية في أي اتصال بين الجنسين وبالغوا في تقديرهم لعنف الغريزة الجنسية وإمكان انفلاتها إذا أسلس العنان للعلاقة بين الرجال والنساء، ولم يعولوا كثيراً على الانضباط الذاتي إذ افترضوا أولوية الغريزة على العقل. وكان المجتمع الإسلامي قد شهد مظاهر فسادٍ واسعة لم يعرفها المجتمع الجاهلي بعلاقاته المفتوحة واتسخت فئات واسعة بالغلمنة التي حولها أبو نواس وتلامذته إلى لون من الأدب الفاقع تتغنى به أوساط شتى. وترافق ذلك مع كثرة الجواري اللواتي مارسن

شكلاً من الإباحية يقترب من البغاء الرسمي من غير أن يكون مقنناً أو محدداً بأماكن مخصوصة. وقد دفع هذا الوضع إلى التشدد في حجب الحرائر ومنعهن من مقابلة الرجال حتى في المنزل وبحضور أفراد العائلة. وكان شعارهم في ذلك: "المرأة رَيْحانة لا قهرمانة" ونسبوا وصايا إلى علي بن أبي طالب تقول: "إذا استطعت أن لا يرين غيرك فافعل" وعلي هو الذي استخدم المحرضات في صفين لتأجيج حمية مقاتليه، وكان فيهن من يتفوق على رجاله في شدة الصوت وبلاغة الخطاب. ولم يعد ممكناً للمرأة استقبال ضيف بغياب زوجها كما كانت الجاهلية تفعل وإنما يسمح لها بالتطلع من شقوق الباب فإذا كان رجلاً كلمته من وراء الباب لتبلغه أن رب البيت غائب. وكان النبي محمد يسلم على المرأة إذا صادفها في الطريق ثم صار السلام عليها من المحظورات. وكان الخاطب يرى مخطوبته وتراه قبل إجراء الخطوبة ثم صارت تُزف إليه مقنّعةً فلا يراها إلا في غرفة النوم ليلة الدخلة.

يرجع هذا التطور بتمامه إلى العصر العباسي الثاني، حوالي القرن الثالث هـ ودخلت المرأة العصر الحديث على وضعها ذاك. وقد عم العالم الاسلامي بشتى أطرافه سوى مطارح قليلة حافظت على تقاليدها السابقة وهي في الغالب معاشر شبه بدائية لم تعرف القيود المشددة على النساء. وتحدث ابن بطوطة عن جزر محل ديب (مالديف) التي سماها ذيبة المهل فذكر أن نساءها يختلطن بالرجال ولا يلبسن الحجاب وأنهن يظهرن في الغالب مكشوفات الصدر وقد سعى لتحجيبهن أثناء اشتغاله قاضياً في الجزر فلم يوفق فاكتفى بأن فرض على المتقاضيات أن لا يدخلن عليه بلا حجاب.

المنع من السفر: يتفق الفقهاء على عدم جواز سفر المرأة ثلاثة أيام إلا ومعها أحد محارمها. والثلاثة أيام هي مدة الطريق وليس مدة الإقامة وتعادل حوالي مئة ميل فالمقصود هو السفر خارج مدينتها. ولا سبيل للجزم إن كان هذا الحكم من الإسلام أم من إضافات الفقهاء في العصر العباسي.

القيمومة:

اتخذت قيمومة الرجل على المرأة وضعها القانوني في الإسلام بنص الآية ٣٤/ نساء: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً" والقيمومة ترجع إلى الجاهلية مع تقدم النظام الأبوي وغلبته على عموم الحياة وجاءت الشريعة فكرست ما هو قائم واكملته بالتشريع الذي أزال ما تبقى من مظاهر النظام الأمومي في زوايا المجتمع الجاهلي. وقد فسر تخصيص الرجل بالقيمومة عند المفسرين بتفوقه على المرأة بـ"العقل والعزم والحزم والرأي والقوة والجهاد وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والآذان والخطبة والجماعة والجمعة والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم..." ويدمج المفسرون بهذه الأفضليات مظاهر القيمومة وأحكامها الشرعية في مظاهر وأحكام الطبيعة المفترض أنها أصل القيمومة ومسوّغها. ومما يثير الانتباه هنا اعتبار العمائم من

الأسباب الموجبة للقيمومة! وقد وردت في تفاسير ترجع إلى القرن السابع وكان المسلمون في هذا القرن قد أخذوا يتركون لبس العمائم في الكثير من الأقاليم الإسلامية. وظهر العقال والكوفية عند عرب البادية والأرياف مع بدايات القرن السابع بينما اكتفى رجال غرناطة بلبس القلانس. وفي الوقت الحاضر يلبس رجال الأهوار في جنوب العراق الكوفية والعقال وتلبس نساؤهم عمائم صغيرة سوداء. وفي جنوب الصين تلبس نساء قومية مّياو عمائم ملونة كبيرة بحجم عمائم المسلمين قديماً.

نرجع إلى الآية فنراها تستطرد إلى حكم النشوز من حكم القيمومة. ويرجع الاستطراد إلى سبب النزول كما أورده المفسرون ومؤلفو "أسباب النزول". والمتفق عليه عندهم أنها نزلت لتقرير حكم في حادثة أو عدة حوادث شكت فيها النساء أو أهلوهن من ضرب الرجال لهن وأن محمد حكم أول الأمر بالقصاص ثم تراجع فتلا آية القيمومة التي أباحت ضمن حقوق الرجل ضرب المرأة ومنعت العكس. والمفسرون والفقهاء متفقون على أنه ضرب غير مبرح فهو بالنتيجة "ضرب إهانة وتسلط" لا "ضرب تعذيب" بما يفيد معنى الضغط النفسي دون الجسدي. أما حكم النشوز كما تقرر في الفقه فله تفريعات تتعلق بالطلاق والخلع سنأتي عليها فيما بعد.

ومظاهر القيمومة تشمل التصرفات العادية للمرأة. وقد اختلفوا في التفاصيل لعدم ورود نص قاطع يقننها .واتجه الذكوريون المتعصبون من الفقهاء إلى تقييد جميع تصرفاتها بإذن الزوج حتى الذهاب إلى المسجد واعتبروا طاعة الزوج حكماً سابقاً على طاعة الله، فالثواب الذي تكسبه

المرأة من حضور صلاة الجماعة، أو أداؤها لفرض الجمعة يصبح تالياً لالتزامها بأمر الزوج بعدم الذهاب إلى المسجد. وتنتقض طاعة الرجل فقط إذا تضمن أمره معصية كأن يأمرها بترك الصلاة أويحملها على الزنا والبغاء. ويضعها الغزالي في هذه الصيغة المغلقة: "النكاح نوع رق، فهي رقيقة به فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ماطلب منها في نفسها مما لا معصية فيه" –كتاب آداب النكاح من الإحياء–. وتسربت دونية المرأة عند الذكوريين المسلمين إلى اللغة ففي تاج العروس يكتب الزَبيدي:

"الحذاء: الزوجة لأنها موطوءة كالنعل. نقله أبو عمر المطرز"

وقد سيّر اللغويون القدماء اللغة العربية في مجرى ذكوري مخالف لتكوينها الأصلي فعبروا عن الإنسان بالرجل، على طريقة الذكوريين الغربيين، وطغت هذه الصيغة على معاجمهم مع أن العربية تفرق بدقة بين مفردات الإنسان ورجل وامرأة. والإنسان لفظ مستوي، أي مشترك للجنسين ولذلك لا يؤنث إلى "إنسانة" لأنه متضمن للتذكير والتأنيث معاً فيقال: هذا إنسان وهذه إنسان. وفي شروحهم للمفردات يهمل المعجميون "إنسان" ويستعملون «رجل» فيقولون: رقد الرجل أي نام، أكل الرجل أي تناول طعاماً، قام الرجل ضد قعد الرجل، وضحك الرجل وبكى الرجل..الخ. وتعززت هذه النزعة في العربية الحديثة بتأثير اللغات الأوروبية وهي لغات ذكورية خالصة لنشوئها في مجتمع أبوي مكتمل، ولذلك لا تفرق بين انسان ورجل تستعملهما بمعنى واحد فيترجمها المترجمون على حالها الأصلي فيقولون: لو أن رجلاً طلع من هذه الزاوية، ويقصدون: إنساناً، وينام الرجل إذا أدركه التعب، ويشفى الرجل إذا أخذ الدواء ويتصبب العرق من الرجل إذا بذل جهداً عضلياً وحمرة الخجل في خد الرجل عرض طارئ غير لازم ويبكي الرجل على

موتاه.. إلخ ويقول المترجمون رجال العلم ورجال الفن ورجال الأعمال ورجال الإدارة وما أشبه وكلها من نتائج الترجمة الحرفية للنصوص الأوروبية مع الجهل بأسرار لغتهم وتمايزاتها الصرفية والقاموسية.

ومن لوازم قيمومة الرجل عدم صلوح المرأة للرئاسة ويكرس ذلك حديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". وهو مروي في ثلاثة من الصحاح الستة وفي مسند أحمد والطيالسي مما يقوي صحته، ولا أرى من جهتي سبباً لإنكاره لأنه يتماشى مع حكم القيمومة. لكن أثره في الفقه يقف عند الخلافة التي يشترط فيها الذكورية بما في ذلك إمامتها للصلاة؛ وجمهور الفقهاء على عدم الجواز ما عدا الطبري وصاحبه أبا ثور فقد أجازاها على الإطلاق وأجازها الشافعي للنساء. وفي القضاء أجاز الطبري أن تكون قاضية وأجازها أبو حنيفة فيما تصح به شهادتها أي في القضايا التي تجوز فيها شهادة المرأة وهي قضايا واسعة لكنها غير شاملة. وفي المناصب الأدنى تسامح. وللفقهاء أسبقيات من عهد الصحابة تسمح بإعطاء المرأة دوراً في الإدارة فقد كانت الصحابية سمراء بنت نُهيك تتولى أمور السوق وكانت تتجول في أسواق المدينة وفي يدها سوط لتأديب المخالفين. ومثلها الشفاء بنت عبد الله التي كانت مقربة إلى عمر بن الخطاب ومن جملة مستشاريه وكان يكلفها الإشراف على الأسواق أو يعهد إليها ببعض شؤونها. وليس في جملة هذه المناصب نصوص قاطعة معها أو ضدها والمقطوع به فقط هو عدم توليها الخلافة.

العِدّة

من القيود التي خضعت لها المرأة الجاهلية والمسلمة قيد العِدة. وتلزم بها المطلقة ومن ترملت للتو. المطلقة ثلاثة أشهر والمترملة أربعة.

وليس على المطلقة قيد يزيد على عدم الزواج في هذه المدة. وهو نفس القيد بخصوص المترملة. والقصد من هذا القيد التأكد مما إذا كانت المرأة حاملاً من زوجها المطلّق أو المتوفى حتى تتعين نسبة المولود لأبيه ولا تختلط مع الزوج الجديد. وكان الجاهليون يمددون عدة المترملة إلى سنة تلزم فيها المرأة باجتناب الزينة وتلبس الثياب الخلَق الخشنة وتلزم بيتها. وهذا نوع من العقوبة يمكن أن نتلمس فيه بقايا مجتمع قديم لم يعرفه العرب إلا أنه قد يكون مستبطناً في نزعة كامنة مشتركة في الذكور. وأحيل هنا إلى طقوس دفن المرأة مع زوجها المتوفى في مجتمعات غابرة جمعت بين ملامح مجتمع بدائي متداخل مع مجتمع عبودي عوملت فيها المرأة كالعبد حسبما رأيناه في تخريجات أرسطو. وعندئذ سنجد في عدة المترملة الجاهلية قدراً من المسؤولية عن الزوج المتوفى يتعين على المرأة أداؤها بالامتناع عن الزواج ولزوم البيت سنة مع لبس أخشن الثياب وإهمال الزينة. وتخرج عدة المترملة هنا عن كونها لمجرد تعيين الحمل والتأكد من وقوعه. فهذا الغرض بيّن في عدة المطلقة التي لم يفرض عليها قيد سواه. وقد عالج الإسلام عدة المترملة على غرار عدة المطلقة سوى زيادة الشهر على مدة العدة، وقننها بالتأكد من ظهور علامات الحمل. ومن هنا أعفيت المترملة من استكمال العدة إذا كانت حاملاً وولدت فتكون في حل من الزواج بآخر فور انتهاء مدة النفاس وهي أربعين يوماً. وثُبِّت هذا الحكم بنص قرآني، الآية ٤/طلاق: "وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن" أي أجل العدة ينتهي بالولادة. وليس في القرآن والحديث والسنة نص آخر فيه قيود زائدة على المترملة. لكن التشريع لم يقضِ نهائياً على التقليد الجاهلي وإن يكن قلص المدة من

سنة إلى أربعة أشهر ونجح فيها فقط لصراحة النص عليها. واستمر قيد البقاء في المنزل حسب فتوى لابن عمر أخرجها مالك في باب العدة من الموطأ. ولم يتمكن الفقهاء من ملاحظة الفرق بين النص القرآني وفتوى الصحابي وكون الأخير قد يكون خاضعاً لفعل التقاليد. وفيما عدا فتاوى لفقهاء يعرفون رسالتهم الحقوقية ويؤدونها بحزم، استمرت القيود الجاهلية على المترملة المعتدة وأضيف إليها قيد آخر هو أن لا ترى المعتدة رجلاً غريباً في عدتها وأن يقتصر لقاؤها في منزلها على محارمها من الأبناء والأخوة وأبناء الأخ والأخت. والحكم الآن في المعتدة أن تدخل حجرتها إذا جاء ضيف إلى منزلها وإذا تمكنت أن لا تسمع صوته فهذا أفضل وتلتزم المؤمنات من النساء بالفتوى الأكثر قيوداً لرجال الدين المتشددين. وشهدت مؤخراً حالة من هذا القبيل عراقية استشهد زوجها ولها بنات وليس لها ابن أفتاها رجل دين متسامح بعدم لزوم العدة لها وأفتاها آخر بوجوبها فالتزمت قول الأخير وسجنت نفسها في المنزل أربعة أشهر وعشرة أيام.

يصدر الفقهاء في تقرير هذه القيود عن اجتهاد في موضع النص، كالذي صدر عنه الغزالي في الرد على النبي بخصوص حضور النساء المسجد. ففي "جواهر الكلام" للشيخ محمد حسن وهو أكبر موسوعات الفقه الشيعية يورد المؤلف أحاديث عن جعفر الصادق تجيز للمعتدة أن تخرج من بيتها وأن تتزين لغيرريبة (أي من غير أن تتقصد إظهار زينتها لإغراء الرجال وهذه مسألة تتعلق بالنية) والجواز هنا غير مشروط أي أنها تستطيع أن تفعل ذلك لغير ضرورة. ثم يرد الشيخ على إمامه فيقول إنه مكروه بغير ضرورة. (٢٧٨/٣٢- ٢٧٩) ومؤداه عنده أن

المعتدة تضطر إلى الخروج للطبيب مثلاً، وفيما عدا ذلك يجب أن تلزم منزلها حسب العادة الجاهلية. ويمكن العثور على حالات من هذا القبيل أبطل فيها الفقهاء نصوصاً قطعية متبعين مبدأ الاجتهاد في موضع النص، لكن في جميع هذه الحالات تقريباً يكون النص الأصلي هو الأصوب والأكثر عدلاً. ولهذه الظاهرة ملابسات تخرج عن مقتضى البحث. وبخصوص ما نحن فيه يمكننا رؤية المجرى الطبيعي لتطور المجتمعات خارج النطاق المحدد لشرائعها. وقد فرضت ذكورية المجتمع الإسلامي التي اكتملت وتصلبت في عصر تالٍ لعصر صدر الإسلام، خروقات كهذه للنصوص المقدسة. وتجتمع في قيود العدة نزعتان: الأولى إسلامية وهي التحسس من مثيرات الفتنة لمن فقدت زوجها، والثانية مشتركة تحمل البقايا الغابرة لمسؤولية بقاء الزوجة بعد وفاة الزوج وإلزامها بطقوس تؤديها كعقوبة رمزية لقاء مسؤوليتها هذه بعد أن كانت عقوبتها الدفن معه. ومن هنا يشمل حكم العدة العجائز اللواتي تجاوزن سن الزواج والحمل وهن غير مشمولات بها في النصوص الأصلية. وشموله للعجائز يؤكد القرار الذكوري فيه. ويشير ذلك بوجه عام إلى غلبة التقاليد على القانون في عموم المجتمعات.(*)

من مظاهر الجنسوية الذكورية الأخرى عدم مساواة المرأة بالرجل في الدية. والدية هي العوَض المالي عن قتل الخطأ ويسميها الحقوقيون المعاصرون "تعويض" والدية حاصرة في دلالتها أما التعويض فيقال بالتواطؤ على أمور كثيرة. ولعلهم أهملوها لجريانها على السنة

---

* أهملت أمور كثيرة تضمنتها النصوص الأولى لتنظيم الحياة الاجتماعية والحضرية ولم يؤخذ بها . من ذلك تقبيل الرجال لبعضهم عند اللقاء والفراق ، عادة ذميمة وضارة صحياً نهى عنها النبي محمد فتوقف عنها الناس في القرنين الأول والثاني ثم عادوا إليها مع القرن الثالث . ولا تزال سارية حتى عند المثقفين وبينهم مثقفو الحداثة الأكثر تطرفاً والأكثر مزايدة على محمد في مبادئ الحضارة والصحة الشخصية .

العامة... وحكم المرأة عند أكثر الفقهاء أن ديتها نصف دية الرجل. والدية هي ثمن الدم ويعني تنصيفها أن دم المرأة أرخص من دم الرجل بمقدار النصف. وانفرد أبو حنيفة وبعض فقهاء القرن الأول، وهم الأنضج من بين الفقهاء، بالمساواة في ديتهما أي مساواة دميهما في القيمة. واستند الجصاص الحنفي إلى حديث "المسلمون تتكافأ دماؤهم" في مساواة دم المرأة والرجل والحر والعبد والشريف والعامي. ويتعدى الحنفية نطاق الحديث إلى المساواة في دم غير المسلم وهو سواء عند أبي حنيفة والشافعي(*) (أحكام القرآن ١/١٤٣).

* * *

في المنحى الثاني لوضع المرأة المسلمة نقف على مسألة الحقوق. ففي مقابل ما فقدته المرأة من حريات جاهلية حصلت على حقوق حسنت من مركزها الأنثوي والمالي. والإسلام ثورة أولاً وثورة ذات ماهية أبوية ذكورية ثانياً. وفي إطار هذا المزدوج نمضي في تقرير وضع المرأة المسلمة في تناقضاتها التشريعية والعملية معاً.

نأتي أولاً إلى قضية الزواج الضرائري (تعدد الزوجات)، الذي عرفته جميع المعاشر والمجتمعات القديمة بعد انتقالها من حالتها البدائية -الأمومية- إلى التحضر الأبوي الذكوري. وكان في الجاهلية بلا قيود وليس له حد أعلى للزوجات. وقد خطا الإسلام خطوة هامة بتحديد حد أعلى هو أربع زوجات. وكان من الأحداث البارزة في السيرة ترتب عليه تسريح ما زاد على الأربع منهن وورد في "المحبَّر" لابن حبيب أسماء من كانت لديهم عشر زوجات فسرحوا منهن ستة وهم من رجالات ثقيف وإنما

* في بعض الأحاديث فسرت كلمة "المسلمون" بتعميمها على الناس . وبها أخذ أبو يوسف في كتاب الخراج في استخلاص أحكام عامة من أحاديث مخصصة لفظاً بالمسلمين .

ذكرهم ابن حبيب لمكانتهم وإلا فقد يكون لغيرهم مثل هذا العدد ولم يذكروا لأن التأرخة لا تقوم على الاستغراق وإنما تحصي النخب (ص٣٥٧). ويفهم من ذلك أن القرآن لم يشرع الضرائرية وإنما قيدها بحد أعلى. ويبقى السؤال عن السبب الذي لم يجعل محمد يرجع إلى شرع المسيح فيلغي التعدد نهائياً؟ فنجد بادئ ذي بدء أن الإسلام في طوره الأخير، الذي تحددت ملامحه النهائية مع فتح مكة صار أقرب إلى موسى منه إلى المسيح، أعني بإيجاز أن الإسلام قد تماهى في نبوة ودولة كاليهودية ولم يعد نبوة خالصة كاليسوعية كما كان في الطور المكي. وكان من مستلزمات هذا التطور الإبقاء على الضرائرية بعد تحديد الحد الأعلى للزوجات، فقد كانت هناك حاجة لتكثير عدد العرب، والمسلمين فيما بعد. وكان محمد شديد الهم بها. ومن أحاديثه: "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد"، "وإني مكاثر بكم الأمم"- أخرجه الطبراني وابن عساكر والشيخ الصدوق وغيرهم. ومن إجراءاته جعل الزواج سنة، شبه الوجوب، لتسديد هذه الغاية. وكان عدد العرب في زمانه خمسة ملايين ولا يخرج من هذا العدد جنود يكفون لفتح الأرض كلها! (قارن مع سكان الصين يوم ذاك وهو ستون مليوناً) وكان للنقص في عدد العرب أثر في توقف الفتوحات عند الخطوط التي انتهت فيها. وإليه يرجع عدم نجاح خطة موسى بن نُصير لاجتياح أوروبا. وكان قد أعدها وعرضها على الوليد بن عبد الملك بعد فتح الأندلس فوجدها مستحيلة عملياً(*).

من جهة العلاقة الجنسية لم يظهر محمد ميولاً يسوعية تنظر إلى

* في فتح الأندلس كان على العرب بعد فتح كل مدينة أن يتركوا فيها حامية لصد الهجمات المضادة وقد اعتمدوا على يهود إسبانيا لهذا الغرض إذ لم يكن عددهم يكفي للتوزع على حاميات. ولاشك في أن الوليد نظر إلى هذا الاعتبار العملي وعدم إمكان تحقيقه في غير إسبانيا حين رفض الخطة. وليتنبه القارئ أننا نذكر الوليد ونعني جميع مستشاريه وخبرائه وليس هو بشخصه.

الجنس كفعل قابل للانضغاط. هو يرى فيه إثماً كما يراه المسيح، وإلى هذه الرؤية يرجع الأمر "بغُسل الجنابة" أي اغتسال الطرفين بعد الجماع. ولم يكن يتوخى منه النظافة فقط، وهي من أولويات شريعته، فثمت بعد تطهري يدل عليه المعنى الأصلي للجنابة التي تدل في العبرية والسريانية على السرقة (بما يتضمن معنى الإثم). إلا أنه تحاشى المثالية في التشريع وأبقى التحسس من الجنس في زاوية الشعور الفردي. وفي تعارض تام مع الوعظ الديني بالتعفف والصبر، صدرت الشريعة عن مجاراة للجنسانية الذكورية هي التي جعلتها تبيح ما كان سائداً قبلها وهو التَسَرِّي. وكان المفترض لدين موحى به من المطلق السماوي أن يتنزه عن هذه القاذورات(*).

تقليص الضرائرية على أي حال إلى أربع زوجات خطوة تأتي في مجرى الإصلاح الذي تقوم به الثورات للمجتمعات القديمة. وقد استعجل أبو ذر وصاحبه روزبة فالتزما بالعائلة الوحدانية الصرفة مع الامتناع عن التسري. لكن خطوة كهذه كانت بانتظار ثورة أخرى يتمخض عنها التطور اللاحق للمجتمع الإسلامي. وكانت هذه هي الثورة الاسماعيلية وبنتها القرمطية التي ألغت الزواج الضرائري ولو أنها لم تستمر شأنها شأن التحولات الثورية المجهضة دوماً في عموم آسيا. وفي دائرة الفكر كان المعري هوالمروّج الأكبر للعائلة الوحدانية لكن ثورته هو الآخر بقيت في بطون الكتب. وانفرد الدروز فيما بعد بإبطال الضرائرية وهم فرع من الفاطميين يشير من بعيد إلى بقايا الثورة المجهضة.

---

* التي تنزه عنها اثنان من مؤسسي الإسلام هما أبو ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني وأدانها فيما بعد عمر بن عبد العزيز باعتباره إياها من أبواب الزنا ولو أنه لم يتجرأ على تحريمها لوجودها في نص قطعي .

– التسري اتخاذ السراري أي الجواري .

عني الإسلام أيضاً بتزويج البنات. وهذه مهمة يتفق الشرقيون على ضرورتها. وكان أهل بابل يجمعون في كل عام من أدرك سن الزواج من بناتهم وأبنائهم ويصنفون الأبناء حسب الفقر والغنى، والبنات حسب الجمال والدمامة. ويبدؤون أولاً بتزويج الجميلات للشبان الأغنياء ويأخذون مبلغاً محدداً من كل شاب لقاء زيجته. ويجمعون المال في نهاية الشوط الأول ثم يبدؤون بتوزيعه على الشبان الفقراء فيأخذ كل شاب نفس المبلغ لقاء تزوجه من البنت غير الجميلة. وبهذه الطريقة لا تبقى بنت بلا زواج. ولأهل الصين عناية مماثلة وإن لم يكن لهم تنظيم كالتنظيم البابلي. وكرس كبير مسرحيي الصين في القرن الثالث عشر ومبتدع المسرحية الاجتماعية فْوان هان تشينغ إحدى مسرحياته لقضية زواج البنات. وكان يميل إلى تشجيع البنات على الزواج من رجال أسن منهن لسببين: تسهيل الزواج وعدم تعليق مصير البنت على أهواء الشباب، ولأن الزوج الأسن يداريها أكثر ويدللها.... بيد أنه لا يقصد بالأسن من بلغ الشيخوخة فالرجل الذي رشحه للزواج من البنت في المسرحية يكبرها بحوالي ثماني عشرة سنة، فإذا كانت هي في العشرين فلا بد أنه أقل من الأربعين.

وحرم الإسلام العَضْل أو العُصرة (ويعني منع البنت من الزواج) وجعل تزويج البنت البالغة من السُنَّة. ويضع عامة المسلمين في هذا الاعتبار الحاجة الجنسية للأنثى بوصفها من الحاجات التي يجب تطمينها كإطعام الجائع وشفاء المريض. وكنت أسمع أهل حارتنا وأنا صبي يتحدثون عن رجل من الحارة عضل أخواته "إن الله يحاسبه بعد كل غسلة تغسلها أخواته".. وفهمت بعد ذلك أن المقصود هو الغسل من

الحيض بانتهاء دورته ففي هذه الفترة تشتد حاجة المرأة إلى الرجل. ومع تقصير الدولة في هذه المهمة كان أهل البر والإحسان يخصصون جزءاً من أموالهم لتزويج البنات ويعتبرونه مكافئاً لأموال الزكاة التي يدفعونها للفقراء. ولم يُحترم هذا الحق كثيراً في العصر الذهبي للحضارة وإنما جرى عليه أهل القرنين الأول والثاني. ويكتب الجاحظ في رسالة له عن "النساء" أن فرص الزواج للمرأة في الماضي كانت أوفر مما هي في زمانه (القرن الثالث) وأن أهل زمانه يجعلون زواج المطلقة أو المترملة عاراً، بخلاف أسلافهم(*). وكانت المرأة في صدر الإسلام والأوان الأموي لا تبقى بدون زوج مادامت في حاجة إلى رجل.

وكانت معظم الشخصيات النسوية من عصر الصحابة والتابعين ممن تزوجن بأكثر من رجل مطلقات أم مترملات. ولا يختلف حال النساء عن عامة الناس. وإفادة الجاحظ تستند إلى معرفته لهذه الحقائق. وهي تفسر عناية الصحابة وفقهاء التابعين بأحكام العدة لعلاقتها المباشرة بالزيجات المتجددة. ويرجع التغيير الذي تحدث عنه الجاحظ إلى اشتداد ذكورية المجتمع الإسلامي والإفراط في الحجر على النساء تبعاً لذلك.

فيما يخص حرية الزواج للمرأة، تدور مباحث الفقه حول حديث مختلف الصيغ ومعناه واحد وهو حسب رواية مسلم في الصحيح: "لا تُنكح الثيب حتى تُستأمر ولا تنكح البكر حتى تُستأذن". والثيب هي من تزوجت سابقاً فامتلكت تجربة وعقلاً يخولانها تقرير الزواج بإرادتها. وفي عقد زواج من القرن الثالث مكتوب على ورقة بردي بمصر ورد بعد

---

* الرسالة مفقودة ووصلت منها شذرات طبعت طبعة رديئة من قبل دور النشر التجارية في لبنان .

ذكـر اسم الزوجـة أنهـا "امـرأة ايم(*) بالغ تلي نفـسهـا" وجـملة الفـقـهـاء والمذاهب مـتـفـقـون على هذا الحكم بخصوص الثـيب. وهناك اختـلاف في مسـألة الولي في عقد الزواج فبعضـهم يشـترطه وآخرون يعـتبرونه شكلياً يثـبُت العـقـد بدونه. والذين اشـتـرطوا الولي، ومنـهم عـمـر بن الخطاب، نظروا إلى رأي الأهل في زواج البنت وإعطائهم كـلمـة فـيـه تمنع انفـراد المرأة به مع إقـرار حقـها في الاختـيـار(**)، ومن لم يشترطه استند إلى عـمومية منطوق الحديث وجعل حرية المرأة في ذلك مطلقة.

والخلاف أشد في خصوص البكر. ونص الحديث يقتضي بأخذ الإذن منها وهو أخص من الاستئمار للثيب إذ يمكن أن يفهم منه أن الأب وافق على الزواج قبل أن يبلّغها به ثم طلب منها الموافقة على شكل استئذان. وحسب منطوق الحديث يجوز لها النطق بالرفض، أما الموافقة فـدليلها السكوت لأن العذراء الصـغـيـرة تخجـل من النطق بقـبـول الزواج وتبـقى حـرية البكر أضيق من حـرية الثيب /مع امـتـلاكهـا حق الرفـض/ بحـكم الفـرق بين الاسـتـئـمـار والاسـتـئـذان. وقد أتاحت هذه الصيـغـة الملتبـسـة للحـديث لبعض الفـقـهـاء ومنهم تـابعـون أن يجتـهـدوا في النص فـيـعطوا الأب حق تزويج البكر بدون رضـاها. وهذا مـذهب القـاسم بن مـحـمـد بن أبي بكر وسالم بن عـبد الله بن عـمر وقـال به مـالك بن أنس أيضاً. لكن الميـل العام لدى الفقهاء والقضـاة هو اعتبار كراهة البكر إذا زوّجت بدون رضـاها. وهناك حديث أخرجه ابن عـسـاكـر عن ابن عبـاس أن بكراً زوجهـا أبوها وهي كـارهة فـأتت النبي فـذكـرت له أن أباها زوجـهـا وهي كـارهة

* الأيم : التي بلا زوج . تلي نفسها : تتولى الولاية على نفسها وليس لغيرها ولاية عليها لأنها بالغ رشيدة .

** يحصرالفقهاء الولاية في الأب والجد للأب ولا يسمحون بها لغيرها من أخ أو عم .

فخيرها رسول الله، أي أعطاها حق الانفصال(١/ ٤٥٤ من تهذيب عبد القادر بدران).

على أنهم فرقوا البكر الصغيرة عن البكر الراشدة مع استوائهما في البلوغ. ويقول المحقق الحلي في "شرائع الإسلام" إن في الولاية عليها روايات أظهرت سقوط الولاية عنها وثبوت الولاية لنفسها ولو زوجها أبوها لم يُمضَ عقده إلا برضاها (كتاب النكاح من الجزء الثاني) وللشيعة حكم غريب في نكاح المتعة إذ يجيزون للبكر الراشدة أن تمتع نفسها وليس لوليها حق الاعتراض عليها (المصدر نفسه) وفي التهذيب عدم جواز افتضاضها إلا بإذن أبيها فالتمتع بها لا يشمل الجماع (٧/ ٢٥٤).

وأجاز معظم الفقهاء الاهتجان، زواج غير البالغ، وعمموه على الذكر والأنثى فللولي، الأب أو الجد تزويج غير البالغين من أولاده ذكوراً أو إناثاً. واختلفوا في حقهما في الفسخ بعد البلوغ وأكثرهم على عدم جواز الفسخ. وأجازه صاحب الجواهر وهو شبه معاصر. ولهذا الزواج نظير في الصين القديمة ويكون بأن تقدم عائلة فقيرة بنتاً لها غير بالغ إلى عائلة موسرة لتعيش عندهم وتخدمهم ولكن في صورة بنت متبناة يقرن بينها وبين أحدأبنائهم غير البالغين. وهي تكون عندهم في حكم الجارية وأقل مكانة من الزوجة العادية وليس لها أن تفسخ الزواج إلا أنها لا تعتبر زوجة للابن قبل البلوغ رغم اقترانهما بعقد زواج. ومثل هذه الزيجات تكثر في إيران والهند حتى اليوم.

ويدخل في حق الزواج الشرعي شرعية حقها في الإشباع الجنسي. وفي توجيه عن علي بن أبي طالب: "إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا

يعـاجلهـا وليـمكث يكن منهـا مـثل الذي يكون منه" (تحف العـقـول ص٨٣)[*] وتأتي ضرورة هذا التـوجـيـه من الإهمـال لحـاجـة المرأة في العلاقة الجنسية في الفئات الأقل تحضراً كالبدو والفلاحين وهم عامة أهل الجاهلية وصدر الإسلام. وقد فصله الغزالي على النحو الآتي:

"إذا قضى وطره منها فليتمهل حتى تقضي هي أيضاً نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر بتهييج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر إذا كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها ليشـتـغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي".

واعتذر عن الغزالي لارتباك عباراته إذ خانته كما يبدو لي بلاغته العلمية المعهودة في هذا المقطع من كلامه وأوضح مراده فأقول إنه يوصي الرجل بالتطابق مع المرأة في وقت الذروة، وإنه عليه ألاّ يهـيـجـهـا ثم يتـركـهـا لأن في ذلك إيلاماً لها، وهو يرى أيضـاً أن التوافق في الذروة يزيل عقدة الحياء من المرأة لدخولهما معاً في حالة الهياج.....

وأعطيت المرأة حق الشكوى إذا قصر الزوج في إشباعها جنسياً. ووضِع حدٌّ أقصى يجوز بعده رفع دعوى قضائية وهو أن يتركها لمدة أربعة أشهر. ويشمل حق الشكوى حالات العجز والعنّة.

ويجوز لها حق التفريق في حالة العنة. أما إذا تركها مع قدرته فلها الشكوى عليه والمدة القصوى التي يجوز بمرورها رفع الشكوى هي أربعة أشهر كما بينا. وقد مارست النساء هذا الحق في العصر الإسلامي

---

* تحف العقول من مصادر القرن الرابع الجيدة التوثيق . والنسبة إلى شخصية بعينها تقبل الشك ما دام الأمر متعلقاً بذاكرة الرواة فقد يكون التوجيه لعلي أو غيره من الأئمة . والمعول في ذلك على النص ذاته وليس على قائله .

وألزم القضاة بالنظر في الشكاوى. ومن أخبارهن أن امرأة جاءت إلى عدي بن أرطأة، والي البصرة لعمر بن عبد العزيز، تشكو من زوجها وتقول إنه عنين. فقال عدي: إني لأستحي أن المرأة تذكر مثل هذا... فردت عليه: لمَ لا أرغب فيما رغبت فيه أمك فلعل الله يرزقني ولداً مثلك؟...

وهب النبي الجنة لمن كثرت بناته فصبر عليهن وأدبهن وزوجهن. وندد القرآن بسوء استقبال الجاهليين لمولد البنت. ومع إدراك محمد لصعوبة تغيير العادات واصل في أحاديثه وعلاقاته الشخصية ترويضهم على المساواة بين الجنسين من أولادهم.

أخرج ابن عساكر عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي فجاء ابن له فأخذه فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت ابنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه. فقال رسول الله: هلا عدلت بينهما؟ (٤/٢٥٤ من تهذيب عبد القادر بدران). وقد جرى على هذا النهج كبار الصحابة وأئمة آل البيت كما التزم الفقهاء والمتكلمون تكرار الحث على المساواة المنزلية بين الأولاد فقال الغزالي في إحياء علوم الدين إن من آداب الولادة أن لا يفرح بالذكر ويحزن بالأنثى فإنه لا يدري الخَيْرة له في أي منهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له ولد أو يتمنى لو كانت بنتاً، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل (٢/٤٦- كتاب آداب النكاح).

روعيت هذه الأصول من جانب المثقفين من متكلمين وفقهاء ومتصوفة وعلماء كشأن غيرها فيما يتعلق بالنساء في هذه الأوساط. لكن عامة الناس ظلت على نزعتها الجاهلية حتى اليوم. وأعطانا

الجاحظ في كتاب الحيوان أمثلة من الأرجاز التي كانت تُنشدها القوابل أوالأمهات في ساعات الولادة يتفاءلن بولادة الذكور. منها:

أيا سحاب طرّقي بخيرِ

وطرّقي بخصيةٍ وأيرِ

ولا تُرينا طرف البُظيرِ

أو:

وما أبالي أن أكون مُحْمَقة

إذا رأيتُ خصيةً معلّقة

ووضع الذكوريون أحاديث تناقض آيات القرآن منها حديث: "دفن البنات من المكرمات" وقد تناوله السيوطي في "اللآلئ المصنوعة" وأثبت بطلانه. على أن الخوف على مصير البنت يمنع أحياناً من التماسك حول مبدأ المساواة ويعبر منصور النِمْري عن هذا الوضع بأبيات فاجعة يذكر فيها وحيدته العديمة الأم:

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أقاس الدجى في حندس الظُلَمِ

وزادني رغبةً في العيش معرفتي
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحمِ

تهوى حياتي وأهوى موتها كرماً
والموت أكرم نزّال على الحُرَمِ

ولم يكن في المدن ما يحمل على التحيز ضد البنات لأن اقتصاد المدينة لا يعتمد حصراً على العمل العضلي لأفراد العائلة بخلاف الحال في الريف. إنما يتعلق الأمر هنا بقوة التقاليد مع مايلحقها من مخاوف

على مستقبل البنت من عدم زواجها أوجنوحها في علاقة محرمة فتسبب العار لأهلها. ولم يضع الغزالي هذه الاحتمالات في حسابه حين دعا إلى المساواة في النظر إلى الجنسين من الأولاد وجعل السلامة في البنت أكثر. ويرجع ذلك إلى أن الأوساط الفقهية لاتنظر إلى جنوح الفتاة بوصفه مجلبة للعار كما هو عند أفراد القبائل وأهل المدن المتأثرين بالامتداد القبلي والريفي وإنما تتعامل معه كإثم يعالج بالتوبة.

وأعطى الإسلام حق الميراث للمرأة وكانت محرومة منه في الجاهلية. وكان الذكر هو الوارث الوحيد، وإذا لم يكن بين الأولاد ذكور يذهب الميراث إلى العم. واستمر الحال على ذلك إلى أيام معركة أحد حين قتل الصحابي سعد بن الربيع وخلّف بنتين فجاء عمهما واستولى على الميراث ولم يترك لهما شيئاً. فجاءت أمهما إلى النبي شاكية فاستمهلها حتى يبت في الأمر، ويبدو أنه لم يكن قد سبقها إلى التفكير فيه، فنزلت عليه عندئذ آية المواريث فدعا عمهما وقال له: اعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن ولك ما بقي. وكان ميراث سعد بن الربيع أول ميراث يقسم على البنات والأم. وإلى هذا يشير عمر بن الخطاب في قوله الذي أخرجه مسلم في الصحيح (٤/ ١٩٠): "والله إن كنا في الجاهلية مانعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم".

ومع أن حصة المرأة من الميراث كانت النصف فإن مبدأ توريث المرأة كان خطوة كبيرة للثورة الإسلامية في مجتمع كان يفرض الحرمان التام على النساء. وبالمقارنة مع الغير، نجد المرأة الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة محرومة عموماً من الإرث. وكان الإرث في

بريطانيا يذهب جميعه إلى الإبن الأكبر فتحرم منه ليس البنات فقط وإنما بقية البنين. وعند الساميين القدماء والسومريين أعطت شريعة أورنّموّ حق الإرث للبنت العازبة إذا كانت وحيدة والدها. ويجري الحكم نفسه في شريعة حمورابي إذ يقتصر التوريث على البنت العازبة وتحرم منه المتزوجة. وحصص الميراث في الإسلام شاملة للأولاد جميعاً بنين وبنات متزوجين وعزاباً. وكان من المنتظر مع تطور المجتمع الإسلامي أن يعاد النظر في الحصص لتكون متساوية للجنسين وهذا ما قام به الدروز / الإسماعيليون في الأصل/ والشريعة الدرزية تساوي بين الابن والابنة في الميراث. ولا علم لي بما فعل القرامطة في دولتهم ويمكن الافتراض أنهم لم يعنوا بمسألة الإرث لأن نظامهم الاقتصادي لم يكن يساعد على تكوين أموال شخصية تكفي للمواريث. وهذه المسألة تكون ثانوية في الأنظمة المشاعية والاشتراكية ولاحظت بنفسي أن الصينيين حتى عام ١٩٧٩ وهو عام الانقضاض على نظامهم الشيوعي لم تكن لديهم قضية مواريث بعد إلغاء الملكية الخاصة وإعادة توزيع الثروات الاجتماعية على الناس بالتساوي فلم يبق لدى أحد مال شخصي يوزع على الورثة.

الفكرة السائدة حول الطلاق أنه من حق الرجل وحده. ومر بنا أن من جملة مظاهر القيمومة على المرأة هو الطلاق. وكانت المرأة في الجاهلية تتبادل هذا الحق مع الرجل. ثم تكرس له في شرع الإسلام الناجز الأبوية. وهنا ترد نقطتان أولاهما أن حق الطلاق ليس مطلقاً فهو يخضع لأصول نص القرآن على بعضها وجرت في بعضها الآخر على أسس المروءة الجاهلية. ومن أخبار عمر بن الخطاب أن رجلاً جاءه يريد طلاق زوجته فسأله عن السبب فقال: لا أحبها. فقال له: "وهل بنيت البيوت إلا على

الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟" ولم يسمح له بالطلاق. على أن الفقه السني حوّل الطلاق إلى لعبة فهو يقع حسب هذا الفقه بمجرد القسم به مع الحِنْث أو بمجرد أن يقول لها أنت طالق. كما يقع الفراق بالظِهار وهو أن يقول لها في ساعة غضب: "أنت علي كظهر أمي" فتحرم عليه.

النقطة الثانية أن المرأة تملك هي الأخرى حق الطلاق في صيغة المخالعة. ويستند هذا الحق إلى قضية زوجة ثابت بن قيس المتفق عليها بين الفقهاء وأهل الحديث. وصورتها كما وردت في صحيح البخاري أنها جاءت إلى رسول الله وقالت له: "يا رسول الله ثابت بن قيس ماأعتب عليه في دين ولاخلُق ولكن أكره الكفر في الإسلام". وكان ثابت دميماً. فسألها النبي: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم. فدعاه وقال له: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة"... وكانت حسناء فأعطاها في المهر بستاناً وهو المقصود بالحديقة. وتسمى هذه بالمخالعة أو الخُلْع. ونص عليها القرآن في الآية ٢٢٩ /بقرة" ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به" ومفاد الآية أن مهر الزوجة ملكها الشخصي الذي يجب أن لا ينتقص منه شيء عند الطلاق لكن المرأة يمكنها التنازل عنه إذا رغبت هي في الطلاق. فالفرق بين الطلاق والخُلْع هو في المهر. إن قضية زوجة ثابت هي تطبيق لحكم الآية وسبب التفريق فيها هو دمامة الزوج مع استقامته ديناً وخلقاً وحسن مداراته لها. وقد استخلصوا منها قبول التفريق بالخلع لوجود سبب مثل الدمامة في هذه القضية الأم أو كراهتها لأخلاقه أو لوجود ما ينفرها منه. وهذه أسباب تخصها شخصياً إذ يمكنها أن تتحملها وتواصل عيشها معه ويمكنها أن

تطلب المخالعة وعندئذ تتنازل عن مهرها. وهناك حالة أخرى وهو أن يكون ظالماً لها ومضيقاً عليها وعندئذٍ يرغم على طلاقها. وفي هذه الحالة يقع طلاق لا خُلع وتأخذ حقوقها منه بموجب أحكام الطلاق. وتوجد حالة ثالثة وهي انصرافها عنه إلى وجه آخر، أي "على وجه الفساد وما لا يحل" وفي هذه الحالة يحكم عليها بالنشوز وتجبر على العيش معه. ويشبه هذا الحكم حكم عمر بن الخطاب في رد طلب الطلاق من رجل لأنه لا يحب زوجته. ويستند موقفهم إلى افتراض إمكان بقاء العائلة والرابطة الزوجية مع انعدام الحب الزوجي.

عملياً كانت حالات الطلاق أكثر من حالات المخالعة. ويتصل ذلك بجملة أمور أولها تساهل الفقه السني في مُوقعات الطلاق وعدم الالتزام كثيراً بنصوص القرآن والسنة في هذه الأمور. وكثر ذلك في أحقاب التدهور السابقة والمساوقة للعثمانيين حيث انحلت مؤسسة القضاء ولم يعد القضاة من فئات الفقهاء المجتهدين الكبار وصار القضاء ارتزاقاً كغيره من وظائف الدولة. الثاني أن بعض الفقهاء علقوا إيقاع المخالعة بموافقة الزوج خلافاً للمدلول الصريح في قضية زوجة ثابت. ويرجع ذلك إلى زيادة تعقيد المجتمع الإسلامي في الأطوار المتأخرة عن القرون الأولى وجنوحه أكثر نحو جنسوية متطرفة كما رأينا في تغيير وإلغاء أحكام أصلية تحت تأثير هذا التطور... الثالث ملابسات مسألة الحقوق فالكثير من الفقهاء والقضاة يستندون في معالجة هذه القضايا إلى ضمان حق المرأة في المهر والنفقة فهم لا يميلون إلى المخالعة لأنها تحرم المرأة من هذه الحقوق. والنساء من جهتهن لا يجدن متسعاً للتنازل بدون سبب قاهر. والتخلي عن حقوق مادية يتطلب قوة إرادة وشخصية

متعالية تتميز بها النماذج. وتظهر سيرورات العِلاقة الزوجية بتعقيداتها وتناقضاتها أن المرأة كثيراً ما رهنت نفسها بعقدة المهر وجعلتها محور خياراتها في حياتها الزوجية. يضاف إلى ذلك أن الناس في العصور المتأخرة لا ينظرون بارتياح إلى المرأة التي تخلع زوجها ما لم يكن ظلمه لها معروفاً وبادياً للعيان ولو أن امرأة منهم تصرفت مع زوجها على طريقة زوجة ثابت بن قيس لرموها بالتهم.

أحكام وقضايا

إشكالات حول المهر:

المهر هو ما يعطيه الرجل للمرأة من مال نقدي أو عيني لقاء زواجه منها. ويسمى أيضاً الصَداق، وأصدقها: أعطاها الصداق أو سماه لها وكذلك أمهرها. ومن أسمائه الأخرى السياق وقد شرحناه فيما سلف من هذا المؤلف. وينظر إلى المهر على أنه ثمن جسد المرأة ولذلك يطلق على أجرة المومس التي تسمى في الفقه "مهر البغيّ". وهو من المحرمات. وبهذا الاعتبار يكون معنى المهر هو ثمن التمتع بجسد الزوجة وينبني هذا المعنى على افتراض أن الزواج حاجة للرجل دون المرأة وأن التمتع بالجسد يكون من جانب واحد. وهو افتراض مسلّم به لدى البدو والفلاحين لكن الإسلام يجعل منه كذلك حقاً للمرأة يوفر لها احتياطاً مالياً إذا انفصلت عن الزوج وفقدت المعيل.

واختلفت المذاهب في وجوب المهر وما إذا كان عقد الزواج يصح بدونه. فاعتبرته الحنفية ركناً في العقد وجعله الشافعي جوازياً وهو قول المحقق الحلي في "المختصر النافع" إلا أنه في "شرائع الإسلام" يذكر وجوبه في عقد المتعة خاصة. وينقل الإسماعيلية عن علي: لا يكون تزويج بغير مهر (دعائم الإسلام ٢/٢٢٢). ويراد بوجوبه استحقاق المرأة

له فإذا أغفل ذكره في العقد صح العقد لكن حق المرأة لا يسقط بإغفاله ويحق لها عندئذٍ المطالبة به فتعطى مهر المثل وهو المهر الذي يخصص لمن هي في مثل وضعها ومؤهلاتها. والهام في هذه المسألة هو صحة عقد الزواج بلا نص على المهر فالمهر ليس شرطاً في العقد إنما هو حق ثابت للمرأة إذا طالبت به. ويعني ذلك إمكان إسقاط المهر من عقد الزواج إذا اتفق الزوجان وارتأت المرأة أن تتنازل عن ثمن جسدها للزوج. والأمر متوقف عليها وحدها وليس في أحكام النكاح في أي مذهب ما يجعل صحة العقد متوقفة على ذكر المهر. وحين يصار إلى الفهم الصحيح للعلاقة الزوجية بوصفها علاقة تكافؤ وحاجة متبادلة، بما في ذلك وفي الأساس الحاجة الجنسية، لا يبقى لثمن الجسد معنى لأن التمتع بالزواج مشترك للزوجين وهو بذلك يختلف عن "مهر البغي" لأن المتمتع في هذه العلاقة هو الرجل وحده. وإنما جرى التشدد في المهور بسبب فقدان المرأة مصدر عيش إذا انفصلت عن الزوج وهو الغالب في العصر الماضي أما وقد دخلت المرأة مضمار العمل وصار لها مصدر عيشها المستقل فإن استمرارها في شرط المهر هو إقرار من جانبها بأن قبولها الزواج من فلان يعني أنها تبيع جسدها له. وينبغي التمييز بين المهر وعقد الزواج إذ كثيراً ما يختلطان في أذهان الناس ومنهم عامة المثقفين الذين لا يعرفون إلا القليل عن أمور الحياة المحيطة بهم. وبهذا المعنى للمهر لفقت المعارضة التقليدية في العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وظهور الشيوعيين إلى العمل العلني أهزوجة (هوسة) نسبتها إلى الشيوعيين تقول:

بس هالشهر ماكو مهر   ذبوا القاضي بالنهر...

يقصدون عقد الزواج.

وربما دغدغت هذه "الماكو مهر" بعض (الشيوعيين) فعلاً وهم على الأكثر من مثقفي الحركات الشيوعية الذين تعلموا الإباحية من الغربيين وألصقوها بالماركسية. وقد قال لي شيوعي سوداني، من كبارهم، لقيته في الصين إن الماركسية ليس فيها زواج. وكانت هذه فتوى منه لتسويغ العلاقة المفتوحة مع النساء شأن الفتاوى التي يصدرها رجال الدين وتدخل في باب الحيل الشرعية لتمشية مصالح التجار أو مجاراة الجنسانية الذكورية(*). وفيما يخص الأهزوجة (العراقية) فهي تجمع بين المهر وعقد الزواج وهذا الجمع في العامية التي تسمى جلسة عقد القران (كَتْب الكتاب) "مهر" فيقال: "اليوم مهر فلانة". وهو من باب التغليب في اللغة لكنه مثير لبلبلة اجتماعية بجمعه بين مصطلحين شرعيين لا يتشارطان.

تحديد النسل:

وردت أحاديث عن العزل لمن لا يريد الإنجاب من علاقة جنسية مع امرأة ما. وتختص غالباً بمن يقيم علاقة مع امرأة لا يراها صالحة لأن تكون أم أولاده. ويأتي ذلك استثناء من سياسة محمد في تكثير النسل. لكن الغزالي دافع عن تحديد النسل بوجه عام ورد على رجال الدين القائلين بتحريمه (إحياء علوم الدين- آداب النكاح) وكان العرب والمسلمون قد كثروا في زمان الغزالي واكتظت المدن الإسلامية بالسكان فانتفت الحاجة إلى تكثير النسل. وقد رأينا الغزالي يعدل أحكام نبيه في بعض الأمور. وهو في هذه المسألة يخالفه أيضاً بمراعاة اختلاف

* يميل مثقفونا على العموم إلى شيوعية النساء أكثر من ميلهم إلى شيوعية الأموال .

الظروف. وأقر بالتحديد المحقق الحلي من الشيعة وهو من مراجعهم الكبرى ووسيلته عنده هي العزل أيضاً واشترط أن يكون باتفاق الزوجين ورضاهما (المختصر النافع ١٩٧).

والمقصود بالعزل أن يقذف خارج الرحم لمنع الحمل. وبحث الأطباء المسلمون في وسائل طبية لهذه الغاية. وتردنا وصفة ترجع إلى طبيب العرب المخضرم الحارث بن كلْدة تختص بالرجل يقول فيها كما نقلت عنه المصادر الإسلامية أن من أراد أن لا يأتيه ولد فليدهن رأس الحشفة بدهن قبل الجماع. ولم تذكر المصادر ماهية هذا الدهن وتركيبه. واستحضر الأطباء المسلمون فيما بعد دواءً مأخوذاً من النعناع يكون على شكل تحميلة تحشى في الفرج قبل الجماع. وكانت الصيدلية الكيماوية قد تطورت بدءاً من الرازي في القرن الثالث وأمكن استحضار أدوية ومركبات كيمياوية تجاوزوا بها الأدوية البسيطة من النباتات. وليس لدينا مع ذلك معطيات عن مدى انتشار أدوية منع الحمل في العصر الإسلامي سوى أنها كانت معروفة لغير الأطباء، وقد ذكر الفيروز أبادي تحميلة النعناع في الفقرة المختصة به من القاموس المحيط مما يرجح اشتهارها عندهم. أما الاهتمام بتحديد النسل فهو قديم عند العرب من جهة الحاجة إلى تقليل العيال هروباً من الفقر. وسئل حكيم بن حزام من وجوه قريش في أول الإسلام: ما المال؟ فقال: "قلة العيال". وفي نهج البلاغة: "قلة العيال أحد اليسارين". (اليسار الأول هو المال الوفير واليسار الثاني هو قلة الأولاد- اليسار هو اليسر). ورُئي سفيان بن عُيينة على باب الخليفة فقالوا: ما هذا مكانك؟ فقال: "وهل رأيتم ذا عيال أفلح؟" يريد أن عياله ألجؤوه إلى الأخذ من الخليفة لحاجتهم مع كثرتهم.

وبخلاف وسائل تحديد النسل يمنع الإجهاض باتفاق الفقهاء. ووردت مع ذلك أدوية للإجهاض في دساتير الأدوية الإسلامية، فلعلهم مارسوه خارج التحريمات. وقد تأكدت من وجود هذه الأدوية في سوق البزورية بدمشق، وهو من أرمق أسواق الأدوية التقليدية في العالم العربي، إلا أن شيوخ الصنعة قلما يوافقون على صرفه لمن يطلبه. هذا مع أن أدوية سوق البزورية أقل تعقيداً من الأدوية الأصلية للأطباء المسلمين.

شروط في العقد:

يجيز أهل السنة شرط الرجل للمرأة في عقد النكاح أن لا يتزوج عليها. ولا يجيزه الشيعة. ويجيز السنة وبعض الشيعة تخيير المرأة بين البقاء والانفصال لغير ما سبب وعمدتهم فيه تخيير النبي لنسائه وهو من أحداث السيرة المتفق عليها. ومن الجانب العملي فإن التخيير مرتبط بأحكام المخالعة والنص عليه في الفقه هو لتقرير مبدأ طبقه النبي على نفسه. ووردتنا شروط في عقود الزواج المكتوبة على ورق البردي أعطاها الرجل للمرأة ففي عقد مؤرخ عام ٢٥٩ هـ يرد ما يلي: وشرط اسماعيل مولى أحمد (وهو الزوج) أن كل امرأة يتزوجها على امرأته عائشة بنت يوسف تقام تلك المرأة بيد عائشة تطلقها كيف شاءت من الطلاق". وهذا العقد محرر حسب المذاهب السنية.

توسع الشيعة في أحكام الجنس: ويدخل فيه إباحة المتعة المحرمة عند غيرهم، ومنهم الشيعة الاسماعيلية الذين يخالفون الإمامية فيها. وأساس الإباحة هو مخالفة عمر بن الخطاب إذ إن بعض أحكام الفقه الشيعي مبنية على المشاكسة بصرف النظر عن خطورتها. وقد أباحوا

قتل الفلاحين في حروب الفتح لأن عمر نهى عن ذلك وتشدد فيه. ومن الجانب العملي مورست المتعة في الوسط الشيعي كصيغة شرعية للبغاء وهي تمارس اليوم في إيران وفي حي السيدة زينب بدمشق على هذا النحو ولذلك تمنع منها بنات العوائل وتقتصر على من هي في حكم المومس. والفقهاء الذين سمحوا للبكر الراشدة أن تمتع نفسها بدون إذن وليها لا يسمحون لبناتهم أو أخواتهم بذلك! أما الشيعي العادي فيقتلها غسلاً للعار إذا فعلت. واخرج الطوسي في "التهذيب" وهو من الكتب الأربعة الأمّات حديثاً عن الصادق "لا تتمتع بالمؤمنة فتذلّها" وعلق عليه: حديث شاذ مقطوع.... واستطرد: "ويحتمل أن يكون المراد به إذا كانت المرأة من أهل بيت الشرف فإنه لا يجوز التمتع بها لما يلحق أهلها من العار ويلحقها هي من الذل" (٧/٢٥٣) وفي خبر آخر للطوسي أن المتمتّع بها ليست من الأربع (أي ليست الزوجة) لأنها لا تطلق ولا ترث وإنما هي مستأجرة (٧/٢٥٩) وفي خبر ثالث أنهن بمنزلة الإماء.

وللشيعة أحكام جائرة بخصوص الجواري (السراري). ففي "مفتاح الكتب الأربعة": إذا زوج الرجل عبده أمته (جاريته) ثم اشتهاها قال له: اعتزلها. فإذا طمثت وطئها (جامعها) ثم يردها عليه إن شاءت. (ج٥ ص١٠).

والأصل في فروع الكافي ٥/٤١٨. ويضع المحقق الحلي هذا الحكم في صيغة أخرى هي: "يحرم على المالك وطء (مجامعة) مملوكته إذا زوجها حتى تحصل على الفرقة وتنقضي عدتها إن كانت ذات عدة". وفي هذا وقوف على الحكم الشرعي. أما الحكم الذي ورد في مفتاح الكتب الأربعة، فيرتبط بالشهوة الطارئة للمالك ويتضمن إمكان التكرار من

غير تفرقة شرعية فهو من أبواب الزنا، أو المشاركة في امرأة واحدة مع آخر مما يتصل بالمراهطة، لكن المفروض على الجارية من دون إرادتها وهي قد تكون محبة لزوجها الشرعي ولا تشتهي غيره.

وأحلّ الشيعة جماع الفَهْر للجواري وهو أن ينام بين جاريتين ويتنقل بينهما في الإدخال ويقذف في إحداهما أو يجامع جارية وأخرى قريبة تتابع ما يجري بينهما وقد ينتقل إليها ليفرغ فيها. والفَهْر محرم عند بقية المذاهب. وفي أبواب النكاح من كتبهم باب يسمى "إعارة الفرج". استقصاه الطوسي في "الاستبصار" نقلاً عن محمد الباقر وابنه الصادق وهو أن تكون للرجل جارية فيعيرها لقريبه أو صديقه يتمتع بها ثم يعيدها إليه بعد أن تنتهي حاجته منها. ومبناها على القياس الشكلي بأن الجارية شيء مملوك فهي تعار كما تعار النخلة للاستفادة من تمرها. واختلفوا في الولد إذا ولدت الجارية المعارة فقال بعضهم يعتبر ابن المالك وقال آخرون إنه ابن المستعير. ونقل الطوسي عن موسى الكاظم وقد سئل عن إعارة الفرج: لا أحب ذلك . وفسره فقال: ليس فيه ما يقتضي تحريم ماذكرنا لأنه ورد مورد الكراهية. وقد صرح عليه السلام بذلك في قوله: لا أحب ذلك. فالوجه في كراهية ذلك أن هذا مما ليس يوافقنا عليه أحد من العامة (أهل السنة وغيرهم من فرق المسلمين) وبما يشنعون به علينا فالتنزه عما هذا سبيله أفضل وإن لم يكن حراماً.

سألت بعض وجوه الشيعة عن هذا الحكم فاتهموا به الفقهاء من أصل فارسي والطوسي منهم، وقد يكون الفرس أقرب إلى هذه الأمور لإباحتهم قديماً نكاح المحارم ولأنهم لم يمروا بمرحلة بداوة ونظام قبلي صارم يسيج المرأة بنطاق شديد من المحرمات، لكن الفقهاء الشيعة من

أصل عربي لا ينقضون هذا الحكم وقد أورده المحقق الحلي في كتاب النكاح من "شرائع الإسلام" ونص على جوازه.

تستند هذه الأحكام إلى افتراض أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبحها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة. وتشير من هذه الجهة إلى جنسانية الحضارة الإسلامية التي تتشكل فيها كرس مشترك مع الحضارة الأوروبية الحديثة كل بوسائله الخاصة به. لقد تضمنت الشريعة الإسلامية أبواباً للجنس تجعل ممارسته ميسورة وقليلة الكلفة وتناولها الفقهاء كأحكام إلهية أما الحضارة الأوروبية فانطلقت من نفس المنطلق وهو أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبحها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة، ووسائلها إلى ذلك رفع التابو عن الجنس. ويتوغل الغربيون في الطور الأميركي الراهن إلى مدى تجاوزوا فيه جنسانية الإسلام فأدرجوا في قوانينهم أحكاماً تتعلق بالشذوذ الجنسي للرجال والنساء تضفي عليه نفس الشرعية القائمة في الزواج الشرعي. والشريعة الإسلامية تعاقب على هذا اللون من الممارسة الجنسية ولو أن بعض الشيعة ومعهم بعض المالكية من السنة لم يحرموا ممارسة الشذوذ مع الزوجة على كره شديد(*). والمنطلق كما قلنا واحد في الحضارتين وهو الإفراط في مجاراة الغرائز(**). لكن المثقفية الإسلامية المعبرة عن وعي أقل حسية والمناهضة للذائذية رجال الدين اتجهت إلى ترقية الغرائز

---

* مع أن الكتب الأربعة للصدوق والكليني والطوسي تتفق على حديث نبوي يحرمها بنص قطعي .

** قال الغزالي في الإحياء ،

في الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة ويستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بها والا فيُستحب له الاستبدال . ومفاد كلام الغزالي أن الإسراف في الجنس عند الأقوياء عليه من المستحبات الشرعية التي يثاب عليها المسلم . والغزالي يتكلمها كرجل دين لا كفيلسوف وهو نفسه متعفف مترفع .

وتهذيبها بالإرادة وغالباً ما جرى ذلك في تنافر مع المسلمات الدينية وجاءت أمثولاته الأرقى من الفئات العقلانية القريبة من الإلحاد، وهم بالجملة أقطاب التصوف والفلاسفة وكبار المتكلمين والثوار من معارضي الدولة. ومعهم مؤسسو الفقه الأوائل ورواده الكبار في العصور التالية. وقد وصلنا تراث طهراني من هذا الوسط يناصف التراث الجنساني. لكن المجتمع الإسلامي كان في عمومه أشبه بالمجتمع الأوروبي الحديث في جنسانيته العديدة الأطراف، والمرعية هنا من الشرع الإسلامي وهناك من الإيديولوجيا الغرباوية: هذا الشرع في مجاراته للغرائز، وتلك الإيديولوجيا في فرديتها الطاغية المستندة إلى نظام الاقتصاد الفردي المتحكم في منظومة القيم الغرباوية(*) والآيل من ثم إلى اجتراح مفهوم سائب للحرية الفردية يساوق بين حرية التاجر الرأسمالي في البحث عن الأرباح وحرية الفرد العادي في الركض البهيمي وراء الغرائز. وجنسانية الغربيين على أي حال أعدل من جنسانية الإسلام لأنها تعم الجنسين: ولو أنها بهذا العدل فتحت باباً أوسع للعاهات الجنسية وآخرها وباء الأيدز الذي هو مرض غرباوي في المقام الأول ومرجعية الغرب فيه كمرجعية الهند في الطاعون.

---

* أنا مضطر إلى استعمال هذه الصيغة غرباوي بدل غربي لتفادي اختلاطها بالعربي إذا طارت النقطة وهي غالباً ما تطير .

أصل الاختلاط أن غرب في العربية تطور عن الآرامية (وهو فيها بالعين فجعلته العربية بالغين والغين من مستحدثاتها) وشاءت الصدف أن تسمى هذه الأمة السامية بالعرب وأن يكون الغرب نقيضها الأكبر فتتجاوران في الكتابة أكثر من غيرهما ليقع الخلط بينهما لضآلة الفارق .

الحجاب

كانت الشعوب القديمة تهتم بغطاء الرأس بسبب انكشاف الناس للطبيعة. وتختلف أغطية الرأس بين الشعوب كما بين الرجال والنساء. وكان رجال العرب يتعممون ونساؤهم يتخمرن. والخمار ليس للحجاب بل هو كما يلبس الرجال العمائم. وكانت الجاهلية تسدل خمارها على كتفيها وتكون حرة في ترك صدرها وبعض ظهرها مكشوفين، مع الوجه. وكانت تتزين بالحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ والعقيق وغيرهما مما هو متوفر في العربيا. وليس لدينا ما يدل على أنها كانت تلبس ثياباً قصيرة يظهر منها أعلى الساق أو أعلى الذراع. والزي المشترك لنساء الشرق القديم، عدا المعاشر البدائية، يكون في العادة طويلاً وفضفاضاً لا يتقسم على الجسد. لكن الأقدام وقسم من الساعد كانت تظهر عاطلة أو محلاة. وقد استمرت المرأة على هذا الزي بعد الإسلام حتى السنوات المبكرة من الهجرة إلى المدينة. ثم جاء الأمر بالحجاب.

فرض الحجاب بآيتين: الأولى هي الآية ٣١/ نور "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها. وليضربن بخُمُرهن على جيوبهن".

في هذا الآية أمر بستر الصدر يؤديه قوله: وليضربن بخمرهن (جمع خمار) على جيوبهن. والجيب قديماً هو الزيق الذي ينكشف عن الصدر.

والمقصود هو إسدال الخمار الذي يغطي الشعر على الصدر حتى يغطيه. أما الاستثناء الذي تضمنته الآية فيما يخص الزينة فيتعلق بما يسمح بإظهاره منها. والزينة يدخل في عدادها الحلي والزواقة. وكانت الحلي هي الأساور والقلائد والخواتم و الخلاخيل. أما الزواقة فللوجه. والستر لا يختص بالحلي بل بمواضعها ،ويمكن للقلادة أن تدلى فوق الثياب الساترة للصدر. لكن الأساور والخلاخيل والخواتم إنما تلبس فوق الأجزاء العارية. وفي غزلية لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير تحدث عن مشي النساء بخلاخيلهن وأنه تطلع إليهن عسى أن يرى حبيبته بخلخالها أو قلادتها. ولا يشمل الستر زينة الوجه. وأورد الغزالي في إحياء علوم الدين -كتاب آداب النكاح- مأثوراً يقول إن أحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وأحب طيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه.

الآية الثانية ٥٩/ أحزاب ونصها: "ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين." ويتفق المفسرون على أنها جاءت بعد حوادث تعرضت فيها النساء الحرائر لمضايقات الشباب في المدينة. وكان هؤلاء يلاحقون الجواري (الإماء) لكن عدم اختلافهن في الزي عرّض الحرائر للتحرش مع الجواري فاشتكت الحرائر إلى أهليهن فجاءت الآية تأمرهن بحجاب إضافي يميزهن عن الإماء. وهذا ما صرحت به الآية "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤذين" وكانت وسيلة القرآن إلى ذلك هي "إدناء الجلابيب".

وبين المفسرين كما اللغويين خلاف حول معنى الجلباب فقد فسروه بالخمار أو الملحفة أو القناع أو الثوب الذي يستر البدن من أعلاه إلى أسفله، أو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء أو كل ثوب تلبسه المرأة

فوق ثيابها. واختار القرطبي في "أحكام القرآن" أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. ولاختياره شاهد في قول المتنبي عن البدويات "حمر الحلى والمطايا والجلابيب" فقد أراد الملابس لا مجرد الخمار أو الرداء. وهذا المعنى هو المعروف اليوم في صيغة "جلابية" وهي ثوب فضفاض طويل تلبسه المرأة أو الرجل في شتى البلدان العربية. على أن المفسرين والفقهاء أخذوا الآية على أنها أمر بستر الوجه كعلامة تميز الحرة عن الجارية، وبهذا التفسير تكون الآية ٥٩/ أحزاب ناسخة للآية ٣١/نور، غير أن التفاسير لم تنص على ذلك. ومن متابعة أقوال المفسرين نراهم عند تفسير الآية الأولى يتحدثون عن كشف الوجه وحين يتناولون الآية الثانية يتحدثون عن ستره دون أن يلتفتوا إلى التعارض بين التفسيرين. وهذه مشكلة صعبة الحل ومنشؤها تلك العبارة العائمة في الآية الثانية "يدنين عليهن من جلابيبهن" لكنْ في الآية شيء واضح محدد هو التعليل الذي أعطته للأمر بإدناء الجلابيب. وسنعود إليه بعد قليل. ونشير هنا إلى أن حجاب الوجه فرض على النساء في غضون العصر العباسي بقدر ما يخص الحرائر. أما قبل ذلك أي في القرنين السابقين فالروايات متضاربة. وقد أشارت بعض مصادر التفسير إلى أن نساء المدينة حجبن وجوههن بعد الآية ٥٩/ أحزاب. وعليها اعتمد المتشددون من الفقهاء في حجاب الوجه. لكن مصادر الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام والأوان الأموي تفيد أن النساء كن سافرات الوجوه حتى في الطواف حول الكعبة وهو ما صيّر الحج موسماً للحب جعل عمر بن أبي ربيعة يقول:

ليت ذا الحج كان حتماً علينا كل شهرين حجة واعتمارا

ولا بد على أي حال أن تكون الآية ٥٩/ أحزاب قد أمرت بحجاب إضافي للحرائر لا نعرفه بالضبط. وتقول التفاسير إن الإماء كن -شأن الجاهليات- يكتفين بالخمار للرأس والدرع والصدر. والمتفق عليه أن الجواري غير مشمولات بحكم الحجاب. وتخبرنا مصادر التفسير أن عمر ابن الخطاب كان يتشدد في منعهن من التحجب، كما تردنا رواية لابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أمر أن لا تلبس أمة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر-ترجمته في الطبقات- ويفهم من هذا أن الجواري كن يتطوعن أحياناً للتحجب تشبهاً بالحرائر (مما يقع عادة لدى الفئات السفلى التي تنزع لتقليد الفئات العليا بتأثير وهم التحضر)(*) .والعلة في تشدد العمرين في هذا الشأن هي ضبط سلوك الحرائرمع صيانتهن من الاعتداء لأن الجواري كن منفلتات لعدم انتسابهن إلى عوائل. لكن هذا التمييز في الحجاب له سابقات في الحضارات السامية الأقدم. فقد ألزم القانون الآشوري الحرائر بحجاب يشمل الرأس عند الخروج من بيوتهن ومنع الجواري من ذلك. ولا أعرف العلة فيه ومـاإذا كان قد أريد بها نفس الغاية التي توخاها المشرع السامي اللاحق.

كذلك يمكن الاستنتاج من حكم الآية ٥٩/ أحزاب أن الحجاب لم يفرض للتحرز من فتنة النساء للرجال فمصدر الفتنة هو الجواري في المقام الأول لأنهن في الغالب أجمل من الحرائر وأقدر منهن على التلاعب

* كانت نساء بغداد في الجيل الماضي يتبرقعن بالبرقع الفارسي المسمى (بوشي) وكانت نساء ريف العاصمة المسمى كرادة (فتح الكاف وتشديد الراء) لا يتبرقعن على ديدن نساء الفلاحين والبدو . لكن الموسرات من نساء الكرادة كن يقلدن نساء بغداد فيلبسن البوشي . وهذا للإشعار بأنهن قطعن خطوة نحو التحضر يتقدمن بها على أقرانهن الفقيرات . ويخضع هذا التصرف للدافع النفسجتماعي ذاته الذي يكمن وراء تشبه الجواري في الحجاب ، رغم أن منطق التحرر وبالتالي منطق التمدن هو في هذه المسألة مع الجواري لامع الحرائر ومع الكراديات لا مع البغداديات .

بعقول الرجال. إن هذا ما جعل المفسر الأندلسي أبا حيان صاحب "البحر المحيط" يخالف زملاءه المفسرين فيقول بعموم الحجاب للحرة والأمة. وقال إن الفتنة بالإماء أكثر. لكن تفسير أبي حيان هو بمثابة اجتهاد في موضع النص، الذي تضمن تعليلاً صريحاً للحكم يحصره في تمييز الحرائر عن الجواري. كما أنه متعارض مع تطبيقات الآية في صدر الإسلام. ولو أن الغرض كان درء الفتنة لكان الأمر بالتحجب عاماًو بل ولكان المتوقع أن يتشدد المشرع في حجب الجواري ويتساهل في الحرائر.

إن الخوف من الفتنة هو الاعتبار الذي راعته الآية ٣١/نور في نهيها عن إبداء الزينة -التبرج في اصطلاح القرآن- وأمرها بستر الشعر والصدر. وهذه الآية هي آية الحجاب الأصلية وفيها تتعين حدوده غير المقيدة بوضع أو زمن لأنها صدرت عن التحسس ضد الإغراء لدى المشرع الإسلامي. وهي لم تضف الكثير على الزي الجاهلي سوى ستر الصدر وزيادة الحشمة بعدم إظهار مفاتن الجسد.

وقد استثنيت من قيود الآية فئة من النساء ذكرت في آية لاحقة من السورة نفسها رقمها ٦٠ وهذا نصها: "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فلا جُناح عليهن أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة. وإن يستعففن خير لهن -الجناح بالضم هو الإثم والحرج. والقواعد في الآية هن النساء من اللواتي بلغن سن اليأس وما في حكمه مما يوقف حاجة المرأة إلى الرجل، ولا يجعل حالها من جهة أخرى مثيراً لشهوته. والآية تنص على إعفاء هذه الفئة من النساء من القيود التي فرضت عليهن في الآية السابقة. وهو قول المفسرين في مجموعهم. ويستفاد من هذا الاستثناء أن الآية الأصلية مختصة بالنساء في سن معينة هي التي

يكنّ فيها مستعدات أو قابلات للعلاقة الجنسية -بينما يستدل من الآية الأخيرة جواز خروج المرأة التي تعدت هذا السن حاسرة سافرة.

لم يلتفت الفقهاء، مع أخذنا بتفسيرهم للآية ٥٩/ أحزاب أي أنها أمر بحجاب الوجه، إلى أن حكمها موقوت لكونه متوقفاً على وجود الجواري. كذلك لم يطبق حكم الآية ٦٠/نور فيما يخص القواعد من النساء فعاشت المرأة المسلمة تحت الحجاب من صباها حتى شيخوختها. ويصطدم التعامل مع الأولى باعتبارين: افتراض أبدية الأحكام الشرعية استناداً إلى حديث يقول إن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وكون الخطاب الإلهي قد انطلق من قرار آخر إلهي أيضاً هو الوجود الأبدي للرق. ومن الملحوظ هنا أن المجتمعات المتأدلجة تزداد انغلاقاً مع ترسخ سلطتها السياسية القائمة على العقيدة. ومن غير أن نهمل الخروقات التي تقوم بها الهرطقة تحت مؤثرات النمو الثقافي والمدني فإن فعل الدوغما غالباً ما يتضخم في هذه المجتمعات حتى على حساب النص المقدس. ولقد أهمل توجيه محمدي هام بعدم الغلو في الدين فكانت القيود والتحريمات تتضخم مع انحسار رقعة الفكر الإسلامي وانطفاء العقلانية الكلامية والفلسفية تاركة مساحات متزايدة تنشط فيها العقيدة. ومر بنا أن اجتهادات في موضع النص صدر عنها فقهاء ومفكرون لصالح تسويء الآثار السلبية للأحكام وكان يمكن أن تخدم هذه الهرطقات الفقهية مصالح التطور نحو الأفضل، فبدلاً من أن يحكم فقيه بمنع النساء من الخروج إلى المسجد خلافاً لتعاليم نبيه كان سيفتي بتقليص عدد الزوجات إلى واحدة بعد أن قلصه أسلافه إلى أربعة... وهو في كلتا الحالتين يرتكب مخالفة للأصول مجتهداً في

موضع النص. يمكن أن نسجل في هذا المقام بعض المفارقة في التعامل مع الشريعة والعقيدة. فبينما تقضي مصالح التطور إعادة النظر في أحكام الشريعة -أي شريعة- لاستبعاد مالم يعد ملائماً للظروف المستجدة، يصار إلى استبعاد أحكام فيها ملاءمة لتلك الظروف لأن نمو العقيدة وترسخها يقضي بزيادة التحريمات. وهذه نزعة شاملة تقع في المجتمعات المتأدلجة من دينية ودنيوية.

حكم المضيّفة.....

المضيّفة عند المعاصرين هي التي تتولى تضييف الناس في موقع ما: واسطة نقل بعيد أو فندق أو مطعم. وهو اسمها الذي يجب أن تتحلى به بدلاً من خادمة أو نادلة وبه يجب أن يسمى زميلها المضيّف بدلاً من خادم أو نادل أو جرسون. يلفظها الناس بتشديد الياء وهو لفظها في القرآن: "فأبوا أن يضيّفوهما".

أخرج البخاري في كتاب النكاح من صحيحه، الباب السابع والسبعين ما يلي: "لما عرّس أبو أُسيد الساعدي دعا النبي وأصحابه، فما صنع لهم طعاماً ولا قربه إليهم إلا إمرأته أم أُسيد. وبلّت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي من الطعام أماثته له فسقته تتحفه بذلك".

وفي رواية ثانية جاءت متممة لهذه الرواية: "كانت امرأته يومئذٍ خادمهم.... انقعت تمرات من الليل فسقته إياها" أي النبي.

ورد الحديث بروايتيه في باب: "جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". وفي هذا العنوان وفي أسلوب عرض الروايتين ما يدل على أنه كان موضع خلاف: "فما صنع لهم طعاماً ولاقربه إليهم إلا امرأته" ويمكن أن نستدل منه أن المسلمين في زمن لاحق لم يهضموا هذا الشكل من

العلاقة بين الرجال والنساء فتماروا فيها فجاءت هذه الرواية لتضع حداً للخلاف حولها.

وفي هذا المساق كتب محقق جديد من رجال الدين لصحيح البخاري تعليقاً جاء فيه: أولاً إن ذلك كان قبل أن يفرض الحجاب، وإذ لم يجد دليلاً في مصادره يؤكد قوله هذا استدرك قائلاً: "على أنه ليس في مجموع طرق الحديث ما يدل أنها جلست معهم أو أظهرت لهم الزينة أو مواضعها، وعليه فلا إشكال ولا ممسك لذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة في مثل هذه الحوادث إذ لا يمتنع دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم إذا كانت هناك حاجة وكانت محجبة بالحجاب الذي افترضه الله عز وجل".

إن الشيخ المحقق يقف حائراً أمام هذا الحديث بعد أن رأى خطره على ثوابت في فقه النساء فجاء تعليقه مضطرباً متناقضاً، يقول أولاً إن هذا كان قبل فرض الحجاب ثم يعود فيقول إن دخول المرأة مجالس الرجال غير محرم إذا كانت متحجبة. وافتراضه الأول يعني أن أم أسيد خدمت ضيوفها وهي سافرة أما الثاني فيفترض أن الحديث يحتفظ بدلالته على جواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم. واشتراطه التحجب تدخل منه في مجرى الحديث إذ لم تنص رواية البخاري أنها كانت سافرة أو متحجبة. ينضاف إليه أن قول الشيخ بجواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم هو فتوى له مستندة إلى الحديث رغم تطيره منه. ومضمون الفتوى بيّن في عنوان الرواية: "جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". أما اشتراطه الحجاب عند الخدمة فغير وارد صراحة في قصة أم أسيد. ومن المفروض على أي حال أنها لم تكن متخلعة كما لم تظهر من زينتها ما

يصل بها إلى التبرج المحرم. وفيما يخص آية الحجاب الثانية كما فهمها الفقهاء فإن أم أسيد غير مشمولة به لأن الغرض من الآية اتخاذ علامة تميز الحرة عن الجارية في الطرق والأسواق، وأم أسيد كانت في بيتها ويعرف ضيوفها أنها حرة فلم تكن بها حاجة إلى علامة تميزها من جهة الأمر الشرعي وإنما المطلوب هو أن تكون محتشمة الهيئة. وهذه الحشمة هي ما تشترك فيه حضارات الشرق والأديان السماوية الثلاثة. وهي أيضاً ما اتبعته المجتمعات الشيوعية الحديثة قبل انحلالها فقد كانت المرأة السوفييتية حتى نهاية عهد ستالين والمرأة الصينية حتى عام ١٩٧٩ محتشمة في ملابسها لا ترتدي الثياب القصيرة ولا الكيمونو ولا تسرف في إظهار زينتها أثناء العمل. وسنفصل ذلك في القسم الأخير من المؤلف... والمشكلة التي تواجهنا في أمور كهذه هي العقيدة وآلية تقويتها بالمزيد من القيود والتحريمات إلى الحد الذي يجعل المؤمنين الخلص يفزعون من بعض نصوص الكتاب والسنة كما يفزعون من كلام المارقين والزنادقة فيسرعون إلى تأويلها لئلا تخرجهم عن يقينهم.

أسماء نسوية

ألف المؤرخ السوري عمر رضا كحّالة معجم "أعلام النساء" ضمنه ما وصل إليه استقصاؤه من الشخصيات النسوية في العصر الإسلامي وما بعده ويقع في خمسة مجلدت تعطينا مراجعتها فكرةً عن دور المرأة المسلمة في حياة عصرها. والدور صغير كما هو في كل زمان ومكان قبل العصر الحديث الذي شهد زيادة كبيرة في مساهمات المرأة التي بقيت مع ذلك صغيرة بالقياس إلى الرجال قبل أن تقفز إلى أرقام قياسية جديدة في المجتمعات الشيوعية المجهضة كما سيأتي لاحقاً. وهذه قائمة أولية بأسماء نساء كان لهن شأن في عصور الإسلام وفيها بعض ما فات المرحوم عمر كحالة.....

١- في معركة اليرموك نظّم خالد بن الوليد النساء في صفوف وراء المقاتلين وسلحهن بالسيوف وأمرهن أن يقتلن أي هارب من المعركة. وكان أبو سفيان حاضراً في الموقع فخفف الأمر وقال لهن: "من رأيتنه هارباً فاضربنه بالحجارة والعصي حتى يرجع". وأبو سفيان رجل سياسة وخالد رجل حرب. والذي حمل على هذا الإجراء هو قلة المقاتلين المسلمين بالقياس إلى البيزنطيين (نسبة ١/٣). وقامت النساء بماطُلب منهن حسب توجيه أبي سفيان فاستعملن الحجارة والعصي لرد الهاربين إلى

الجبهة. وشارك بعضهن في القتال بالسيوف التي سلحهن بها خالد وقتلن الكثير من جنود البيزنطيين المتقهقرين.

٢- كان أشهر الخطباء المحرضين في معسكر العراقيين بمعركة صفين من النساء. ووردتنا نصوص من الخطب النارية التي ألقينها يوم ذاك في كتاب "بلاغات النساء" لأحمد طيفور، من معاصري المأمون. والكتاب مصدر هام وقديم جداً لنشاط المرأة في صدر الإسلام. ويفتقر إلى طبعة شعبية محققة ومشروحة ليكون في متناول عامة القراء. وآمل أن تنهض امرأة ما بهذه المهمة فالكتاب يعدد مآثرهن وبطولاتهن.

٣- ينفرد الخوارج بكثرة النساء في صفوفهم. وكن يباشرن القتال ويقعن في الأسر. وكان زياد وابنه عبيد الله والحجاج يقتلون الأسيرات الخارجيات على خلاف التقاليد العربية التي تمنع قتل المرأة لأي سبب. وأظهرن من البطولة في ساعة القتل ما يثير العجب إذا صدر من الرجال. ولم يردنا الكثير من أسمائهن سوى أم حكيم زوجة قطَري بن الفُجاءة وغزالة زوجة شبيب أو أمه أو كلتيهما. وشبيب قد يكون أعظم بطل أنجبه تاريخ الإسلام وكانت غزالة في مستوى عظمته بالتمام. وإليها يشير شاعر من صنائع الأمويين:

أقامت غزالة سوق الضراب
لأهل العراقين حولاً قميطاً (تام)
غزالة في مئتي فارسٍ
تلاقي العراقان منها البطيطا

يريد بـ(العراقان) جنود الدولة في العراقين والعراقان هما البصرة والكوفة. وقال آخر يعير الحجاج بهروبه منها:

هلا برزت إلى غـــــزالة في الوغى

أم كـــــان قلبك في جناحي طائر؟

٤- كشف المؤرخون عن أسماء نساء مجهولات تولين إدارة التنظيم السري للشيعة في أوائل الأمويين منهن: هند الناعطية وكان بيتها وكراً للشيعة في البصرة وليلى المُزَنية مثلها. وكان لليلى أخ يدعى رفاعة على نهجها إلا أنه معتدل فكانت لا تحبه بسبب اعتداله.

٥- الضريح المسمى باسم السيدة زينب في ضواحي دمشق ليس لها على وجه التحقيق. زينب امرأة مجهولة المصير لا يدري أحد أين ماتت ومتى. كانت قد استوعبت الدور الذي رسمه لها أخوها الحسين في كربلا وتمكنت من إنقاذ ابنه الوحيد الذي بقي حياً بعد المعركة. وكان قد تعرض للقتل مرتين واحدة على يد والي الكوفة عبيد الله بن زياد والثانية على يد الخليفة الأموي في الشام. وهي التي اضطرت الخليفة الأموي إلى لفلفة القضية والإسراع بإعادة الأسرى إلى الحجاز بتأثير الدعاية التي قامت بها في دمشق. وبعد عودتها إلى المدينة تصدرت حملة التشهير بالأمويين. ثم إنها اختفت فلم يعرف لها مصير. وينبغي أن يكون الأمويون اختطفوها إذ لم يجرؤوا على اعتقالها علناً وجرت تصفيتها من ثم ودفنت في مكان مجهول. ومصير هذه المرأة من الأحداث الغامضة في تاريخ الإسلام. أما ضريح السيدة الدمشقي فينسبه ابن عساكر مؤرخ دمشق إلى أختها الصغرى وكان اسمها زينب أيضاً. ولم يكن لها شأن يذكر في الأحداث. وقد اخترع الفاطميون ضريحاً ثانياً لزينب الكبرى وأقاموا عليه المسجد الكبير الذي هو الآن من معالم القاهرة. وهو ضريح بلا مضروح.

٦- كانت لنساء البلاط العباسي والأندلسي وبلاطات السلاطين فيما بعد أدوار سلبية هي الأدوار المعتادة لنساء البلاط في أي مكان لا سيما في أوانات تفكك الأسر الحاكمة وفساد الدول. وبرزت من نساء العباسيين قبيحة أم المقتدر وقهرمانتها تَمَلّي التي تولت النظر في المظالم برصافة بغداد وكان يحضر مجلسها القضاة والفقهاء. وهذه المرأة وسيدتها ومن على شاكلتها يتقن من فنون الكيد والتآمر أكثر مما يعرفن من أمور السياسة. وهن من مظاهر الفساد اللازمة عن فساد الدولة. ولا شك في أن القضاة والفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلسها هم موظفو دار الخلافة وليس الرواد العظام للفقه والقضاء.

٧- مع ازدهار واتساع الحركة الثقافية كان لا بد من موقع للمرأة. وهنا لانعثر لها على موقع في النشاط الكلامي والفلسفي. ونعثر على طبيبة واحدة فقط في معجم ابن أبي أصيبعة الضخم عن أطباء اليونان والسريان والإسلام، وعلى مساهمات في الأدب والشعر ولكن من غير أن نظهر على شاعرة كبيرة كالخنساء. لكننا نقف على مساهمات جليلة في الفقه والحديث والتاريخ فنقرأ أن من بين شيوخ ابن عساكر ثمانين امرأة. وابن عساكر أحد كبار مؤرخي الإسلام في جميع العصور وكتابه الأرأس "تاريخ دمشق" من الأمات. ونقرأ عن المؤرخ البغدادي ابن النجار في القرن السابع أنه تخرج على ثلاثة آلاف شيخ بينهم أربعمائة امرأة.

وكان لها حضور في التصوف. ورابعة العدوية من الأقطاب. وفي مراجع الصوفية أخبار عنهن تدل على انتشار التصوف بينهن، ويبدو مع هذا أن القليل منهن من بلغ القطبانية... وقلما نعثر في كتب طبقات

الصوفية على اسم بوزن رابعة. وفي أخبار أبي يزيد البسطامي أن امرأة تنازلت عن مهرها لزوجها لقاء إيصالها إليه وكان الرجل من عامة الناس وزوجته تنزع إلى التصوف فلما رأت البسطامي وجلست إليه ألقت الحجاب وسمعت منه وسمع منها فلما انتهى اللقاء قال لزوجها: "خذ الفتوة من امرأتك".

ونرصع ما يلي من الصفحات بأسماء للمشاهير منهن انتقيناها من البداية والنهاية لابن كثير وهن في الغالب من نساء الفقه والحديث.

- أم عيسى بنت ابراهيم الحربي عالمة فاضلة تفتي في الفقه توفيت عام ٣٢٨هـ. وإبراهيم الحربي نسبة إلى قنطرة حرب من محلات بغداد الإسلامية لغوي وفقيه من الأحبار أجاع نفسه وزوجته وبناته لرفضه القبض من الخليفة. بعث إليه المعتضد ألف دينار لما بلغه الخبر عن جوعه فلم يقبلها فأعاد عليه الكرة فأبلغه: "إن كنت لا ترغب في جوارنا رحلنا عنك" فأمسك....

- ابنة الشيخ أبي الزاهد المكي كانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة وكانت تقتات من كسب أبيها من عمل الخوص في كل سنة ثلاثين درهماً يرسلها إليها فاتفق مرة أن أرسلها مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً فلما اختبرتها قالت: هل وضعت في هذه الدراهم شيئاً من مالك؟ أصْدُقني بحق الذي حججت إليه. فقال: نعم عشرين درهماً. فقالت ارجع بها لا حاجة لي فيها ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك. فقال خذي منها الثلاثين التي أرسل بها أبوك ودعي العشرين فقالت: لا إنها اختلطت بمالك ولا أدري ماهو: (تقصد لا أدري من أين كسبت هذا المال).

ملحوظة: الأدلجة الروحية للدين، أي دين، تفرز معادلات اجتماعية من هذا النمط. ومع أن أهل الدين يريدون سعادة الدارين فإن الطاقة الروحية التي تخلقها الأدلجة قد تفعل فعلها في تجريد موضوعها من اللذائذية الدينية... امرأة ترجع إلى أصول دينية مغلقة تنشئ لها علاقة روحية مع السماء فترتقي في مدارج التجرد إلى حد الاستغناء المطلق عن الرخص الشرعية.

- ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله المحاملي أم عبد الواحد، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والنحو وغير ذلك. وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة. وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة إلى فعل الخيرات. توفيت عن بضعة وتسعين، عام ٣٧٦هـ.

- أم السلامة بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل فقيهة محدثة، حدث عنها الأزهري والتنوخي وأبو يَعلى بن الفراء وغيرهم (٣٩٠هـ)

- خديجة بنت موسى الواعظة وتعرف ببنت البقال وتكنى أم سلمة. كانت فقيرة صالحة فاضلة كتب عنها الخطيب البغدادي مؤلف (تاريخ بغداد).

- كريمة بنت أحمد قرأ عليها الخطيب صحيح البخاري في خمسة أيام. (الغرض من القراءة ضبط نصوص الكتاب وشرح مبهماته).

- المروزية (لم يذكر اسمها) كانت عالمة صالحة سمعت صحيح البخاري على الكُشْميهَني وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبي مظفر السمعاني وغيرهما.

- فاطمة بنت علي (بنت الأقرع) كانت تكتب على طريقة ابن البواب ويكتب الناس عليها. وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك

الروم وكتبت مرة إلى عميد الدولة الكندي رقعة فأعطاها ألف دينار (٤٨٠هـ)

/خطاطة على طريقة ابن البواب أشهر خطاطي العصر العباسي. والهدنة التي كتبتها بخط يدها هي اتفاقية لوقف القتال مع البيزنطيين. وكانت مثل هذه الاتفاقيات تعقد بين الحين والآخر لإقرار هدنة موقتة وتبادل الأسرى. /

ـ فاطمة بنت الحسين بن فضلويه سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات. وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره.

ـ الشيخة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم زوجة النجم بن اسرائيل كانت من بيت الفقر لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام في طريقة الحريرية وغيرهم /يشير إلى تصوفها/ حضر جنازتها خلق كثير سنة ٦٨٨هـ.

ـ فاطمة بنت عباس أم زينب البغدادية من أهل القاهرة كانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم على الأحمدية(*) في مواخاتهم النساء والمردان وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم وتفعل من ذلك مالا يقدر عليه الرجال. وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره. وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني (موسوعة فقه حنبلي) أو أكثره وأنه كان يستعدلها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها....

---

* الأحمدية من فئات المتصوفة في دور الانحلال كانوا إباحيين .

ملحوظة: لا بد من سؤال عن سبب كثرة المشتغلات في علوم الدين من النساء وقلتهن في الفروع الأخرى وأجيب أن المرأة هنا لا تواجه معوقات إذ لا يجرؤ أحد على منعها من قراءة القرآن والحديث وهي إذا أتمت ذلك أمكنها التوجه لدراسة الفقه وقد يحدث لها ميل إلى التصوف فتأخذ بطرف منه قليل أو كثير. وإذا تفقهت يعسر عندئذ منعها من الاجتماع إلى الرجال أو اجتماع الرجال إليها. وكانت هذه طريقة ميسورة لمساهمة المرأة المسلمة في الحياة العامة. ولا يحسب القارئ أني أتحدث عن كيدهن فهذا من تسويلات النفس الباطنة حين تقفل عليها أسباب الحركة فتلتمس لها منافذ. والعلة عندي أن المرأة في الحضارات الأبوية تكون أميل إلى الدين والغيبيات فربما وجدت المرأة المسلمة تحقق كينونتها في الفقه والحديث أكثر مما في الطب والعلوم الدنيوية الصرفة. وهي على أي حال قد أظهرت كما يتبين من هذه الأمثولات قدرتها على مضاهاة الرجال في مجالات محتكرة لهم وتقدمتهم حين فرضت عليهم التلمذة لها.

ابن رشد والمرأة

تحدث ابن رشد عن المرأة في "جوامع سياسة أفلاطون" وهو من كتبه المفقود أصلها العربي وصلنا عنه تلخيص لارنست رينان في كتابه "ابن رشد والرشدية". ورأيه في المرأة هو رأي المعاصرين من غلاة أنصارها ونقتبسه بنصه كما أورده رينان مترجماً عن اللاتينية إلى الفرنسية وترجمة عادل زعيتر إلى العربية في لغة ليست قريبة من لغة ابن رشد وحاولت تقريبها جهد الإمكان بالتصرف في عبارات المترجمين:

"تختلف النساء عن الرجال في الدرجة لا في الطبع. وهن أهل لفعل جميع ما يفعل الرجال من حرب وفلسفة ونحوهما ولكن على درجة دون درجتهم، ويفقنهم في بعض الأحيان كما في الموسيقى، وذلك مع أن كمال هذه الصناعة هو التلحين من رجل والغناء من امرأة ويدل مثال بعض الدول في إفريقيا على استعدادهن الشديد للحرب. وليس من الممتنع وصولهن إلى الحكم في الجمهورية (يشير إلى جمهورية أفلاطون) أولا يرى أن إناث الكلاب تحرس القطيع كما تحرسه الذكور؟"

- كتاب جوامع سياسة أفلاطون هو تعليق ابن رشد على جمهورية أفلاطون ثبّت فيه أفكاره الخاصة به كما كان يفعل دائماً في شروحه على أرسطو. وهو في حديثه عن المرأة يخالف أساتذته اليونان والمسلمين معاً

فينكر الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة ويساويها مع الرجل في الكفاءات الذهنية والعملية. ويرى أن وصول المرأة إلى رئاسة الدولة هو من الأمور الطبيعية الممكنة. وفي هذا رد على حديث "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة". ولا تقلّ كفاءة المرأة عن الرجل حتى في الحروب. على أن المثال الذي يشير إليه من بعض الدول الأفريقية مبهم وهناك تصرف في الترجمة بخصوص الكلام على الدولة الأفريقية فهذا الاسم كان يطلق على جزء من بلاد المغرب يحوم حول تونس ولم يكن التقسيم إلى قارات متبعاً عند الجغرافيين. ويتخذ ابن رشد من حالة إناث الكلاب دليلاً طبيعياً على صلوح المرأة للرئاسة، والطبيعة عنده تعمل بقانون واحد في الحيوان والإنسان ويتطابق فعلها فيما يخص هذه المسألة من جهة أن الأنوثة ظاهرة طبيعية تفعل في نطاق مجتمعي.

الزوجة النموذجية عند العربي النموذجي

نقل الشريف المرتضى في أماليه عن خالد بن صفوان وصفاً للمرأة التي يريدها زوجة له. وخالد بن صفوان من ارستقراطيي البصرة، مدينة التجارة والأرستقراطية في زمنه. وعرف بأدب ثر ولسان طليق وكان يجمع تقاليد البداوة إلى مستلزمات الحضارة فيتكلم بلسان أعرابي فطن يرجع إلى أصالة بدوية صلبة لكنها تتجلى من خلال شخصية متنفذ مدني كثير المال واسع النفوذ. ووصفه للزوجة النموذجية مشترك مع التصورات العربية المتجذرة في الجاهلية والمتبلورة في الإسلام عن النساء كزوجات:

١- أريد بكراً كثيبٍ وثيباً كبكر:

-تجمع بين محاسن العذراء وعقل المرأة المجربة.

٢- لا ضَرَعاً صغيرة ولا مسنة كبيرة:

-لا صغيرة السن ضاوية الجسد ضئيلة ولا تجاوزت سن الشباب فترهلت وتضخمت.

٣- لم تقرأ فتجبن ولم تتفتْ فتمجُن:

ليست من القراء. والقراء هم قراء القرآن وناسخوه وحفّاظه. لزمهم هذا الاسم حتى أوائل العصر العباسي وكانوا بمثابة رجال الدين لذلك

الوقت. وتردنا وصفات سلبية لهم تطابق سلوكياتهم مع المعروف عن سلوكيات رجال الدين. ويجعل خالد بن صفوان من صفاتهم الجبن ويضعهم كنقيض للفتيان العيارين. والتفتي هو سلوك طريق الفتيان في المجون والشقاوة والسطو. وينسب إلى سفيان الثوري، معاصر لخالد بن صفوان، "من لم يتفتَّ لم يحسن يتقرأ" يدعو إلى المرور بطور الفتيان والتحلي بصفاتهم قبل الانتقال إلى قراءة القرآن؟ وغرضه أن الفتيان أقرب إلى المثل الجاهلية والإسلامية من رجال الدين الخلص فهو يدعو من يريد أن يكون رجل دين جيداً أن ينسلك أولاً في سلك الفتيان العيارين. والزوجة التي يريدها خالد وسط بين هذين.

٤- قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدّبها الغنى وأذلها الفقر:

نشأت في عائلة موسرة منعمة فتهذبت بالترف ونعومة العيش ثم مرت بفترة فقر وفاقة (خصاصة) فتروضت أخلاقها وتخلصت من عجرفة الأغنياء.

٥- حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد مليحة من قريب:

يميل العرب إلى المرأة الممتلئة الردفين والفخذين والضامرة البطن كما يرمز لهما الجواهري في هذا البيت:

وقد جُنَّ ورِكُك من غيظه
سمينٌ يناهضه أعجفُ

مع حسن الوجه ووضاءته.

٦- لا ترفع رأسها إلى السماء نظراً ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً:

منسوقة الشخصية لا تحدق في السماء تحديق المتكبر المغرور أو الخفيف العقل ولا تطاطئ كالذليل. ولعله أراد أيضاً اعتدال مطالبها.

خلاصة

تقدم المجتمع الجاهلي في طوره الأخير نحو النظام الأبوي الذكوري مع تقلص رقعة الاقتصاد المشاعي أمام زحف الاقتصاد التجاري والملكية الفردية للقيعان والقطعان، وأخذت مكانة المرأة الجاهلية تتراجع فتفقد الكثير من حقوقها أمام الرجل الذي أخذ يحكم طوق القيمومة عليها. ولقيام الجاهلية على العرف دون القانون كانت العلاقة بين الرجل والمرأة عشوائية وخاضعة لتقلبات المزاج ومقدرة كل منهما في أي ظرف. لكن المرأة الجاهلية حافظت على حريتها الشخصية فلم تخضع لقيود تحد من نشاطها الاجتماعي أو تلزمها بالحجاب أو ملازمة المنزل. إن خطوة كهذه تفقد فيها المرأة حريتها سوف تترتب على نضج النظام الأبوي الذكوري واكتمال مقوماته السياسية والاجتماعية، وهو ماحصل في الثورة الإسلامية التي أقامت الدولة وأنشأت المجتمع الجديد وشرعت له قانوناً يسير بمقتضاه. والمجتمع الذي بناه الإسلام أبوي ذكوري شأن أي مجتمع متحضر يستند إلى اقتصاد الملكية الفردية وفيه اكتملت قيمومة الرجل على المرأة وشُرّعت بنص مكتوب. وفقدت المرأة ما تبقى لها من حرية جاهلية بإخضاعها لحكم الرجل وهو اثنان: أب (أو جد) أو زوج. ولم يسمح الشرع الإسلامي بولاية آخر عليها لكنها خضعت في الواقع

الاجتماعي لولايات عديدة تمتد إلى أقارب الكلالة. ولم يأمرها الشرع مع ذلك بملازمة المنزل، والآية التي قالت "وقرن في بيوتكن" مخصوصة بزوجات النبي. لكنها خضعت لهذا القيد بدءاً من العصر العباسي. وأخضعت تصرفاتها للوضع الزوجي، فأعطاها بعض الفقهاء حقوق تصرف في مالها غير معلقة على إذن الزوج وعلقها آخرون بإذنه.

والشريعة الإسلامية لم تقنن في أحكام نهائية وإنما تركت للاجتهاد فتعددت الأحكام واختلفت باختلاف المذاهب والفقهاء. وحرمت الخلافة على المرأة باشتراط الذكورية للخليفة. ولم يرد نص قاطع فيما هو دون منصب الرئاسة فاختلفوا بشأنه فمنع جمهورهم اشتغالها في القضاء وأجازه الطبري وصاحبه أبو ثور وقيده أبو حنيفة فيما تصح فيه شهادتها. وأجاز القليل منهم إمامتها في الصلاة للرجال ووافق عليه آخرون للنساء. ولا ترد تحريمات للوظائف الأخرى. وللمرأة مكان معترف به في الجيش والإدارة والحياة الاجتماعية. وكانت القيود على الشابة أكثر لفرط التطير عند عامة المسلمين من العلاقة الجنسية غير المشروعة، وأعفيت المرأة بعد سن الشباب أو التي تجاوزت سن الزواج من الحجاب فكان بمقدورها أن تختلط بالرجال وتساهم في الحياة الاجتماعية. وتسمى مثل هذه المرأة "بَرْزة" وهي التي تبرز للرجال وتفرض احترامها عليهم لقوة شخصيتها.

نظر الإسلام إلى المرأة نظرة غيره في المجتمعات والمعاشر الأبوية فاعتبرها أنقص عقلاً من الرجل فجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد. قال ذلك ووقع في تناقض مع قوله بنصبه عدداً من القديسات اصطفاهن على النساء العالمين. وهن مريم في القرآن ثم آسيا زوجة

فرعون -حسب الإسرائيليات- وعائشة وفاطمة. وهاته القديسات لسن أعلى مقاماً من الأنبياء لكنهن أعلى مقاماً من رجال المسلمين.

ويتكامل مع ذكورية الإسلام جنسانية شريعته، القائمة من هذه الجهة على نفس الافتراض الأوروبي في أولوية الغريزة الجنسية ومجاراتها دون اعتبار لإرادة الإنسان أو الوازع الديني والاجتماعي. وجعلتها الشيعة من خصوصيات رجالهم ففي "دعائم الإسلام" للنعمان الإسماعيلي عن محمد الباقر: "إن الله عز وجل نزع الشبق من نسائنا وجعله في رجالنا. وكذلك فعل بشيعتنا" ١٩٢/٢.

في مقابل انتهاك حرية المرأة في الإسلام حصلت على حقوق لم تكن لها في الجاهلية فهناك أوشكت المرأة أن تؤول إلى سلعة يكون الرابح الوحيد فيها هو الولي من أب أو جد أو أخ أو عم أو ابن عم. ولم يجعل الإسلام ولاية على البنت لغير الأب أو الجد، وعلى الزوجة لغير الزوج. وبين لها حقوقاً لا يجوز للولي أن يتخطاها. وجعل مهرها ملكاً لها ومنع الاستيلاء عليه من الولي كما كان الحال في الجاهلية. وقد عمل بهذا الحكم في المدن لكن الأرياف والبوادي استمرت على العادة الجاهلية. وحتى اليوم يستولي الأب على مهر ابنته في الريف العراقي. وكان الجاهليون يهنِّئون من تولد له بنت إذا لم يكونوا من الوائدين بقولهم: "هنيئاً لك النافجة" أي أنك ستزوجها وتأخذ مهرها فينفج مالك أي يكثر. والهنيئاً لا توجد اليوم في أريافنا لكن النافجة موجودة.

وحصلت البنت على نصيب في الميراث فأعطيت نصف حصة الذكر وحصلت الأم على ثمن الموروث. وكانت هذه خطوة متقدمة في زمانها بل وبقيت متقدمة حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الثورة البرجوازية بتعديل قوانين الميراث في أوروبا.

وأعاد الإسلام الاعتبار للأنثى بتحريمه الوأد والحث على استقبال ولادتها بنفس استقبالهم للذكر. ودعا إلى معاملتها في المنزل كمعاملة الذكر. والمرأة في الإسلام مخلوق سوي لا تتلبسه الأشباح أو الشياطين وإنما وصفت في القرآن بقوة الكيد. وفيه بعض الوجاهة فقد يكون الكيد لتعويض الضعف في العلاقة مع الرجال. وأعطيت أهلية التصرف في المال لكن بعض الفقهاء قيده باستئذان الزوج للمتزوجة. ولم يرد قيد بخصوص الأيم (التي لا زوج لها). والولاية كما بينا محصورة في ثلاثة الأب والجد والزوج فإن فقدوا فالولاية للدولة. والمرأة إذا تزوجت انحصرت الولاية عليها في الزوج فإن فقد الزوج كان لها أن تتصرف في مالها برأيها، وهذا عند من يقيد التصرف بإذن الزوج.

وامتلكت المرأة المسلمة حق الطلاق في شكل الخُلْع. وفرقه عن الطلاق وهو حق الرجل أن المطلقة تأخذ مهرها من المطلق والخالعة يسقط حقها في المهر. وتجوز المخالعة لأي سبب يجعل المرأة تطلب الانفصال ولا يجوزبغير سبب. ولا يعتبر سبباً تغير قلبها عليه وطموحها إلى غيره. والطامحة أو الطمّاحة صفة المرأة التي تتغير على زوجها وتميل إلى غيره. ويقول العراقيون عن المرأة في هذه الحالة "طمحت رجلها" على تعدية الفعل وهو غير متعدٍ في الأصل، وتعطيه التعدية معنىً مزدوجاً فكأنهم قالوا: "تركت زوجها وطمحت إلى غيره". وهذه هي الحالة الوحيدة التي يجوز فيها أن تقسر المرأة على البقاء مع الزوج ويرفض طلبها المخالعة. وهو نفس الحكم الذي طبقه عمر بن الخطاب على الرجل الذي أتى يطلب الطلاق لأنه لا يحب زوجته. وفيما عدا ذلك تقبل المخالعة. وفي مثال زوجة ثابت كان الطلب بسبب دمامة الزوج. وهناك

حالة أخرى وهي أن يكون الزوج أبخر أي كريه رائحة الفم فيجيز بعض الفقهاء للزوجة أن تطلب الطلاق وليس الخلع.

وحصلت المرأة على الحق في قبول أو رفض المتقدم للزواج منها. وكانت في الجاهلية تقسر عليه من أي من ولاة أمرها المتعددين، مع اتفاق الجاهلية والإسلام في "الزواج المرتب". والحق متفق عليه شرعياً فيما يخص الثيب ومختلف عليه فيها يخص البكر الصغيرة. واتجه الإسلام أيضاً لضمان حق الزواج للمرأة وهو مبدأ شرقي يقابله في الغرب حق الجنس/المشترك مع الإسلام فيما يخص الرجل. وحق الزواج مكفول بالتعاليم دون القوانين إذ لا مندوحة للقانون أن يرغم الرجال على الزواج. ولو أن في طريقة البابليين شيئاً من القانون. على أن الإسلام من جهة أخرى يجعل الزواج سنة والسنة أقل من الفرض وأكثر من الاختيار وكان من بين ما استجوب عليه عامر العنبري وأبو العلاء المعري عدم الزواج ويرى الظاهرية أن الزواج فرض وتاركه مع القدرة عليه آثم. وجعل الزواج سنة مشددة على هذا النحو يوفر من فرص الزواج للنساء مالا يتوفر في حضارة أخرى لأنه يخفض حالات العزوبة، التي لم تكثر في العصر الإسلامي ومعها بالتبعية قلة حالات العنوسة. سوى أن فرص الزواج للأرملة والمطلقة تضاءلت فيما بعد كما أخبرنا الجاحظ.

ونأتي إلى حق الجنس فنجد المسلمين يجعلون حاجة الرجل إلى الجنس أكثر من حاجة المرأة وكان من هنا توسيعهم فرص الجنس على الرجال إلى حدود تقرب من الإباحية: أربع زوجات ومالاحد له من الجواري. ومن شأن ذلك أن يضائل نصيب المرأة منه. ويذكر المعري في نقده للضرائرية أن المرأة تحصل على ربع الرجل إذا كانت له أربع

زوجات. ولم يذكر كم يبقى لها مع وجود السراري. على أن هذا لا يقع بالاستغراق وإنما يتحقق نموذجياً في أوساط الأغنياء وأهل الحكم دون عامة الرجال الذين غالباً ما يضطرهم عدم توفر المال إلى الاكتفاء بواحدة أو اثنتين على الأكثر وهم بالطبع لا يمكنهم شراء الجواري(*). ومن هنا يكثر الفساد في فئة الأشراف من الأغنياء والحكام وحواشيهم. ويعطينا كتاب الأغاني فكرة وافية عن فساد هذا الوسط بتغلغل مؤلفه إلى ماوراء ستار الديباج. وهذه حقيقة بكّر القرآن في تشخيصها باعتباره الفساد /في العائلة كما في الأرض/ من فعل المترفين. ولو أنه لم يراعِ هذه الحقيقة في توسيعه حق الجنس للرجال.... وتحت التقاليد القبلية الجاهلية كان التحسس من العلاقة المحرمة لدى النساء شديداً برغم اعتقادهم بأن الحاجة الجنسية للمرأة أضعف منها عند الرجل. ويروي الشيعة حديثاً نبوياً ينهى عن تعليم النساء سورة يوسف (من لا يحضره الفقيه ١٣٣٦-١١) والحديث موضوع بلا شك. وهذه السورة أنكرها فريق من الخوارج وقالوا إنها قصة وليست سورة. ولا ندري إن كان السبب هو نفسه الذي حمل على وضع هذا الحديث. والخوارج أكثر احتراماً للمرأة من سائر الفرق والمذاهب وقد خلطوها برجالهم فقاتلت معهم وشاركت في نضالهم السري، ويزعم ابن بطوطة أن أحد سلاطينهم في عُمان كان يبيح للفتاة إذا استأذنته أن تقيم علاقات مع رجل تختاره بلا زواج وأن أهلها لا يستطيعون منعها إذا حصلت على إذن السلطان. وهذه قد تكون من مبالغات ابن بطوطة لا سيما أن سلاطين الخوارج لم

(*) من تشنيعات برجوازيي المدن على أهل الريف أن الفلاح إذا حصل على مال زائد إما أن يتزوج به امرأة أخرى وإما أن يشتري بندقية يقتل بها غيره! وهذا من باب كلمة حق يراد بها باطل .

يكونوا مستبدين وكان خلعهم ميسوراً من جانب أهل الحل والعقد فيهم إذا خرجوا على مبادئ الفرقة. وواضح من كلامه أن أمر السلطان مخالف لرأي أهلها مما يعني أن مجتمعهم لم يتواضع على ذلك فهو بدعة من السلطان وهذه تكفي لخلعه.

نذكّر أخيراً أن المسلمين هم في طليعة الأمم القديمة التي أقرت تحديد النسل واستندوا فيه إلى مسوغات منها اقتصادي. وهم من استعملوا بعد الفراعنة الوسائل العلمية الأمينة لمنع الحمل. وجواز منع الحمل منصوص عليه في الحديث وتبناه الغزالي ودافع عنه ضد بعض رجال الدين الذين جروا في إنكاره على نهج مألوف في إكليروس الأديان الثلاثة. لكن الإسلام جرى على طريقة زميليه السماويين في منع الإجهاض، ولو أن وجود المُجهضات في دساتير الأدوية الإسلامية يدل على انه استعمل وإن في نطاق سري وضيق(*).

إن الحقوق الهامة التي وفرها الإسلام للمرأة، ما بقي منها نظرياً وما أخذ به فعلاً لا تثلم من أبويته الذكورية. والباعث عليها ليس الإقرار بمكانة المرأة في مجتمع الذكور بل هي من نتائج دخول قواعد العدل في التشريع. والإسلام كغيره من شرائع الشرق وحضاراته يستند إلى حساسية شديدة لمسألة العدل. لكن درجة حضور العدل في تفاصيل الشرائع تتوقف على مفاعيل الصراع الاجتماعي، وهو فرعان صراع طبقي وصراع جنسوي. ويكون حضوره أقوى في المعارضة لكن السلطة التي تنشأ بعد ثورة اجتماعية تتحسسه بقدر ما فيظهر على قراراتها وتشريعاتها. ويصدق هذا على سلطة الإسلام الأولى: سلطة محمد

---

* من وسائل تحديد النسل عند أفلاطون إباحة الشذوذ مع الزوجة وتشجيعه بين الذكور.

وخلفائه الأقربين، وانعكس في الشريعة معروضة في نصوص الكتاب والسنة وسيرة محمد والخلفاء الثلاثة. وانعكاسه لم يكن مطلقاً على أي حال، سوى في سيرة وأفكار اثنين من المؤسسين أبي ذر وسلمان الفارسي (رُوْزبة) وهما غراران كبيران للشيوعية الآسيوية في قوامها المزدوج شيوعية الأموال واحترام المرأة (اللاجنسوية) لكن تأثير هذين الصحابيين في التشريع كان ضئيلاً.

لم يصلنا الكثير عن مجتمع القرامطة في السواد ولا عن دولتهم في شرق العربيا لأن النشاط الثقافي في هذين المطرحين كان شبه معدوم ولا يسعنا بالتالي معرفة مكانة المرأة فيهما بالضبط. ويفترض على أي حال أن تكون لسابقة أبي ذر وسلمان أثر لا نعرف مداه فهما من آباء الفرق الغالية في الإسلام. لكن خطوة كبيرة وحاسمة هي التي سجلها الدروز، من الفرع الإسماعيلي، بمنعهم للضرائرية ومساواتهم في الإرث بين الجنسين(*). وتتوج الخطوة الدرزية ثورة الباطنية في هذا المنحى وهي ثورة مجهضة والدروز لا يملكون الكثير من عناصرها فهم طائفة دينية كغيرها من الطوائف وإنما حملت بصمات حدث أكبر كانت هي في الصميم منه فكانت هذه الخطوة التي انحصرت مع خطورتها في دائرتها الطائفية الضيقة.

هل يسعنا اعتبار أبي العلاء المعري نصير المرأة الأكبر في الإسلام بعد أبي ذر وسلمان؟ المعري نفسه قلما يتجاوب معنا في هذا الاعتبار.. وهو من حيث المزاج الفردي متبرم من المرأة لتبرمه من الجنس. وكان في

(*) جاءت أول إشارة ضد الضرائرية من المعز لدين الله الفاطمي حيث ينقل المقريزي في "اتعاظ الحنفاء" توجيها للمعز إلى الفقهاء والشخصيات الدينية في مملكته بلزوم الزوجة الواحدة .

انتقاله الصراعي من طور المخلوقية إلى طور الخالقية يعافس حقائق الطبيعة التي تجعل الرجل يلهث وراء المرأة مثل الكلب وراء العظم... ولا شك في أنها كانت عنده من جبهات الصراع، الذي يقول عنه:

والعقل حارب تركيباً يجاهده

فالعقل والطبع حتى الموت خصمانِ

والطبيعة عند المعري غلط كلها. والمرأة، كموضوع للجنس هي من هذا الغلط. وقد عيّر بها البشرية جمعاء:

وأشرف من ترى في الناس قدراً

يعيش الدهر عبد فمٍ وفرجِ

في إشارة مضمرة جاءته من عامر العنبري أول ناقد للأنبياء في الإسلام...

المعري إذن لا يحب المرأة ولا يسعنا اعتباره من أنصارها وأصدقائها. إلا أنه دافع عنها ضد انتهاكين اجتماعيين: ضد الضرائرية أولاً فدعا إلى الاكتفاء بزوجة واحدة:

قرانك ما بين النساء أذيّة

لهن فلا تحمل أذاة الحرائر

وإن كنتَ غِرّاً بالزمان وأهله

فتكفيك إحدى الآنسات الغرائر

وبيّن أن اقتران الرجل بأربع زوجات يعني أن يقسم جسده بين أربع فلا يكون للمرأة الواحدة منه أكثر من ربعه. ومن المثير للانتباه في هذه المناسبة أن خصوم المعري لم يحاسبوه على هذا الرأي وحاسبوه على عدم الزواج والنباتية. وقد ركز المؤيد بالدين داعي الدعاة الفاطمي على هذه الأخيرة في حواره الابتزازي معه. والسبب هو أن الزواج بأكثر من واحدة

رخصة والزواج بذاته سنة والتنازل عن الرخصة فضيلة وعدم الزواج تقصير في سنة. أما عدم أكل اللحم فطعن في الحكمة الإلهية التي جعلت رزق الحيوانات على بعضها...

الثاني تشديده على عدم تزويج الفتاة من الشايب. وله نصوص في اللزوميات تندد بزواج كهذا يحرض فيها الفتيات على عدم الرضا به. وكنت قد خالفت بين هذا الرأي عند المعري ورأي آخر للمسرحي الصيني قوان هان تشينغ في مناسبة سابقة. وأنا الآن لا أرى بينهما خلافاً كبيراً، إذ إن الكاتب الصيني كان يؤيد الفرق الكبير في سن الزوجين مع تساويهما في طور الشباب: عشرون سنة للفتاة مقابل ٣٨ أو ٣٩ للرجل. ودعوته لا تشمل الزواج ممن هم في طور الشيخوخة. ولعله أخذ في الاعتبار أن القدرة أو الحاجة الجنسية للرجل تستمر بعد الأربعين بينما تبدأ بالاضمحلال عند المرأة في هذا العمر.

على أن رأي المعري في هاتين القضيتين لم يصدر عن اتجاه لا جنسوي أو عن حب للمرأة بل هو محكوم بمسألة الإحساس بالعدل، التي يشترك فيها مع غيره من مفكري الشرق. ويمكن في المقابل اعتبار ثلاثةمن عظماء الإسلام من أنصار المرأة بلا تحفظ: أبو ذر الغفاري، روزبة الأصفهاني (سلمان) وابن رشد... الأول والثاني من خلال رفض الضرائرية والاكتفاء بزوجة واحدة مع عدم التسري. والثالث بتقريره المتفرد عن طبيعة المرأة وتكافئها مع الرجل في القدرة والعقل. على أن المعري يمتاز عن الثلاثة في نضاليته ضد الضرائرية إذ إن كلاً من أبي ذر وسلمان عبرا عن رفض الضرائرية بالتزام شخصي ولم يكن زمانهما زمانَ نضالٍ من أجل المرأة عموماً لأنها كانت في صدر الإسلام موضوعة حقوق

مكتسبة بفعل الثورة الإسلامية فلم يكن للاثنين ما يفعلانه غير تأكيد مبدأ لاحق عبر التزامهما الشخصي. أما ابن رشد فثبّت رأيه كفيلسوف. وفلاسفة الإسلام نشطوا في التجريد الفلسفي الخالص ولم تكن لهم مشاركة في الصراع السياسي أو الاجتماعي. وبخلافهم كان المعري يبث أفكاره من خلال الصراع السياسي والاجتماعي وهو لم يعبر عن رأي مجرد بل عرضه بلغة مناضل قوامها التحريضُ والتنديدُ.

* * *

ذكورية الإسلام كما تبيناها حتى الآن هي نمط مشترك لحضارات ما بعد المشاعية سواء تلك الحضارات التي قامت على نمط الإنتاج الآسيوي أم حضارات المراحل الأوروبية. وفيها يتعادل الإسلام مع المسيحية كما تماهت على يد بولص، الذي تكلم عن المرأة بلغة الذكوريين المعتادة. والمسيحية تكوين بولصي أكثر منه يسوعياً وليس في الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل حديث خاص عن المرأة يعين لها موقعها في المجتمع اليسوعي وإنما كان ذلك في رسائل بولص وأسفاره. ولنقرأها معاً:

- **في رسالته إلى أهل كورنثوس:** الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل. ٦/١٢

- **وفي نفس الرسالة ١٤/٢٤ـ٢٥** يمنع المرأة من التكلم في الكنيسة.

– أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء.

رسالة إلى أهل أفسُس ٥/٢٢ـ٣٣

- النساء يُزيِّنَّ ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء وآدم لم يُغوَ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي.

رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٢/٩

- في كلام عن العجائز: ....ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن.

رسالة إلى تيطس ٢/٤

أذكِّر مرة أخرى أن المسيح لم يترك لنا نصاً حول المرأة يبين موقعها وعلاقتها بالرجل، فهذه لم تكن ضمن رسالته التي كرسها للفقراء والعبيد. وأقوال بولص ليس لها سند في الأناجيل إلا أنها صارت جزءاً من الإيمان المسيحي لأن بولص هو المؤسس الفعلي للمسيحية والمكسب الأكبر للمرأة في تعاليم المسيحية الأصلية هو وحدانية الزواج ومنع الضرائرية وهذا خاضع على الأكثر لاتجاه المسيح إلى الضغط على الغريزة الجنسية وعدم مجاراتها. وقد منع التسري لنفس السبب. ولم تتحدث الأناجيل عن الميراث لأنها موجهة ضد اكتناز الأموال وليس في تعاليمها فسحة لمال يورث. والميراث علامة الكنز. ومن هنا ردهم على أبي ذر في دعوته إلى عدم الاقتناء قائلين له لو صح ما تقول لم يكن لآية المواريث معنى.

نترك بولص فنصعد إلى اليونان، آباء الفكر الأوربي، لنجد أرسطو

يقول في كتاب السياسة إن الطبع هو الذي عين المركز الخاص للمرأة والعبد (ك١ب١ف٦-٥ ترجمة أحمد لطفي السيد) وهذا القول أخطر من قول أهل الأديان إن الله هو الذي عين المركز لأن الطبع مقولة جوهرية في الفكر، والله مقولة اعتقادية. وجعل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثر في نمط التفكير الفلسفي أكثر من مقولة لاهوتية. ويستمر الفكر الأوربي في هذه النظرية الذكورية إلى العصر الحديث رغم الانقلاب الذي حصل في المفاهيم تحت الثورة الرأسمالية. ويذهب هيغل، أستاذ الفلسفة الحديثة الأعظم، إلى القول مستبطناً حديث "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم أمرأة": "إن كانت النساء في رأس الحكومة فالدولة في خطر" وفسره بأن النساء لايفعلن حسب متطلبات الكلي بل تبعاً للميول والأفكار العارضة. ويضيف هيغل: "إن النساء يمكن أن يكن مثقفات ولكنهن غير مؤهلات للعلوم العليا والفلسفة وبعض أعمال الفن التي تتطلب الكلية". ويضع هيغل الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحيوان والنبات فالحيوان مواز لطابع الرجل والنبات لطابع المرأة لأنها عنده تمثلن حالة انتشار هادئ مبدؤه وحدة الشعور اللامتعينة. (مختارات هيغل- الياس مرقص- باب فلسفة الحق). وفيما يخص الفلسفة يستند هيغل إلى مجرى التاريخ الفعلي. ومن مراجعاتي لتاريخ الفلسفة لم أقف للمرأة على موقع فيه قد يزيد على موقع الإيطالية الكسندرا دي فيدل، امرأة من القرن الثالث عشر خاضت معامع الجدل الفلسفي الذي أججته الرشدية حتى ليقول مؤرخو الفلسفة الغربيون إنها استمدت مجدها من الدفاع عن أطروحات ابن رشد. ولا أدري إن كان لدى غيري استثناء آخر؟ (وفوق كل ذي علم عليم). على أن ابن رشد لا يوافق بالتأكيد

على آراء هيغل. ولنضع في الخلاف أن هيغل كلياني وابن رشد ليبرالي. وتختلط في هيغل جنسويته الذكورية مع عنصريته البيضاء الساخرة بالشرق ومنظومات قيمة العليا وابن رشد عالمي التفكير بقدر ما هو لا جنسوي.

إن تحرر ذهن الرجال من الذكورية يكتمل مع كارل ماركس وفلسفته الكونية التي أوصلت إلى تطهير الوعي الفلسفي من آثار المراحل الاجتماعيةالسابقة. وسواء كان ماركس يعبر عن فكر الطبقة العاملة أم عن العقل الكلي للإنسان في لحظة تراكم للفكر العقلي لقيت تفجرها في ذهن عبقري، فهو الفيلسوف الذي تتكامل في منظومته الفلسفية عناصر التحرر المتفرقة فيمن سبقه. ومن هنا لا نجد في فكر ماركس أثراً لانحياز طبقي (انحيازه للطبقة العاملة سياسي) أو عنصري أو أثراً لتفكير ديني أو جنسوية ذكورية. ولا تفترض هذه الميزات انعدام الخطأ عند ماركس كما يرى المؤمنون به إنما... نقول إنه، مضافاً -ربما- إلى المسيح/ المفصول عن بولص وكنيسته/ من القلائل بين الفلاسفة والأنبياء: الذين يصعب اتهامهم بالانحياز المصمم في أي موقف وفي تقرير أي فكرة. وإذا كان فكر المسيح يفتقر إلى الاتساق والمنهجية، وهو نبي لا فيلسوف، مما جعل اختراقه وتحويله إلى كنيسة ميسوراً قليل الكلفة، فإن منهجية ماركس المتقنة والمتصلة بآفاق عمل متورخ ومطروح على نطاق الصراع الاجتماعي الكوني أعطت معادلاتها الواقعية في العالم المعاصر فنشأت مجتمعات تهتدي بفكره بأقدار متفاوتة وسجلت في مجال العلاقة بين الجنسين حالة من التكامل زالت فيها تمايزات الذكورة والأنوثة ونظمت العلاقة الجنسية على أسس مكنت من أنسنتها

بعد أن تم إعطاء المرأة دورها الكامل في حركة المجتمع. وسنأتي في الفصل القادم من الكتاب على تجربة الصين وهي الأميز من بين التجارب الماركسية بخصوص المرأة. وقد زالت هذه التجارب جميعها الآن وبقي العالم مقسماً ما بين ذكورية الشرق الجنسوية وانفلات النظام الغربي الذي تحتل فيه المرأة مركز المومس الشرعية مستغرقة دورها الأكبر في حركة المجتمع من خلال إدارتها سيرورة جنس تكلف الغربيين مجمل حياتهم اليومية التي تنقضي ساعاتها في لهاث متبادل بين الجنسين.

نصوص ومواقف

ذكرنا في هذا الفصل أن علي بن أبي طالب استعان بالنساء في حرب صفين لإثارة حماس المقاتلين فكن يخطبن أويُنشدن الأشعار الحماسية عند احتدام القتال. وكان منهن: الزرقاء بنت عدي وبُكارة الهلالية وأم الخير بنت الحُريش البارقية وعِكْرِشة بنت الأطرش وسَوْدة بنت عُمارة بن الاسكّ والدارمية الحَجونية.

وبعد انفراد معاوية بالخلافة التقى ببعض هاته النسوة وجرت حوارات ساخنة بينه وبينهن وكن صريحات معه لم يلتمسن عفواً ولا تراجعن عن موقف. وتعامل هو معهن على طريقة العربي الجاهلي في رعاية حرمة النساء وعدم المساس بهن.

ونقتبس هنا خطبة الزرقاء في صفين وحديث سودة مع معاوية.

خطبة الزرقاء

أوردها ابن طيفور في بلاغات النساء. وهي تصح عندي لاعتبارات:

١- أنها نص خطبة مرتجلة لا نص مكتوب.

٢- وفيها من سخونة العبارة ما يدل على موضع ومناسبة إلقائها.

٣- أسلوب الخطبة هو الأسلوب البلاغي الذي كان شائعاً في صدر

الإسلام والأوان الأموي ومفرداتها هي مفردات الخطب في نفس الزمن.

"يا أيها الناس إنكم في فتنة غشّتكم جلابيب الظُّلَم وجارت بكم عن قصد المحجّة فيالها من فتنة صماء يُسمع لقائلها ولا يُنظر لسائقها.

أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وإن الكوكب لا يقدُ في القمر وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزِفّ لا يوازن الحجر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد.

إلا من استرشَدَنا أرشدناه ومن استخبَرنا اخبرناه: إن الحق كان يطلب ضالّةً فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار فكأنْ قد اندمل شعْب الشتات والتأمت كلمة العدل وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنّى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ألا وإن خضاب النساء الحنّاء وخضاب الرجال الدماء

والصبر خيرٌ في الأمور عواقبا

إيهاً إلى الحرب قُدُماً غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده..

- المحجة: الطريق الواضح. الزِفّ هنا صغار الحصى. ضالة: حاجة مفقودة.

ينبغي أن تكون الخطبة أطول مما وصل إلينا. ومع أن رواة العرب في ذلك الوقت كانوا يتمتعون بذاكرة كومبيوترية فإن الرواة اللاحقين كانوا أقل استيعاباً. ولعل الخطبة قد تناقصت بانتقالها عبر الرواة حتى وصلت إلى ابن طيفور فدونها. وهو من أقدم المؤلفين الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم وكان من معاصري المأمون وقد فقدت معظم المؤلفات التي كتبت في تلك الحقبة البعيدة من عصور الإسلام.

حديث سودة مع معاوية

هي سَوْدة بنت عُمارة بن الأسكّ من هَمدان. وكانت همدان فصيلاً أساسياً في معسكر علي إلى جانب ربيعة. وكان لسودة مؤهلات زعامة في القبيلة وقد اعتمدوا عليها في المهام الصعبة فكانوا يوفدونها إلى المركز حين تتعرض القبيلة للعسف من الولاة. وهي من فريق المحرضين في صفين وكان من بين المقاتلين أخوها. وبعد انفراد معاوية بالخلافة تعرضت هَمْدان للعسف من بُسْر بن أرطأة أحد عتاة القواد والأعوان في معسكر معاوية، فأوفدت سودة إلى معاوية لعرض الأمر عليه وجرى بينهما الحديث التالي الذي أظهرت فيه نفس شجاعتها في صفين مع مناورات سفيرة متمرسة...

معاوية: هيه يا بنت الأسكّ ألست القائلة يوم صفين:

شمّر كفعل أبيكَ يا بن عُمارةٍ
يومَ الطِعان وملتقى الأقرانِ

وانصر علياً والحسين ورهطَهُ
واقصِد لهندٍ وابنها بهوان

إن الإمام أخو النبي محمد
عَلمَ الهدى ومنارة الإيمانِ

فقِهِ الحتوفَ وسِر أمام لوائه
قُدْماً بأبيضَ صارمٍ وسَنان

سودة: أي والله، ما مثلي من رغِب عن الحق واعتذر بالكذب.

معاوية: ما حَمَلك على ذلك؟

سودة: حب علي واتّباع الحق

معاوية: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً

سودة: أنشُدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكار ما نُسي.

معاوية: هيهات. مامثل مقام أخيك يُنسى وما لقيتُ من أحد ما لقيت من قومك وأخيك.

سودة: صدق فوك. لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان. كان والله كقول الخنساء:

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به　　كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

معاوية: صدقت لقد كان كذلك.

سودة: مات الرأس وبُتر الذنب وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتُ منه.

معاوية: قد فعلت. فما حاجتك؟

سودة: إنك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلداً والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا. ولا يزال يقْدَم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة. هذا بُسر بن ارطأة قَدِم علينا من قبَلك فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي فوهي بما أستعصمُ الله منه والجأَ إليه فيه (تقصد أنه يريد منها أن تتبرأ من علي وتشتمه) ولولا الطاعة لكان فينا عز ومَنَعة فإما عزلته عنا فشكرنا لك وإما لا فعرفناك.

معاوية: أتهددينني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قَتَب اشرس فأردك إليه ينفّذ فيك حكمه.

سودة: أطرقت تبكي. ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمّنه قبر

فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً

فصار بالحق والإيمان مقرونا

معاوية: ومن ذلك؟

سودة: علي بن أبي طالب.

معاوية: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

سودة: قَدِمتُ عليه في رجل ولاّه صدقتنا (جباية الزكاة) من قبله فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين فأتيت علياً لأشكو إليه فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إليّ انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر. فبكى ثم قال: "اللهم أنت الشاهد علي وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك". ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعيثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يَقدَم عليك من يقبضه منك والسلام..

فأخذته منه. والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته.

معاوية: لقد لمّظكم ابن أبي طالب على السلطان فبطيئاً ما تُفطمون.

والتفت إلى موظفيه وقال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها.

سودة: اليّ خاص أم لقومي عام؟

معاوية: ما أنتِ وقومك؟

سودة: هي إذن والله الفحشاء واللؤم. إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا فأنا كسائر قومي.

معاوية: اكتبوا لها ولقومها.

ـ قَتَب: رحل خشن يوضع على البعير يسقّر عليه المغضوب عليهم.
خزمه: خرزه.

حول الأبيات: البيت الأول تصح عندي روايته وكذلك الأخير. وذكر الحسين في البيت الثاني لا يصح تأريخياً لأنه لم يكن قد برز وتزعم يوم ذاك ليذكر مع والده. لكن الشطر الثاني في البيت ينبئ بأصالته فلعل سهواً حصل من الراوي فوضع الحسين مكان اسم آخر أو كلمة أخرى. وينبغي عدم قبول البيت الثالث لأن لغته لغة ما بعد الأوان الأموي. أما الحديث في جملته فطبيعي وليس فيه ما يُشعر بأنه مقحم أومفتعل أو خارج عن لغة ذلك الزمن وتفكير أهله...

خارجية

كانت عميرة زوجة مُجاشع من بكر بن وائل. أقنعها أحد الخوارج بمذهبهم فمالت إليهم فدعت زوجها لمتابعتها في ذلك فأبى، فعزمت هي على تركه والالتحاق بمقاتلي الخوارج. ومرّوقت اشتاق إليها زوجها وكان يحبها فكتب إليها:

وجداً يصاحبني لعل صبابة
منها ترد خليلةً لخليل

فلئن قُــتلتِ ليُــقــتلنَّ قــتــيلكم
فــتــيــقني أني قــتــيلُ قــتــيلِ
- يريد أنها إذا قتلت فسيموت هو حزناً عليها.
فكتبت إليه:
أبلغ مجاشعَ أن رجعتَ فإنني بين الأسنة والسيوف مقيلي
أرجو السعادة لا أحدث ساعةً نفسي إذا أنا جُبتها بقفولِ
ووهبت خدْري والفراش لكاعب في الحي ذات دمالجٍ وحجولِ
- المقيل أَصله مكان القيلولة وهنا تريد مكان الإقامة عموماً.
الخِدْر: غرفتها. الدمالج: الأساور. الحجول: الخلاخيل.

وقد يحدث العكس. فقد ملت مقاتلة منهن حياة الحرب فعادت إلى أهلها وتزوجت. وقالت في ذلك:
أتيتُ رمــحــاً مــســه ليِّنٌ
وعــفت رمــحــاً مــسّــه قــاتل

هند وابنها

لماتوفي يزيد بن أبي سفيان وهو يقود أحد جيوش الفتح الشامي جاء المعّزون إلى أمه هند بنت عتبة فقال لها أحدهم: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خَلَف منه. فقالت: أوَ مثل معاوية يكون خَلَفاً من أحد؟ والله لو جُمعت العرب من أقطارها ثم رُمي به فيها لخرج من أيها شاء.

وقيل لها: إن عاش معاوية ساد قومه. فقالت: ثِكلتهُ إن لم يسُد إلا قومه.

- هذا يعني أنها كانت تُعدّ ابنها لكي يحكم العالم! وليست هذه طموحات عاهرة كالتي تحدث عنها سلمان رشدي في آياته الشيطانية.

أم خالد القسري المسيحية

خالد القَسْري أحد جبابرة الولاة الأمويين، صورة للحجاج لم تشتهر كشهرته لأن الشهرة حظوظ، كما يبدو، تولى الحجاز للوليد ثم العراق للشام. كانت أمه مسيحية. فكتب إليها مرة يدعوها إلى الإسلام ويقول لها إنها ستكون بذلك أقرب إلى برّه إذا اقتربت من دينه. فردت على دعوته بالكتاب التالي:

للأمير خالد بن عبد الله من أم خالد. أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما دعوتني إليه من دينك الذي ارتضيته لنفسك ولعمري مالتّني خيراً عند نفسك وإن لك ديناً ولي دين وزعمت أنه أقوى لك على برّي إذا قربت منك. ولعمري إنك لقوي على بِرّي أين كنتَ. واعلم يا بني أني قرأت كتاب الله (تقصد الإنجيل) أنه من عمل كبيرة اسودّ ثلث قلبه فإن عاد اسود ثلثاه فإن عاد اسود قلبه كله. ومن عمل الشيء وهو يراه حسناً فقد خاس. واعلم يا بني أن كل ذَنب مع الدم أَمَم.

- أَمَم: يسير جداً ولا يكاد يذكر. مالتّني: ما نقصتني (ماقصرت).

ما نقلته أم خالد عن الإنجيل لم يرد فيه بنصه وإنما هو خلاصة لبعض المواعظ فيه. وبيت القصيد في هذه الرسالة الأمومية هو فقراتها من كتاب الله إلى أمم... من الواضح أن أم خالد كانت تعرف ماذا يفعل ابنها في ولايته بالناس وتبلغها أخبار إرهابه الدموي المدمر. فتوجت ردها على دعوته إياها للخروج من دينها بهذه العبارات التي تبدو خارجة على موضوع الرسالة ومقحمة عليها. لكنها جاءت في سياق مقصود هيأته لها فرصة الرد على رسالته: إن كل ذنب يسير إلا القتل.ومن فعلها اسودّ قلبه ومن بررها لنفسه فقد خاس. والخايس هوالمتغير الفاسد المنتن.

مسيحية العرب والسريان هي المسيحية الأم. ولم تستنقع بالدم. ورسالة أم خالد تمثل هذا الواقع.

خلوة مع صديق

خيرة بنت أبي ضُغَيم البلوية تتحدث عن خلوة ليلية مع حبيبها:

وبتنا خلاف الحي لا نحن منهم
ولا نحن بالأعداء مختلطان

وبتنا يقينا ساقط الطل والندى
من الليل بُرْدا يَمنةٍ عَطِران

نذود بذكر الله عنا من الصبا
إذا كان قلبانا بنا يجفانِ

ونصدر عن ريِّ العفاف وربما
نقعنا غليل القلب بالرشفان

ـ خلوة خيرة البلوية كانت مع صديق.. والتزما فيها بشرط الصداقة الجاهلي وهما إسلاميان. كانت خلوة صداقة لا زواج وكان ذكر الله هو الحاجز ما بين جسديها! لكنهما أخذا بنصيب يسير من القُبل لينقعا غليل قلبيهما العاشقين. لم تكن خيرة مضطرة إلى الكذب. فالشعراء أحرار فيما يقولون وكان بوسعها أن تصف ما جرى لو أنه جرى خلافاً للشروط فلا يحاسبها أحد لأن الشعر لم يخضع للتحريمات....

احتراما لأنوثتها

زُوِّجت فتاة من شايب في عهد عمر بن الخطاب فقتلته. فنهى عمر عن تزويج الصغيرات من المسنين. وله توجيه آخر ينهى فيه عن تزويجهن

الدميم مراعاة لذوقهن. وفي بلاغات النساء: وقف رجل على امرأة حسناء وإذا بشيخ قصير يأتي ويكلمها. فسألها الرجل عن الشيخ فقالت هو زوجي. فقال الرجل متعجباً: كيف رضي مثلك مثله فقالت:

أيا عجبي للخَوْد يجري وشاحُها
تُزفّ إلى شيخ من القوم تنبالِ
دعاها إليه أنه ذو قرابةٍ
فويل الغواني من بني العم والخال

غريبة مع عنين

تزوجت امرأة من ناحية تسمى بقعاء رجلاً من ناحية لِينة فُعنِّن عنها فقالت تتشوق إلى موطنها:

من يُهد لي من ماء بقعاء شَربةً
فإن له من ماء لِينة أربعا
لقد زادني وجداً ببقعاء أنني
وجدت مطايانا بلينة ظُلّعا!

الصابرة والشاكر

كان عمران بن حِطّان، أمير شعراء الخوارج، دميم الخلقة وكانت زوجته في غاية الجمال فكانت تقول له:

إنا لعلى خير إن شاء الله: أُعطيتَ مثلي فشكرت وابتليت بك فصبرت...

مباراة في الهجاء

طلق أعرابي امرأته وكانت من بني عامر فجرت بينهما المهاجاة التالية:

الزوجة: إنك ما علمتُ لضيق الفناء صغير الإناء قبيح الثناء

الزوج: وأنتِ والله ما علمتُ إن كنت لواهية العِقد قليلة الرِفد مُجانبةً للرشد.

الزوجة: وأنت والله إن كنت لصارع (مصروع) السيف في البلاء ضائع الضيف في الكلاء منتهجاً للؤم في الملاء (الملأ).

الزوج: وأنت والله لطويلة اللسان مؤذية للجيران عارية المكان.

الزوجة: وأنت والله إن كنتَ للئيم الصُحبة فاحش العَدْوة بيّن الكبوة فاتر النزوة. وانتهت المباراة إلى هنا بتسجيل انتصار الزوجة من جانب الزوج الذي أوقف المباراة إقراراً بهزيمته.

سلمى بنت القراطيسي تتغزل بنفسها

فتاة حسناء من أهل بغداد في القرن الرابع الهجري، والقراطيسي هو صانع القرطاسية أو بائعها:

عيون مها الفلاة فداءُ عيني
وأجياد الظباء فداء جِيدي

أزيِّن بالعُقود وإن نحري
لأزْيَن للعقود من العقود

ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً
وتشكو قامتي ثقل النهود

ولو جـــــاورت فـي بـلـدٍ ثـمـــــوداً

لما نـزل البـــــلاء عـلـى ثـمـــــود

- أوصاب: أمراض.

تريد أن الله كان سيعفو عن أهل ثمود إكراماً لها. وربما كان سيمسخها تمثالاً من مرمر ويقيمه في المدينة ليحميها من احتمالات غضبه في المستقبل.

أكرم امرأة..... وأحزم وأذكى

نزل المخبَّل السعدي وهو في بعض أسفاره على ابنة الزِبْرِقان بن بدر وكان يهاجي أباها فعرفته ولم يعرفها فأتته بغَسول فغسل رأسه وأحسنت ضيافته وزودته عند المغادرة فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: وما تريد من اسمي؟ قال: أريد أن أمدحك فما رأيت امرأة في العرب أكرم منك. قالت اسمي رهو!

قال: تالله ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم غيرك. قالت: أنت سميتني به. قال: وكيف ذاك؟ قالت: أنا خُليدة بنت الزِبْرِقان. وكان المخبل قد ذكرها بسوء وهو يهجو أباها فقال:

فـــانكحـــتم رهواً كـــأن عِـــجـــانهـــا

مـــــــشق إهاب أوسعَ السلخَ ناجله

فأقسم لها أن لا يذكرها بسوء بعدها أبداً ولا يهجو أباها وقال ينتقد نفسه:

لقـــــد زل رأيـي فـي خـليـــــدة زلـة

ســـأعــــتب قـــومـي بعــــدها وأتوب

وأشــهــد والمســتــغــفــر اللهُ أنني
كــذبت عليــهــا والهــجــاء كــذوب

الحرة الصُليحية

أروى بنت أحمد الصُليحي ولدت في خراز باليمن ونشأت في رعاية أسماء بنت شهاب أم المكرَّم الصليحي أحمد بن علي وتزوجها المكرم ثم أصابه الفالج فخولها سلطاته، فاتخذت لها معقلاً في موقع يدعى «ذو جبلة» كانت تقيم فيه بعض أشهر السنة. وقامت بتدبير الدولة وقيادة الحروب إلى أن مات زوجها وخَلَفَه على الحكم ابن عمه سبأ بن أحمد فاستمرت تحكم باسمه وكان الوزراء والأعوان يجتمعون إليها وتكلمهم من وراء حجاب.

وكان يُخطب باسمها في المساجد عند الصلاة على العادة الجارية في إلقاء خطب الجمعة والأعياد باسم سلطان البلد وكان الخطيب يبدأ بذكر المستنصر الخليفة الفاطمي ثم يثنّي بالسلطان الصليحي ويختم بالحرة فيقول: اللهم أدِم أيام الحرة الكاملةالسيدة كافلة المؤمنين.... وكان الخليفة الفاطمي قد عهد بالسلطة في الدولة الصليحية (كانت تدار من مصر لأنها قامت على أثر حركة اسماعيلية في اليمن بقيادة فاطمية) إلى سبأ ابن عم المكرم وأمر بتزويج الحرة منه حتى تواصل مهامها التي لقيت رضا الفاطميين. ومات سبأ فتحصنت أروى بذي جبلة واستولت على ما حوله من الولايات والحصون وأقامت لها وزراء وأعواناً تدير الدولة بواسطتهم. وقد لقبت ببلقيس الصغرى ودام حكمها أربعين سنة (عاشت ٨٦ سنة) وهو أطول حكم لامرأة في التاريخ بعد الملكة

البريطانية فكتوريا (لا نحسب حكم أليزابث الحالية لأنها لا تمتلك سلطة) وتزيد على فكتوريا إذا حسبنا لها مدة قيامها بالحكم في حياة زوجها وابن عمه. وقد انتهت دولة الصليحيين بوفاتها إذ لم يكن بين الذكور من أمرائها من يملأ فراغ أروى.

والحرة الصليحية أيضاً لقب حماتها اسماء بنت شهاب وكانت تتمتع بنفوذ كبير في الدولة فكان يُخطب باسمها مع زوجها المكرم وتحضر المجالس بدون حجاب على وجهها، إلا أنها أسرفت في الأبهة ومظاهر السلطنة فكانت تسير في موكب من مئتي جارية يلبسن الحلى والحُلل ومعها جنائب الخيل مسرجة بالذهب ولم تستقل في الحكم الذي انتقل إلى ولدها المكرم زوج أروى وهي دونها في الموقع الذي تبوأته في تاريخ الدولة الصُليحية.

المرأة في الصين

ليس لهذا القسم من كتابنا عن المرأة ولا للكتاب نفسه علاقة بالمؤتمر الأمريكي للمرأة المنعقد، مع كتابة هذه السطور، في بيجينغ عاصمة الصين. بل هو مكرس أصلاً لإدانة من اشترك فيه وهو يعلم أو لا يعلم أنه يعمل تحت مظلة أمريكية. وكان الأليق بالوطنيين وأعداء الامبريالية أن يتنادوا لعقد مؤتمر للمرأة يمثل مظلومي ومظلومات العالم الثالث من دون اقحام الغربيين في هموم لا علاقة لهم بها. إن الغرض من هذا المؤتمر تقديم البديل المشوه لتحرير المرأة وطمس تجارب التحرر الرائدة التي نفذها شيوعيو القرن الحالي في عصرهم الذهبي الذي يجب أن يبقى في الذاكرة.

تبدأ الحضارة الصينية مع أسرة تجوو، القرن الحادي عشر ق.م، وهي من حيث التأرخة ثالث أسرة إذ سبقتها أسرة شيا التي لم تكتشف بعد وإنما ذكرت في السجلات التأريخية، وأسرة شانغ المعروفة للمؤرخين وتحسب عموماً في عداد ما قبل التاريخ. وفي أسرة تْجوو اكتملت عناصر الدولة والمجتمع في الصين وهي كشأنها في سائر الحضارات عناصر نظام أبوي ذكوري. وقد تساوق هذا التطور مع بقاء الاقتصاد المشاعي هو الحاكم في اقتصاد المجتمع منطبعاً في سمة عامة لمجتمعات آسيا التي لم تطور اقتصاداً فردياً مكتملاً، لكن نظام المجتمع كان أبوياً ذكورياً خالصاً. ولا يتناقض ذلك مع الحقيقة المتورخة التي تساوق ما

بين المجتمع الأبوي والمجتمع الطبقي فالطبقات وجدت أيضاً في الشرق وحملت نفس أصنافها وتسمياتها إلا أنها تمايزت عن نظائرها في الغرب من حيث افتقارها إلى الحدود الصلبة الحاجزة بينها أولاً ومن حيث أن إدارة الصراع الطبقي كانت في يد الدولة وحدها ثانياً. ويتداخل هذا التمايز مع تمايز الاقتصاد الآسيوي الذي حافظ دائماً على أصول مشاعية منعت من تطور الاقتصاد الآسيوي الذي حافظ دائماً على أصول مشاعية منعت من تطور الاقتصاد إلى نظام التملك الصرف. واتسم المجتمع الآسيوي كنظيره الأوربي بحدة الصراع الطبقي مع وجود ملْكية استغلالية سائدة تمسك الدولة بخيوطها كلها، وهي أعني الملكية الاستغلالية خاضعة مع ذلك لعوامل الصراع بين الاقتصاد الفردي والاقتصاد المشاعي /مما يميز التطور الاقتصادي للشرق/ ولكن من غير أن يميزه في نظامه الأبوي؛ فهنا كان المجتمع للرجال كما هو في الغرب منذ اليونان وكانت الجنسوية هي ميزان العلاقة مع المرأة. وعندما ظهر كُونْفوتْسَه (كونفوشيوس) كان الوضع جاهزاً لتنظيراته التي لم تكن من بنات أفكاره بقدر ما كانت بنت المجتمع. والمرأة عند كونفوشيوس سلبية مطلقة وحركتها مرهونة بولي الأمر وللمرأة الكونفوشية أولياء أمور يتقدمهم الأب ثم الزوج ثم الأخ ثم الإبن، ولو أن انعدام النظام القبلي ساعدها على عدم تعدد الأولياء خارج العائلة.

وظهر الزواج الضرائري في الصين. ومن جهة التشريع، لم يكن هناك حَظْر على هذا الزواج ولا إباحة له. والملحوظ هنا أن الصين لم يكن لها قانون موحد ثابت يحكم علاقاتها الاجتماعية كالشريعة عند المسلمين، وكانت العلاقات تخضع للأعراف والتقاليد شأن المجتمع

الجاهلي(*). وكان بإمكان الرجل أن يتزوج على زوجته لكن الضرائر لم يتعددن. وقد عوض رجال الدولة والطبقات المالكة والموسرين عن ذلك بالتسري. ولم يكن عدد السراري محدّداً وكانت القصور الامبراطورية تغص بهن. ومن حيث الزواج الشرعي كان من المعتاد للامبراطور أن يتزوج زوجتين؛ واحدة تكون هي الامبراطورة والأخرى هي زوجة عادية. وكان بوسعه أن يضيف إلى الزوجتين زوجات من جواريه المحظيات. لكن المعتاد هو زوجة أو زوجتان مع عدد غير محدود من السراري. أما الميراث فغير مقنن بسبب انعدام القانون الموحَّد المنظَّم لكن الذكر على العموم هو صاحب الحق الأول في ميراث والده. أما الأنثى فلا يوجد نص قانوني يعطيها حق الإرث أو يحرمها منه. وجرت التقاليد على أنها تحصل على الميراث إذا لم يكن بين الورثة ذكور. وتملك الأرملة حق التصرف في أموال زوجها. كما تعطى المرأة حصة من المهر الذي يذهب في الأصل إلى الأب كما هي عادة العرب الجاهليين.

فيما يخص حرية المرأة، كانت المرأة من عامة الناس أكثر حرية من المرأة من الطبقات العليا؛ فهذه كانت تلازم المنزل ويمنع خروجها إلى المدينة وحدها. أما المرأة الفقيرة فكانت تستطيع الخروج من منزلها وكان بوسعها العمل في المهن المخصصة للنساء أو في السوق. وحصل تطور في أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م) مع تقدم واتساع النشاط التجاري،

---

* التشريع في الصين يخضع لمصدرين : العرف وقرارات الامبراطور . والأخير هو قوانين الأسرة التي غالباً ما تشرع مع بداية حكمها وتبقى سارية ما دامت في الحكم ما لم تعدل أو تلغَ من امبراطور لاحق . وتطورت على هذا الأساس : العرف وقوانين الأسرة مؤسسة القضاء التي كان لها من المكانة ما لنظيرتها في الإسلام وقامت بدور مهم في التخفيف من معاناة الناس العاديين تجاه المتنفذين والمتسلطين . وقد وصلت أصداؤها إلى المسلمين الذين تحدثوا كثيراً عن "عدالة ملوك الصين" وهم يقصدون قضاة الصين .

داخلياً وخارجياً، فحصلت المرأة على فرص أوفر للعمل. ولم يكن للزوجة حرية التصرف في المنزل بوجود الزوج ومع أنها تتولى تدبير الشؤون المنزلية ويضمنها بعض وجوه الصرف فإن الزوج يملك وحده سلطة الصرف وتحديد المصروفات.

وكان حق الطلاق للرجل وحده. ولم تُعرف المخالعة عندهم. وتُلزم المرأة بالبقاء مع زوجها في مختلف الظروف وهو وحده الذي يستطيع فك الزواج. وفي الريف كان مصيرها بعد وفاة زوجها في يد أقرباء الزوج وتمنع من الزواج بعده. لكنها في المدينة تستطيع الزواج، ولو أن هذا الحق لم يكن مطلقاً. ومن الأعمال الأدبية المشهورة في الصين رواية تحدثت عن امرأة ارتكبت مخالفة مزدوجة وهي من بنات الارستقراطية المدينية فتزوجت بعد زواجها، وبرجل من عامة الناس واضطرت إلى الفرار معه من مدينتها إلى مدينة أخرى. وصارت فعلتها حديث الناس في موطنها الأصلي. وقد تجرأ كاتب متأخر عنها بزمن فكتب هذه الرواية التي دافع فيها عن سلوكها.

ولم يعرف الصينيون الحجاب. والمرأة لم تكن تستر شعرها. لكن ملابسها كانت محتشمة وتغطي أجزاء جسمها كلها بما فيها الأذرع والسيقان.

لدى المقايسة، كانت حقوق المرأة في الإسلام أوسع منها في الصين من حيث: الميراث، حق الزوج وحق الجنس، حق الخروج من المنزل وحدها في حدود مدينتها بصرف النظر عن وضعها الاجتماعي، حق الطلاق متمثلاً في الخُلْع وعدم إلزام المرأة بالبقاء مع رجل يظلمها، حقها في المهر كاملاً، تقليص الولاية عليها لتكون للأب فقط لغير المتزوجة،

وللزوج فقط للمتزوجة. والمرأة التي لا زوج لها ولا أب لا ولاية لأحد عليها. وقد مر في مباحث المرأة المسلمة أن القيود كانت على البكر الشابة أكثر منها على الثيّب ومن تجاوزت سن الشباب. وتتقدم المرأة الصينية على المسلمة في سفورها. ومن جهة الحرية فالقيود متماثلة في الحضارتين، وحرية المرأة الجاهلية أوسع من نظيرتها في الصين والإسلام. لكن الصينية شاركت في الانتفاضات الفلاحية شأن نساء الخوارج في الإسلام. وظهرت منهن متنفذات في البلاط الصيني كالمتنفذات في البلاط الإسلامي. واعتلى بعضهن العرش الامبراطوري. وقد حكمت "وُو تْزَه تْيان" من أباطرة أسرة تانغ المعاصرة للأمويين خمسين سنة استقلت منها بالعرش خمس عشرة سنة. وكانت في العصر الذهبي للأسرة ومن الأباطرة الأقوياء. ولعلها تذكرنا، في حزمها المقنن بشيء من مبادئ العدل، بسيرة عمر بن الخطاب. وكثيراً ما تحكمت "التاي خو" في العرش من خلال تسلطها على وريث شاب أو وصايتها على وريث قاصر. والتاي خوهي الامبراطورة الأرملة. وكانت آخر وأبرز تاي خو هي عمة الامبراطور الأخير، الذي ورث العرش صغيراً فأدارت الامبراطورية عن طريق وصايتها عليه. وعرفت بالقوة والدهاء، لكنها كانت فاسدة ومتسلطة بخلاف التانغية ووتزه تيان. وقد شهدت انهيار الحكم الامبراطوري بثورة ١٩١١ التي قادها صون يات صن.

بعد انكشاف الصين للغرب تسربت إليها الأفكار الحديثة عن حرية المرأة. وشملت الحداثة النسوية الأزياء وحق الاختلاط مع حق العمل. ومن جهة الوضع الواقعي كان حق العمل مقيداً بالمنافسة غير المتكافئة مع الرجال فلم يتسع نطاق العاملات في الدولة والمجتمع. ومعروف من

هذه الجهة أن المرأة في الغرب لم تساهم بقسط كبير في الحياة الاقتصادية والسياسية، وموقعها في العمل يكاد يقتصر على الإدارة والسكرتارية. والتحرر الأكبر للمرأة في الغرب هو ما يتحقق في دائرة الحق الجنسي، الذي امتلكته الغربيات بالكامل. ولم تسلك المرأة الصينية في هذا الطور مسلك المرأة الغرباوية نظراً لقوة التقاليد الشرقية التي تميز بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال فتتشدد في الأولى وتتسامح في الثانية. وهي معادلة حرجة تحكم الشرقيين وتنعكس في المعتاد عند الغربيين المعاصرين. لكن نساء الارستقراطية المالية والحكومية أخذن بأسباب التحرر الغرباوي في مفهومه الجنسي ولو أنه لم يكن بتأثير أحادي من الغربيين، فالارستقراطية في جميع العصور تعرف هذا اللون من التحرر وتمارسه ضمن مفهومها اللذائذي في الحياة.

أسس الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١في شانغهاي، التي كان الشيوعيون يسمونها "مدينة الفساد البرجوازي" وذلك لشيوع مظاهر التحرر النسوي فيها بتأثير النفوذ الأجنبي المباشر على المدينة. وهي أكبر مدن الصين من حيث السكان. واتسع نفوذ الحزب الشيوعي بسرعة ليصبح القوة الأولى في البلاد بعد حزب الكومين دانغ (الكومنتانغ) الحاكم، وانتظمت نساء كثيرات في الحزب الاشتراكي واشتركن في نضاله السري الصعب والشديد التعقيد والمخاطرة. وقدمت الكثيرمنهن حياتهن في سبيل ذلك. وكانت حكومة الكومنتانغ برئاسة جيانغ كاي شيه (تشيانغ كاي شيك) تحكم عليهن بالإعدام فكن يستقبلن أحكام الإعدام بشجاعة تذكّرنا بنساء الخوارج حين يقعن في قبضة آل زياد والحجاج. ومن بين اللواتي طالهن الإعدام زوجة ماو الأولى.وكانت قد

تخلفت عن المسيرة الكبرى واشتغلت في إدارة التنظيم السري للحزب في مقاطعتها، فاكتشفوا أمرها وأعدموها. ومن مشاهير المناضلات مع الشيوعيين أرملة صون يات صن الذي مات وهي في عز الشباب فلم تتزوج بعده جرياً على التقاليد وكرست وقتها للعمل السياسي والاجتماعي وهي من فاتنات زمانها ومن أصول أرستقراطية وأمضت صباها في المهجر الأمريكي وكانت شقيقتها زوجة تشيانغ كاي شيك لكنها اتبعت مبادئ زوجها الذي اتجه في أيامه الأخيرة إلى التعاون مع الشيوعيين/ ليس بدافع طبقي، فهو بدوره من أسرة مهاجرين تجار، بل لإنجاز التحرر الوطني. وقد عُيِّنت بعد التحرير نائبة لرئيس الجمهورية.

أنجزت الشيوعية الصينية تحرير المرأة الصينية ضمن المعادلة التي تحرم شيوعية النساء وتتمسك بشيوعية الأموال. والشيوعية الصينية نمط آسيوي أخذت من الماركسية تنظيمها للاقتصاد ومن اللينينية تنظيمها الحزبي ولم تأخذ منهما الفكر الشيوعي الذي تعيشه الصين وتصارع حوله منذ أكثر من ألفي سنة. وهي تعرفه أكثر من الغربيين وتتماهى به حضارتها شأن غيرها من أقاليم آسيا. والتمييز قائم بعمق في الشيوعية الآسيوية ما بين شيوعية الأموال وشيوعية النساء. وقد أظهر الشيوعيون الخلص في آسيا القديمة طهرانية متشددة بخصوص المرأة قياساً مع أبناء الطبقات والفئات شبه الإقطاعية والارستقراطية المنتمية إلى معسكر الملكية الخاصة. فكانت المزدكية ترى الزهد في النساء كالزهد في الأموال. وهكذا رآها الشيوعيون المسلمون بدءاً من أبي ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني ومن بعدهم قرامطة العراق وشرقي العربيا. وقبلهم جميعاً حَرّمت الشيوعية اليسوعية زواج الضرائر وامتنع

نبيّها عن الزواج نهائياً لتجسيد الطهرانية في الموقف من الجنس. بينما كانت الطبقات المالكة ومنها الهيئات الحاكمة تمارس الإباحية الجنسية وتمتهن المرأة فتجعل وظيفتها غريزية خالصة. وهناك تطابق شبه تام بين جنسانية هذه الطبقات في آسيا ونظائرها في الغرب. ويشترك الفريقان من أقطاب التملك الفردي في اعتبار الجنس حاجة طبيعية بالكامل شأن البول والبراز، فمثلما يتعين على الإنسان أن يتخلص من فضلاته على مدار ساعات اليوم فهويملك الحق في تفريغ شحناته الجنسية عندما تضغط عليه في أي لحظة وفي أي ظرف as a natural need. وكان هذا الحق عند قدمائهم مخصوصاً بالذكر، فأعطاه الغربيون المعاصرون للأنثى أيضاً. ويصبح الجنس في الغرب مادة حياة تامة الانفلات وتستهلك من الغربيين الجزء الأكبر من أوقات فراغهم، بل وتتغلغل في ساعات العمل عن طريق ما يسمى sex in business وهو ما عرفته الحضارة الإسلامية في العصر العباسي- الأندلسي وسجله مؤلف إسلامي في كتاب مفقود عنوانه: "الأس فيمن قدمه الكس". ويجري هذا كله في حظيرة أهل التملك الخاص، من أرباب الدولة وارستقراطية المال على النحو الذي سجله القرآن حين قرن الفساد بالأرض بسلوك هذه الفئات، ولو أنه، كما قلنا من قبل، لم يتخلص من الإرث الذكوري فأعطى للجنس ما أعطاه الغربيون في العصر الحاضر. وكما بيناه في الفصل السابق فالشريعة الإسلامية تتجارى مع شرائع العالم الأوروأمريكي في هذا المضمار لكن مع اختلاف في الطريقة. فالزوجات الثلاث الإضافية والتسري والمتعة وهي ما يقع خارج العلاقة الزوجية مقررة في أحكام النكاح. أما في الغرب فما هو خارج العلاقة الزوجية خاضع للعرف لا

للقانون. على أنها بدأت تدخل حقل التشريع مؤخراً بإسباغ الصفة القانونية على اللواط والسحاق. وقبلها على البغاء. وللبغاء في الغرب تنويعات تعكس عنصر الإبداع وجنوح الخيال عند الغربيين المعاصرين ومنها الإلطاف المسرحي وهو أن تقوم فتاة بممارسة العادة السرية (هنا طبعاً لم تعد سرية) على المسرح لإمتاع المشاهدين. ويتفوق الغربيون في ذلك على المسلمين لأن الجنسانية الإسلامية لا تبيح المتاجرة بأجساد النساء. ومن جهة الانحرافات فاللواط محرم عند المسلمين ويعاقب عليه والسحاق محرم ولا عقوبة عليه.

بقيامها على مبدأ شيوعية الأموال الآسيوي أنجزت الشيوعية الصينية تحرير المرأة ضمن الوضع الفضائلي للمجتمع الآسيوي في قطاعه الجماهيري المتماهي بالاقتصاد المشاعي:

أعيد تنظيم العائلة بإلغاء النظام الأبوي الذكوري وتأسيس العائلة الوحدانية المطلقة: زوج واحد لزوجة واحدة، مع اعتبار السيادة في العائلة متكافئة بين الزوجين. وجُرد الرجل من صلاحياته المكرسة له في النظام الأبوي ووزعت مسؤولية المنزل والأولاد عليهما بالتساوي. وأعيد تنظيم التدبير المنزلي على هذا الأساس فصار العمل في البيت من طبخ وتنظيف ونحوهما بالمناوبة: يوم على الرجل ويوم على المرأة. وكنت مرة مدعواً إلى بيت زميلة عمل فقالت لي: "اليوم الطبخ على زوجي وهو يجيده أحسن مني وهذه فرصة لك لكي تتذوق الطعام الصيني اللذيذ". وألغي المهر بالاستناد إلى أن العلاقة الجنسية حاجة مشتركة بينهما، والمهر يدفع، كما بينا في فصول فارطة، ثمناً لجسد المرأة. ومع إقرار التساوي في الحاجة الجنسية والحق الجنسي لا يبقى مكان للبيع والشراء

بينهما. وإلغاء المهر لا يعني إلغاء عقد الزواج. وقد تبين لنا حتى الآن أن الشريعة الإسلامية لا تعتبر المهر من أركان العقد وإنما جرى التشديد عليه كحق للمرأة من جهة التصور الخاطئ الذي يجعل الجنس حاجة للذكر دون الأنثى، والعقد يصح بدون مهر بعد التأكد من أن المرأة تنازلت عنه طوعاً من غير إكراه أو خداع من جانب الرجل. ويسجل الزواج الصيني في الدوائر الرسمية المسؤولة عن هذه الشؤون.

أحادية الزواج في الشيوعية الصينية مطلقة. فهي لا تتضمن فقط إلغاء الضرائرية والتسري في غرارهما التقليدي القديم بل وتستبعد التعدد في شكله الغربي الحديث المتمثل في إباحة العلاقة الجنسية خارج الزواج للمرأة والرجل. إن نكاح الرهط (تعدد الأزواج) وزواج الضرائر ومكمله التسري كائن عند الغربيين في حق الزوجة إقامة علاقة جنسية مع غير زوجها وهي في عصمته وفي حق الزوج إقامة علاقة جنسية مع غير زوجته وهو في عصمتها. وهذا الحق كائن في العرف الاجتماعي وقد ينص عليه في عقود الزواج (انظر باب أشكال الزواج في القاموس الملحق). وتبشر به الصحافة الغربية، كما تنشر مجلات الجنس مقالات عن مزايا الخيانة الزوجية. ويجري ذلك ضمن الجنسانية الغربوية(*) التي تعتبر تصريف الطاقة الجنسية كتصريف البول والغائط داخلاً في قائمة الـ natural needs ولا يجوز ممانعته. والمعروف طبياً أن ممانعة البول والبراز مضرة بالصحة، وقد نهى الإسلام القضاة عن القضاء وهم حاقنون لأن هذا يربك أحكامهم ويعرضها للخطأ. وقالت العرب: "لا رأي لحاقن"

* أستميح القارئ عذراً في حيرتي بين غربي وغربوي وغرباوي فأنا أسعى لتحاشي الخطأ المطبعي الذي يحول الغربي إلى عربي وهو سهل يتم بإهمال النقطة فقط رغم أن ما بين العرب والغرب يزيد على النقطة .

وهو الممتلئ بالبول أو الغائط. وفي رواية عن بعض اللغويين وذُكر فيه هذا القول بحضوره أضاف أحد الحاضرين: "ولا لمنعظ" فقال اللغوي: أثبتوه فهو صحيح! والمنعظ هو المتهيج جنسياً. والفرق هائل بين الحاجتين. فخروج المادة المنوية يمكن ممانعته، وبقاؤها في الجسم لا يضر بالصحة والـ natural منه هو اتحاد الذكر والأنثى للإنجاب حفظاً للنوع. وهو يتم عند الحيوانات في مواسم معينة من السنة فقط. ومن هنا اتجهت الشيوعية الصينية في بناء حضارتها الجديدة إلى تهذيب الغرائز وتغيير الصورة المجونية للرجل الآسيوي في ركضه اليومي المحموم وراء المرأة وللجنسين الغربيين وهما يلهثان وراء بعضهما لهاثاً أدى به تفجره النووي إلى التحام الجنس بجنسه في ساحة الـ....homosexuality.

حرم الشيوعيون الصينيون العلاقة الجنسية خارج الزواج. ويشمل التحريم علاقات الشباب قبل الزواج. وقد سُمح بالتقائهما إذا قررا الارتباط بصداقة تهيئ لزواجهما. وهذه الصداقة هي بمثابة فترة الخطوبة. ويفترض أنها تنتهي بالزواج إلا إذ اختلفا بعد تعرفهما إلى بعضهما البعض فوجدا أن ارتباطهما بالزواج غير ممكن وعندئذ تنتهي الصداقة. وقد تستمر الصداقة سنوات ويكون ذلك إذا بدأت قبل السن المسموح بها للزواج وهي ٢٥ لكليهما. وبالطبع تمنع العلاقة مع آخر أو أخرى في هذه الفترة كما تمنع بعد الزواج، وارتباط أحدهما بعلاقة كهذه يعني الفصم التلقائي للصداقة. ويتعرض من يقيم علاقة بدون هذا الشرط إلى الاستجواب. وقد حضرت عام ١٩٧٨ محاكمة في بيجينغ حوكم فيها شاب بتهمتين: الأولى سرقة سيارة والثانية إقامة علاقة غير شرعية مع امرأة. وعقوبة مخالفة كهذه هي أدبية في المعتاد لكن الصينيين يستعظمون العقوبة الأدبية ويجعلونها كالعقوبة المادية.

ولتضبيط هذا المبدأ منعت العلاقات غير المشروطة بالزواج بين طلبة الجامعات. وهي مختلطة. لكن الطالب يُمنع من دخول القسم الداخلي للطالبات. ويشمل هذا المنع الطلبة الأجانب "وضحاياه" بالطبع هم الغربيون. وكان الطالب الغربوي إذا أراد الاتصال بطالبة من بني قومه يأتي إلى مكتب الاستعلامات في قسم الطالبات ويذكر لهم اسم الطالبة التي يريد لقاءها. فيؤمر بالبقاء في المكتب ويبعثون على الطالبة لتأتيه وتكلمه أمام أعين الحرس حتى لا تجري بينهما خلوة محذورة!.

بيّنا أن المرأة الصينية لم تكن محجبة في الماضي وأن سفورها محتشم. إلا أن خضوع الصين للنفوذ الغرباوي ارتكس في نساء المدن من فئات البرجوازية الكومبرادور والبرجوازية الصغيرة المتعلمة فظهر التخلع في هذه الأوساط دون الأوساط العامية من أغلبية الشعب الكادحة. وانتشر البغاء على نطاق أوسع من الماضي، وهو موجود في كل وقت وفي جميع الحضارات بما فيها حضارة الإسلام العباسية، إلا أنه اتسع واستشرى في الصين مع دخول الغربيين إليها[*] والملحوظ في البلدان التي يدخلها الغربيون ويتنفذون فيها تفشي آفتين اجتماعيتين متلازمتين هما البغاء والتسول. وقد اختفت مظاهر التخلع مع تأسيس الجمهورية الشيوعية عام ١٩٤٩ وشنت حملة لتصفية البغاء قضت عليه تماماً وطبقت سيرورة إصلاح للبغايا بتأهيلهن للعمل السوي انتهت بإدماجهن في المجتمع الشيوعي. وحدثتني سيدة بريطانية من الفريق الأممي الذي التحق بالثورة الصينية في الثلاثينيات أنها تعلمت اللغة الصينية في مدرسة كانت مخصصة للبغايا المستصلحات. وفيما يتعلق

* يسمي العراقيون المرض التناسلي "فرنجي" -جيم قاهرية . نسبة إلى مصدره الأوربي .

بالسفورفإن التخلع قد اختفى كما قلت ومنعت النساء من لبس الكيمونو والملابس القصيرة والملابس المقسمة على الجسم. وانتشر في الثورة الثقافية نظام الزي الموحد فارتدت النساء، البنطلون الفضفاض والسترة العمالية الزرقاء وكان ذلك إسرافاً في إهمال مظاهر الإنوثة الطبيعية للمرأة. وهو من معافسات ماوتسي تونغ وزوجته الثالثة. والاتجاه العام للقيادة الشيوعية في جملتها هو ارتداء النساء للزي النسائي مع الحشمة وعدم البذخ والمبالغة في الزينة. ولماوتسي تونغ قبل الثورة الثقافية شعريمتدح به بنات المليشيا فيقول:

جرأة وعزيمة وبنادق من سبعة أقدام
وضياء الفجر ينير ميدان التدريب
لبنات الصين همم أسمى
يحببن ملابس الميدان
لا الحرير ولا الساتان(*)

لكن هذا كان اثناء التدريب وأداء الأعمال المنوطة بالمليشيا قبل أن يعمم الزي الجماعي في الثورة الثقافية. وكان ماو قبل هذه الزوبعة على انسجام مع بقية أركان القيادة الشيوعية في هذه المسألة وغيرها.

ومُنعت التسريحات المتنوعة للشعر. فكانت الفتاة قبل الزواج تكتفي بضفيرة قصيرة واحدة ترسلها إلى الظهر فإذا تزوجت قصت الضفيرة واقتصرت على تسريحة الشعر القصير بلا ضفائر ولا خصل

* مكذا في الترجمة العربية التي أجريت بإشراف المرحوم الأستاذ سلامة عبيد . والنص الأصلي :
بو آي خون تْجوان
آي وو تْجوان
حرفياً : لا يحببن الفساتين الحمراء بل يحببن ملابس الميدان .

مُسْدلة على البدن. وكان هذا زي الشيوعيات قبل إقامة السلطة. وكانت زوجة ماو الأولى تمشي بهذه التسريحة في شوارع شانغهاي متحدية التقليعات السائدة في (مدينة الفساد البرجوازي).

المرأة الصينية في وضعها الاجتماعي هذا أخذت على عاتقها نصف البناء الاشتراكي بالضبط. وقد تجاوزت بحضورها الشامل في مواقع العمل والانتاج نظيرتها في أوربا وأمريكا الشمالية، مما عبر عنه المعجم الصيني الحديث في صيغة "بان بْيان تْيان" التي صارت من مرادفات اسم مرأة في الصينية الحديثة. وترجمتها: "نصف السماء". ولم يكن ذلك من باب الاستعارة البلاغية بل هو الواقع كما رأيته بنفسي بين بداية ١٩٧٧ وبداية ١٩٧٩ وهي الفترة الأولى من إقامتي في الصين.

فقد وجدت المرأة في كل موقع عمل وفي جميع مضامير الإنتاج عدا مضمارين: التعدين، والملاحة. الأول لما يتطلبه من جهد عضلي شاق لا يناسب المرأة والثاني لتجنب الإشكالات التي يسببها اختلاط النساء والرجال في الرحلات البحرية وهي تدوم في العادة مدة طويلة. وفيما عداهما كان حضور المرأة بالمناصفة في الأعمال الاعتيادية كالفلاحة والصناعة الخفيفة. وبنسبة أقل في الصناعة الثقيلة، وبنسبة أكبر في صناعة النسيج وصناعة التحف والخزفيات، وهي مرفق تقليدي كبير الأثر في الاقتصاد الصيني.

ويتفوق عددهن في الخدمات الطبية فيزيد عدد الطبيبات على عدد الأطباء بأكثر من النصف.وتظهر المستشفيات الصينية في كثير من الحالات وكأنها مستشفيات نسائية! لكنها تعالج شتى الاختصاصات. على أن الجراحات أقل من الجراحين بنسبة عالية وقد بدا لي أن نساء الصين لا يملكن الجرأة الكافية لبقر البطون وقطع الأوصال وإعادة

تركيبها... لكن الفتاة الصينية بنت العشرين تتجرأ على إدارة رافعة عملاقة إذا وقف الإنسان تحتها لا يكاد يبصر ملامح سائقها لارتفاعها. وقد عشت في لندن حولاً قميطاً فلم يقع نظري على امرأة تسوق حافلة أو شاحنة فالبريطانية لا تسوق غير سيارتها الخصوصي الصغيرة، لكن فتيات بيجينغ يتقاسمن الحافلات الضخمة مع الرجال. والحافلة في بيجينغ مزدوجة لكي تتسع للعدد الاستثنائي للركاب. أما المحصِّلون في الحافلات فهم نساء بنسبة تزيد على التسعين بالمئة.

واعتمدت الخدمات الفندقية على النساء كنسبة غالبة. ومضيِّفو الفنادق والمطاعم نساء في المعتاد. وملابسهن هي نفسها ملابس غيرهن من المشتغلات في المطارح الأخرى سوى أنهن يرتدين قمصاناً بيضاء ولا يستعملن الزُواقة. وقد خلت مواقع العمل الفندقي من الفضائح الجنسية. كما خلت منه مطارح العمل والإنتاج في غيرها. ويأتي هذا الوضع كاستمرار وتكريس لطهرانية الشيوعيين الصينيين؛ فاشتراك المرأة في حرب التحرير والنضال السري لم يقترن بالانحلال الجنسي، ويخلو تاريخ القيادة الصينية من أخبار العلاقات غير الشرعية في مرحلتي الثورة والسلطة. وانفرد ماوتسي تونغ بتزوجه مرتين بعد زوجته الأولى القتيلة. وهذا فقط!

وما تتحدث به بعض وسائل الإعلام في الغرب عن مغامراته يندرج في سيرورات تزوير التاريخ التي يتبادلها الخصوم من شتى الأمم وشتى الطبقات(*). وفي النزاع الذي اندلع بين الشيوعيين الصينيين لا سيما في عقد الثورة الثقافية وما بعده في الصراع مع جماعة الأربعة نشرت

* إن الغرب الذي يدستر الشذوذ الجنسي يستخدم الفضائح الجنسية في السياسة أكثر من الشرقيين.

فضائح كثيرة مدّعاة من فريق السلطة ضد الفريق المنحّى ولم يكن من بينها فضائح جنسية مما تعودنا على سماعه في مواسم الانتخابات في الغرب. لقد كان بالإمكان اتهام ليوشاوشي بالتجسس لليابان ويمشي الاتهام وسط الضجيج الغوغائي للشيوعية الستالينية لكن اتهامه بعلاقة جنسية كان سيقابل بالبرود من الجمهور الصيني الذي لم يألف مثل هذه الحكايات.

في السياسة لم يكن للمرأة الصينية موقع متميز. وهي لا تتفوق في ذلك على المرأة في الغرب وتتفوق عليها المرأة في بلدان القارة الهندية المجاورة وهي الهند وباكستان وسري لانكا. ولو أن التفوق في زاوية معينة لا يؤشر تقدماً في الزوايا الأخرى مالم تتكامل. ويلاحظ بوجه عام أن المرأة في أي مرحلة من التاريخ وفي أي حضارة وقفت متهيبة أمام ساحلين: ساحل السياسة وساحل الفلسفة. وقد تحدثت عن المرأة والفلسفة في الفصل السابق، ويبدو لي أن السياسة هي الأخرى موقع تهابه المرأة رغم التجارب الناجحة التي سلفت لها في الحكم. مهما يكن فالمرأة الصينية لها حضور في البرلمان الصيني يبلغ حوالي الربع ولو أن النشاط البرلماني في الصين لا يكاد يذكر والهيئات النيابية هناك شأن غيرها في بقية البلدان الاشتراكية هي أجسام عديمة الظل.

وأوجد الشيوعيون حلولاً جذرية لمشكلة رعاية الأطفال عند غياب الأبوين في العمل فألحقوا في كل مرفق انتاجي دور حضانة ورياض أطفال تشرف عليها شغيلات متفرغات. ويكون الأطفال في نفس الوقت على مقربة من أمهاتهم اللواتي يستطعن أن يتفقدنهم في الفترات ويمكن للمرضع منهن أن تُرضع طفلها عند الحاجة. والرعاية مجانية.

هكذا وقفت الشيوعية الصينية بين التحرر والصيانة فأنزلت المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج لتحقيق إنسانيتها الكاملة في مشاركة الرجل ما كان مجالاً خاصاً به وجعلتها سيدة في نفسها وفي عائلتها وفي مجتمعها. وصانت كرامتها الأنثوية عن الامتهان بإلغاء المهر والبغاء وتقييد العلاقات الجنسية خارج الزواج. وفي الحياة العامة كانت العلاقات الطبيعية تجمع بين الجنسين. ومن النادر جداً أن تتعرض المرأة للمضايقة خارج منزلها. والتعريض بها في الكلام نادر أيضاً. وعلى كثرة الحسان فيهن(*) فهن لا يلفتن نظر الشباب. وتجلس الطالبة مع الطالب في الجامعة فلا يشعر أحد أن الجالسَين هما ذكر وأنثى. وكانت عربية محجبة من جاراتنا لا تتحجب من الرجال الصينيين ولما سئلت عن ذلك قالت: ذولا مش رجال! وتخلو شوارع المدن من العبارات الجنسية التي تملأ الجدران في المدن البريطانية. وبينما يشعر المرء وهو يطوف في شوارع لندن أن ثورة جنسية على وشك الحدوث لا تجد في شوارع العاصمة الصينية ما يُشعرك بانقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى...

لكن الشيوعية الصينية قصرت في توفير فرص الزواج للمرأة. ولم يظهر الشيوعيون الصينيون تقديراً جيداً لمشكلة حرمان المرأة من حقوقها الجنسية كالذي أظهره المسلمون. ويرجع ذلك إلى انشغالهم بالبناء الاقتصادي وما تخلله من صراع سياسي بينهم. وقد تفاقمت أزمة الزواج في السنوات الأخيرة وارتفعت نسبة العوانس. والجمهورية الحالية غير معنية بهذه المشكلة بعد أن فككت النظام الشيوعي في الاقتصاد وتبعاً له

(*) قال ابن بطوطة في أحاديثه عن الصين إنها "بلاد فساد وحسن فائق".

في المجتمع وسعت لإقامة نظام اجتماعي مستوحى من الحضارة الأمريكية حيث تأخذ الحقوق الجنسية للمرأة سبل توفيرها خارج مؤسسة الزواج.

ويعيش النظام الاجتماعي الصيني حالة بلبلة بانتقاله السريع والجذري من منظومة قيم إلى أخرى. وتفصيل ذلك يخرج بنا عن الصدد. مهما يكن فإن تجربة الشيوعية الصينية في مجال تحرر المرأة هي تجربة رائدة للتحرر النسوي المؤنسن والمتحقق في مدار مجتمع تحكمه العلاقات الشيوعية بطهرانيتها الموروثة مع ما فيها من مقومات تطور ارتهنت بإعادة الاعتبار للمرأة ونقلها من حاجة منزلية كما كانت في الماضي ومن سلعة للبيع والشراء كما هي اليوم في الغرب إلى عنصر بشري فاعل في الحياة ومساهم نشيط في حركة التاريخ. ويمكنني المراهنة أن عودة الشيوعية إلى الصين ستعيد معها هذا الغرار البشري للتحرر النسوي. إن تجربة حية تعتمد على مثل هذا العمق الحضاري الهائل لشعب مُعرِق في منظومات القيم الاجتماعية الكبرى يستحيل شطبها بقرار صادر عن هيئة حاكمة تحكم بناء على مرجعية دولية لم يعرفها الصينيون في ماضيهم ولا حاضرهم وأغلب الظن أنهم لن يتعرفوا عليها في المستقبل.

قاموس المرأة

مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

القسم الذي ينشر هنا من معجمنا الكبير يوفر غراراً للدراسة والتقييم لمشروع لا سابق له في المعجمية العربية الحديثة ، وهو بالتالي مشروع خلافي قابل للأخذ والرد والتخطئة والتصويب . وأتوقع من المعنيين بمشكلات اللغة العربية أن يبينوا آراءهم فيه للاستفادة منها في تقويم العمل وتقريبه من الكمال . وسأتابع ما يكتب في الصحافة إن كتب ، ويسرني أن أتلقى الملاحظات الشخصية على عنوان الناشر : دار الكنوز الأدبية .

المؤلف

رموز ومصطلحات

الرمز	المعنى	الرمز	المعنى
الأساس	أساس البلاغة للزمخشري	مص	اللهجة المصرية
اه.	انتهى.	المحيط	محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني
التاج	تاج العروس في الشرح على القاموس لمرتضى الزبيدي	مُحْدَثة	ما أحدثه العرب في العصر الحديث من مفردات.
ج	جمع	مستحدث	محدث في العقود المتأخرة من هذا القرن ولم تتضمنه المعاجم الحديثة
جج	جمع الجمع		
خياط/مرعشلي	ملحق لسان العرب المطبوع معه ليوسف خياط ونديم مرعشلي	مولّد	ما ظهر من لفظ بعد عصر الرواية أو ما غُيِّر عن معناه إلى معنى آخر محدث والإشارة في هذا القاموس تقتصر على المضمون الأخير
سدن	اللهجة السودانية		
سط	لهجة سوريا الطبيعية (بلاد الشام)		
عق	اللهجة العراقية		
عامي	لما هو ملفوظ في أكثر من لهجة.	الوسيط	المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة
فرَيْحة	أنيس فريحة في "معجم الألفاظ العامية"	باء باريس	الباء التي تلفظ على شاكلة الحرف p اللاتيني.
القاموس	القاموس المحيط للفيروز أبادي		

ملحوظات

١- المنتقى في هذا القاموس من اللهجات غير مستوفى تبعاً لكل لهجة بالنظر لعدم قدرتنا على جمع اللهجات العربية جميعها بل وتعذر الإحاطة بلهجات البلد الواحد. وحيثما وردت إشارة إلى لهجة معينة بنسبة مفردة ما إليها فلا يعني هذا بالضرورة اقتصارها على تلك اللهجات. فليلاحظ.

٢- لفظ الحروف العامية يختلف حسب اللهجات. وقد نبهنا على ذلك في مقدمات المعجم.

٣- معجمعت المترادفات من العامي كما من الفصيح ضمن خطة للمعجم في إثراء المفردات والتيسير على الكتاب في اختيار مفرداتهم تبعاً للمقتضيات المتعددة للغة الكتابة.

الكتاب الأول

العائلة

الباب الأول
المرأة

الفصل الأول
تسميات المرأة

مَرْأة: مؤنث مرء. واختصت بالأنثى مقابل الرجل.

إمرَأة: مؤنث إمرأ. بنفس المعنى. والنسبة إليها إمرأتي.

مَرَة: إمرأة. قال أبو طاهر القرمطي:

يا بني العبـاس من ينصـركم
أصـبيٌّ أم خـصيٌّ أم مـرة

وهي الدارجة في العامية المعاصرة. والنسبة إليها مَرْتي.

مَراة مخفف مرأة. وترد في العامية المعاصرة منسوبة في الغالب: مراتي. ومراة فلان. وهي كذلك في مصر كما عند عرب بخارى.

نساء جمع مرأة. متطور عن سامية أقدم. ففي العبرية "نشيم" والمفرد منه أشه على غير لفظ الجمع كما في نساء ومرأة. والنساء متطورة عن نشيم. ولجمع النساء صيغتان آخريان هما نِسوة ونِسوان. ونِساوين (جج). عامي والمستعمل في لغة الكلام نسوان ونساوين.

النسبة القياسية إلى امرأة لم تستعمل والشائع عند المعاصرين هو نِسْوي ونسائي. يقال: ملابس نسائية وشؤون نسائية أو نسوية وطب نسائي واتحاد نسائي....

ملحوظة: تسميات الأنثى بحسب مراحل العمر تجدها في كتاب الإنسان. وقد اجتُزِئت تسميات المرأة في هذا الجزء من ذلك الكتاب.

الفصل الثاني
ألقاب المرأة في الخطاب والتكريم

سَيِّدة مؤنث سيد. خطاب أو لقب يكثر في العصر الحاضر ويختص بالمتزوجات. ج سيدات

آنسة للعذراء عند المعاصرين. وتخاطب بها المعلمة في سورية بصرف النظر عن وضعها الزوجي. ج أوانس وآنسات. البحتري:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات إذا لاحت مغانيها

وأصلها، وهو ما عناه البحتري، الفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها والمأنوس حديثها.

ستّ لقب عام للنساء.

وفي تخريجها يقول الفيروز أبادي: "ستي للمرأة أي يا ست جهاتي أو لحن والصواب سيدتي" وفي شروح القاموس يرد ما يلي: "قوله الصواب سيدتي ويحتمل أن الأصل سيدتي فحذف بعض حروفه قاله الشهاب القاسمي ونقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه ينبغي أن لا يقيد هنا بالنداء لأنه قد لا يكون نداء. قال والظاهر أن الحذف سماعي وأن النداء على التمثيل لا أنه قُيِّد كما توهموه. وأنشدنا غير واحد من مشايخنا للبهاء زهير:

بروحي من اسمّيها بستّي
فينظر لي النحاةُ بعينِ مقْتِ
يرونَ بأنني قد قلتُ لحناً
وكيف وأنّني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت جهاتي
فلا لحن إذا ما قلت ستي

وهنا يرجعها البهاء زهير إلى يا ست جهاتي. لكن اختزالها من سيدتي هو الأحرى بالقبول ولو أنها لم تقف عند النداء بل تعدته إلى اللقب. كما نُقل في الشرح عن عيسى الصفوي. وهو الدارج اليوم. ومن الكنايات اللبنانية: "أولاد الست وأولاد الجارية" في الكلام على التمييز بين الناس في المعاملة.

خالة خطاب الصغير والصغيرة للكبيرة الغريبة عنهما

هانم سيدة (مص) من التركية

خانم صيغة فارسية للهانم

خاتون سيدة. مغولية/ استعملت قديماً مع انتشار المغول في العالم الإسلامي وهي مؤنث خان. ج خواتين.

الفصل الثالث

حقوق المرأة وأوضاعها الاجتماعية

حَظْل غيرة الرجل على المرأة ومنعها من التصرف. وأصل الحظْل الحجر على الغير ومنعه من الحركة والتصرف والمشي. وحظَل عليها يحظُل فهو حَظول: غار عليها ومنعها من الظهور للرجال.

عُقْر دية المرأة المغتصبة يدفعها المغتصب. ومهر الجماع عن شبهة.

عَضْل منعها من الزواج. (راجع الكتاب الثاني- الزواج).

معيوفة امرأة عافها زوجها من غير أن يطلقها (عق).

حجاب سِتْر المرأة لجسدها وشَعرها. وقد يشمل ستر الوجه. وهي محجبة.

سُفور إلقاء الحجاب. وهي عند المعاصرين **سافرة**. (للمزيد انظر الباب الثاني من كتاب الحب والجمال).

خَلْع عامية للسفور غير المحتشم تظهر فيه أجزاء من الجسم غير المعهودة في السفور التقليدي. يقولون: فلانة تلبس خَلع. وفلانة مخلّعة....

نسْوية يضعها بعض الكتاب والمترجمين مقابل feminism ويراد بها الانتصار للمرأة والعمل من أجل حقوقها ومن يقوم بها هو النِسْوي

أو نصير المرأة مقابل feminist وهم نسويون أو انصار المرأة. ويقابلها جنسوية sexism للتحيز ضد المرأة. وقد تكون للتحيز من الجنسين ضد بعضهما البعض.

تصف المجتمع وصف يستعمله النسويون في دفاعهم عن النساء.

نصف السماء، بان بْيان تْيان: وصف للنساء يستعمله الشيوعيون الصينيون في دفاعهم عن دور المرأة في الحياة البشرية. وهو شائع في الصين كمرادف للمرأة ويتردد في منشوراتهم العربية بترجمته الحرفية المثبتة هنا.

حرائر تقال في الأصل للنساء من غير الإماء. وتعمم على النساء مدحاً. قال المعري ينهى عن زواج الضرائر:

قرانك ما بين النساء أذيّة
لهن فلا تحمل أذاة الحرائر

ولشيخنا عبد المعين الملوحي من قصيدة في الهند:

أحب امرؤ القيس الحرائر نُغماً
فلم ير أحلى في الحرائر من هندِ

استعمل الحرائر مدحاً وليس لتمييزهن عن الإماء لأن الإماء لم يعد لهنّ وجود.

حُرْمة كناية عن المرأة على زنة فعلة من الحرام. وهي كالحريم والحَرَم وتطلق اليوم على المرأة غير الشابة والعامية البسيطة. وسمعت خطاباً للشاعرة نازك الملائكة سخرت فيه من تسمية المرأة حرمة لما فيه من الإشعار بضعفها واستضعافها.

الباب الثاني
العائلة

الفصل الأول
تسميات عائلة

عـائلة   من يضـمـهم بيت واحـد من الآباء والأبناء ومن يليـهم من الأقارب. وهي أصغر وحدة اجتماعية. مولدة. تجمع على عوائل وعائلات. والأول شائع في لغتي الكلام والكتابة والثاني في لغة الكتابة يلجأ إليه الكتاب والمحررون بسبب شيوع الأول على ألسنة العامة.

عِيال أفراد العائلة المعالون عدا من يعيلهم. وفي الحديث: "الخلق كلهم عيال الله" والعيال جمع عيِّل ومفردها غير مستعمل بهذا المعنى وإنما يستعمله المصريون بمعنى الطفل.

عَيلة، بإمالة الياء، عائلة (عامية). من مفردات ألف ليلة وليلة.

أسْرة يضعها المعاصرون مرادفاً للعائلة وتعريفها عند المعجميين أهل الإنسان وعشيرته الأقربون. وتأخذ في الاستعمال المعاصر معنى آخر تكون فيه أوسع من العائلة بحيث تمتد إلى السلالة فتستعمل للسلالات الحاكمة فيقال أسرة تانغ وأسرة مينغ في الصين ويقال: الأسرات الفرعونية. والجمع

أسرات مستحدث وقياسيّة أُسَر. ولا يقال عائلة تانغ والعائلات الفرعونية. ويستعملها المعاصرون أيضاً بمعنى الآل (انظر المادة).

عترة نسل الإنسان ورهطه وعشيرته، وفي الحديث: "تركت فيكم الثَقَلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". وتشمل حسب المفسرين أهل بيته الأقربين واختصت بفاطمة وأولادها الذين استمرت من خلالهم سلالة النبي. يقال عترة الرسول ولا يقال عائلة الرسول.

آل أهل الإنسان وعشيرته الأقربون. وتقارب الأسرة. يقال: آل فلان وأسرة فلان.

أهل أهل الإنسان أسرته وذوو قرباه. ج أهلون. شاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوماً أن ترد الودائع

والأهلون في هذا البيت هم العائلة فهو نظر فيها إلى قول القرآن: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا".

وتكسيرها "أهالي" يفيد معنى آخر يرد في كتاب المجتمع- باب الأقوام والتجمعات السكانية.

حامّة خاصة الإنسان من أهله وولده.

ذوو آل وأهل. يقال: ذوو فلان أي أهله وأقرباؤه لعل أصلها ذوو الأرحام فاختزلت.

ملحوظة المفردات: أسرة، عترة، آل، أهل، حامة، تتقارب تعريفاتها في المعاجم. وفي الاستعمال تتقارب أسرة مع آل وأهل وذوو. ويندر استعمال عترة وحامة. واستعملت أسرة كما مر للسلالة الحاكمة أيضاً. ويستعملها بعض المعاصرين مرادفاً للعائلة بتأثير بعض اللغويين الذين يعتبرون أن عائلة ليست عربية النجار.

الفصل الثاني

أفراد العائلة

أب بالتخفيف. وقد يشدد كقول دِعْبِل الخزاعي في المعتصم:

وهمك تركيٌّ عليه مهابة

فأنت له أم وأنت له أبُّ

ج آباء. وقد يعمم الجمع على الأجداد والأسلاف.

والد أب

أمّ بالتشديد. وتجمع على أُمَّهات إذا أُريد بها أمهات البشر وعلى أمّات لما يخص الحيوان. المعري:

وأبيضَ أماتٍ أرادت صريحه

لأبنائها دون الغواني الصرائح

والدة أم

الأبَوان والوالدان الأم والأب. ج والدون .

ابْن للولد الذكر. الجمع أبناء وبنون. وقد ترد أبناء بالمعنى العام فترادف الأولاد. وبمعنى آخر يقول المعاصرون: أبناء الشعب وأبناء حارتنا أو بلدنا أوبلدتنا. ويريدون مجموع الأهالي والجمهور ودلالة بنين حاصرة على الذكور. يقال: مدارس البنين ومدارس البنات. أصل ابن هو بن

المشتركة في الساميات عدا الآرامية. وتحذف الهمزة عند الإضافة فيقال أحمد بن محمد وتلفظ إبن.

ابْنة مؤنث ابن

بِنْت الأنثى في باكورة العمر. ويعممها بعض العامة على العذراء حتى تتزوج. وترد بنت بمعنى ابنة في النسبة فيقال "فاطمة بنت محمد" وقلما يقال: فاطمة ابنة محمد لاستثقالهم إياها.

ج بنات. وتقابل بنين. يقال مدارس مختلطة للبنين والبنات..

نَجْل ابن. ج انجال. ويستعملها المعاصرون للتكريم. يقولون: نجل الشاعر ونجل الرئيس ونجل الفقيد...

كريمة كناية تكريمية عن الابنة لا ترد إلا مضافة فيقال هذه كريمتي وهذه كريمة فلان. وفي "أسباب النزول" للواحدي النيسابوري في سبب نزول "الرجال قوامون على النساء..." أن زوجة سعد بن الربيع نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها إلى النبي وقال له: "يا رسول الله أفرشته كريمتي فلطمها..." ولايقال: فاطمة كريمة محمد لأنها لا تحل في النسب محل بنت.

أولاد البنات والبنون كبيرهم وصغيرهم. تقابل الانجليزية children.

وِلْد، بكسر الواو وضمها وسكون اللام، أولاد. وهكذا ترد في (عق). وهي في الأصل للمفرد والجمع. ويستعملها الموريتانيون وبعض أهل البوادي بمعنى ابن. يقولون: مختار وُلْد دادة أي مختار بن دادة. ومن شواهده القديمة بهذا المعنى:

فليت فلاناً كان في بطن أمه

وليت فلاناً كان وُلْدَ حمار

والولَد بفتحتين للمفرد والجمع أيضاً ويغلب في لغة الكلام المعاصرة على المفرد. ومن شواهده القديمة:

كـلاهمـا خلف عن فـقـد صـاحـبـه

هـذا أخـي حـين أدعـــــوه وذا وَلَـدي

ضَنا أولاد. (عامية) والأصل ضَنْء وضَنْو. ويخاطب بها المصريون أولادهم فتقول الأم لابنها: يا ضناي.

ضَنايا ضنا (مغ)

حفيد ابن الابن وابنة الابن. ج أحفاد وحَفَدة. ويستعمل المعاصرون حفيدة للأنثى ويجمعونها على حفيدات.

سِبط الحفيد وابن وابنة البنت. واستعمل في عربية الإسلام للدلالة على ابن وابنة البنت ومنه قولهم: الحسين سبط الرسول، وسبط ابن الجوزي ابن بنته من كبار المؤرخين وسبط ابن التعاويذي من شعراء القرن السادس وعبد الكريم الجيلي خاتمة أقطاب الصوفية وهو ابن سبط عبد القادر الجيلي. ج أسباط.

ذُرِّية تطلق على الأولاد الصغار المباشرين للوالدين، وعلى النسل البعيد. يقول العامي: "أريد ذريةً" أي أولاداً. ويقال: "ذرية آدمْ أي نسله. وعن ثعلب أن الذرية نسل الثقلين الإنس والجن. وفي القرآن: "ذُرِّيَّةَ من حملنا مع نوح" في إشارة إلى موسى وبني إسرائيل بوصفهم من نسل الذين نجوا من الطوفان. ج ذراري ويستعمله المغاربة بالدال في معنى الأولاد.

نَسْل الأولاد المباشرون والذرية البعيدة. ويغلب عليه المعنى الأخير. سلم رجل على أبي العيناء الأديب الأعمى فسأله: ممن الرجل؟ قال: من بني آدم. فقال أبو العيناء: مرحباً بك فوالله ما كنت أظن أن هذا النسل

إلا قد انقطع. ويقال: فلان نسل فلان أو من نسله فلا يراد به أنه ابنه بل من أحفاده. ويستعمل الجمع أنسال في مباحث الارتقاء الدارويني.

عَقِب، فتح فكسر، الولد يبقى بعد الوالد.

وأَعقب فلان: ترك عَقِباً أي ولداً أو أولاداً من صُلْبه. وفلان لم يُعقب إذا لم يكن له أولاد.

جد أبو الأب وأبو الأم. ج جدود وأجداد. ويعمم الجمع على الأسلاف.

جَدّة أم الأب وأم الأم. ج جدات.

تَيته بإمالة الياء: جدة في (سط) و(مص) ويقولون أيضاً: ستي.

بيبي جدة في لهجة بغداد وما حولها وفي بعض اللهجات التونسية. من الفارسية وفي الجنوب جدة ويدّة بإبدال الجيم ياء على لغة تميم. ويقول التوانسة أيضاً عزيزة وهي للتحبب أكثر منها للتسمية.

نانة خطاب للجدة والمربية (عامي).

ملحق ١

مفردات النداء والخطاب

يا أبت صيغة نداء قديمة

يا أبي صيغة نداء متداولة قديماً وحديثاً.

بابا نداء للمعاصرين يكثر عند أهل المدن من الأغنياء والمتعلمين. وهي عامة في معظم اللغات.

يابا بحذف الهمزة. نداء قديم للأب يكثر اليوم في البوادي والأرياف.

بُويا بحذف همزة اب وإشباع فتحة الياء، نداء لأهل البوادي والأرياف. وقد يستعمل في غير النداء كما في هذا الشعر الشعبي الجزائري لمصطفى صحراوي:

* بـويـا ســـــــــراج ومـنـبـع حـنـان *

يا إمي بكسر الهمزة، نداء للأم في (سط) وكسر همزة أم لغة قديمة.

ماما نداء للام يتوازى مع بابا عند من يستعمله.

يَمّه ويُمّـه مـختـزل "يا أمه"، نداء قـديم نص عليـه الخليل يـكثـر في العراق والسودان والبوادي والأرياف.

بُنيّ على التصغير نداء قديم للابن.

ابني ويا بني نداء شائع للابن كما في أغنية وديع الصافي:

الـلـه يــرضــى عـلـيــك يــا ابــنــي

بنتي ويـا بنتي نداء للبنت من الوالدين. وفي بعض اللهجـات تدغم النون في التاء.

بُنيّتي بنتي على التصغير للتحبب. وتسكّن الباء وتخفف الياء في بعض اللهجات المعاصرة.

ملحق٢

مفردات وأفعال تخص ما سبق

أُمومة مصدر أم وأُبُوّة مصدر أب وبُنُوة مصدر ابن وبنت.

أَمَّتْ فلانة تؤمّ، على الفعل اللازم، صارت أماً.

أبا فلان يأبو، على الفعل اللازم، صار أباً ويقول القدماء: ماله أب يأبوه.

تأبّى أباً واستأبى اتخذ له أباً. وتأبى فلاناً: اتخذه أباً له.

بَنَوي نسبة إلى الابن.

أبويني في النسبـة إلى الأبوين. "والعم الأبـويني" من مـصطلحات المواريث في الفقه.

أُومي نسبة إلى الأم

أبوي نسبة إلى الأب

بِنتي نسبة إلى البنت

بَناتي نسبة إلى البنات. يستعملها العوام والتجار للون والطراز الملائم لذوق البنات والفتيات من الملابس ونحوها.

وَلأدي نسبة عامية إلى الأولاد للملابس على غرار بناتي. والأصل القياسي أولادي.

نَجَله ينجُله: ولده. نادرة. ومن شواهدها القليلة عند القدماء:

أنجِب أيامَ والديه به   إذ نجلاه ونعم ما نجلا

ومن شتائمهم: قبح الله ناجلَيه أي والديه.

نَسل ينسلِ وأنسل يُنسل: صار له نسل كثير

تناسُلوا يتناسلون: توالدوا وتكاثروا

تناسُل: إنتاج النسل. الحفاظ على النوع.

تناسُلي: يراجع في قاموس الطب.

تكاثُر: تناسُل. (مستحدثة) بهذا المعنى وتغلب على التناسل غير البشري. يقال: تكاثُر النبات وتكاثُر الحشرات.... والفعل: تكاثر يتكاثر. بمعنى تناسل يتناسل.

توالدوا: ولد بعضهم بعضاً كتناسلوا.

الفصل الثالث
تسميات الزوجين

زوجة للمرأة.ونقل ابن سيدة عن الكسائي أن كلام العرب عليها.وانفرد الأصمعي بإنكارها. ومن شواهدها في اللسان:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم
أن ليس وصل إذا انحلّت عرا الذنَبِ

وقول الفرزدق:

وإن الذي يسعى يحرُش زوجتي
كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها

زوج للرجل. ج أزواج. ويستعمل زوج لكليهما في حالات مخصوصة تمس الطرفين كما في هذا النص من قانون الزواج السوري للكاثوليك: "عند الافتراق يجب أن يربى الأولاد لدى الزوج البريء وإذا كان أحد الزوجين غير كاثوليكي فلدى الزوج الكاثوليكي".

الزوجان كلاهما

بَعْل زوج. في القرآن "وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً". ج بعول. وبعل في الساميات القديمة تعني السيد والرب وفي العبرية والسريانية أطلقت على الزوج كالعربية.

عقيلة يستعملها المعاصرون اسم تكريم للزوجة يقولون "فلان عقيلة فلان". وأصل العقيلة يجمع بين السيدة المصونة في المنزل والزوجة الكريمة وسيد القوم من الرجال. ويقتصر استعمالها المعاصر على الزوجة للتكريم. ج عقائل.

قرينة زوجة. ترد غالباً مضافة: قرينتي وقرينة فلان.

حليلة زوجة. قال محمود سامي البارودي يرثي زوجته:

يا دهر فيمَ فجعتني بحليلة
كانت خلاصة عُدَّتي وعَتادي

ويقال للزوج حليل ومنه المنسوب إلى عنترة:

وحليل غانيةٍ تركت مجادلاً.

والحليلة أكثر تداولاً.

طَلَّة كناية قديمة عن الزوجة استعملها الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام. لعل المراد بها الواحدة من الطل وهو الندى. ومن شواهد اللسان:

وإني لمحتاج إلى موت طلتي
ولكن قرين السوء باقٍ معمَّر

وفي الأساس: امرأة طلة أي حسنة نظيفة ومنه طلة الرجل لامرأته.

شاعة زوجة. وردت في سؤال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب حين وفد عليه للتهنئة بطرد الأحباش من اليمن سأله: هل لك من شاعة؟ قال اللغويون لأنها تشايعه. وليس بقوي. فلعلها من لغات اليمن القديمة. ويمكن تلمس علاقة لهابالكلمة العبرية إشه وتعني المرأة والزوجة.

ضَرَّة، بفتح الضاد، الزوجة الأخرى في نظام الزواج الضرائري. ج ضرائر.

حَرَم كناية عن الزوجة يستعملها المصريون مضافة إلى اسم الزوج. يقولون: حرم فلان أي زوجته.

مُعزَّبة في أساس البلاغة: يقال لامرأة الرجل **معزّبته**. وانشد يعقوب:

مـعُـزّبتي عند القـفـا بعـمـودها
يـكون نكيـري أن أقـول ذريني

وسمعتها من الفلاحين العراقيين، يقول أحدهم: مْعَزّبتي والْمَعزْبة في الكناية عن زوجته.

سُرِّيَّة جارية تعاشر كزوجة. ج سراري. شاعر من العباسي الأول:

إن أولاد الـسـراري
كـثـرت يا رب فـينا

الفصل الرابع

حالات الأولاد

بِكْرُ باء مكسورة، أول مولود للأبوين أو أحدهما.

ثِنْي من يأتي بعد البكر والعراقيون يقولون ثِنْو

قَعْدَة: آخر الأولاد الذي تقعد بعده المرأة عن الإنجاب. وفي (عق) بزر القُعدة.

عِجْزة، عين مكسورة، المولود لأب مسن. وأنشدوا:

عــجــزة شــيــخين يسـمى مـعـبـدا

ابن حـلال ابن شـرعي. وهي بنت حـلال. وتقـال للمـدح بالسلوك الحسن. (محدثة)

نَغْل ونَغِل ونغـيل: ابن زنا. وهي نغلة. والنَغْل بتـسكين الغين هو الدارج في لغة الكلام والكتابة المعاصرة. وبناه الجواهري على المفعولية فقال يهجو ساطع الحصري:

ومـنـغـــــولٍ من التــــاتـار وغــــد

تـراضـع والـوَغــــادة فـي فُـــــواقِ

وقد ظلم التاتار فهم شعب فيهم الصالح والفاسد.

ابن حرام نغل. (محدثة) ووردت أولاد الحرام في شعر عباسي:

هـذا لأولاد الخطايا والبـــغـــايا والحـــرام

سَفيح ابن سفاح. وليس هو النغل حصراً لأنه قد يكون من زوجة لكنها غير شرعية كالجمع بين الأختين أو سِفاح المحارم. يقال تزوجت المرأة سِفاحاً أي بلا سُنَّة ولا كتاب. لكنه زواج. أما النغل فالمولود خارج العلاقة الزوجية.

لقيط مولود يعثر عليه منبوذاً فيكون مجهول الأبوين. ج لقطاء.

وَلَد ملاعنة ولد يولد من زوجة اتهمها زوجها بالخيانة فتلاعنا وانفصلا. وله أحكام في فقه المواريث.

توأم من ولد مع آخر في بطن واحد. يقال فلان توأم فلان، وهما توأم وتوأمان وهم توائم.

خديج من وما ولد قبل اكتمال نموه في الرحم. وفي حديث الزكاة "في كل ثلاثين بقرة خديج" أي ناقص الخلق في الأصل كما في اللسان ومراده تبيع عبر به عنه لأنه كالخديج في صغر أعضائه ونقص قوته. واستعاره مجمع القاهرة للعضو من النبات أو الحيوان لم يكتمل خلقُه وسيأتي في موضعه من قاموس النبات والحيوان. وتختلف المعاجم في الخديج بين عدم اكتمال الخلقة وعدم اكتمال المدة وما اخترناه هو المفهوم في علوم الأحياء.

يَتْن من ولد معكوساً فخرجت رجلاه قبل رأسه. وهو المنكوس أيضاً. ويسمى في (سط) مَقْعدي وفي (عق) خيّال وهو الفارس...

حَميل من أُخذت أمه من دار الحرب وهي حامل به وولدته في دار الإسلام. ويضعه المترجمون اليوم مقابل foetus وهو خطأ صححناه في موضعه من كتاب الإنسان من هذا القاموس باستقصاء مفردات الجنين في أصول العربية. والحميل بمدلوله الأصلي يتسع لما هو في حكمه من مواليد تحملهم الأم في بلد وتلدهم في غيره.

فِلْيُون مصطلح في قانون الأحوال الشخصية المسيحي ويراد به الولد الذي يقدمه الرجل للمعمودية فيكون الولد فليونه وهو عرّابه. والبنت

فليونة والمرأة عرابتها. (إيطالي) ويُحرم زواج العراب من فليونته والعرابة من فليونها.

مُذرَّع الذي أمه أشرف نسباً أو أعلى مكانة من أبيه ومنه قول الشاعر يهجو بني باهلة ويمدح بني حنظلة:

إذا باهلي تحته حنظلية

له ولد منها فذاك المذرَّعُ

هجين عكس المذرع وهو من أبوه أعلى مقاماً من أمه. ويقال عادة لمن أمه غير عربية وله استعمالات حديثة تراجع في كتاب الإنسان من هذا القاموس وأخرى في قاموس النبات والحيوان.

رَبوب وربيب ابن الزوجة. والاول غير دارج والثاني يختلط في المعاجم بالراب لكن أكثر النصوص القديمة على الربيب وكونه ابن الزوجة وهكذا هو عند المعاصرين وهم يستعملونه في كناياتهم كقولهم: "الحاكم الفلاني ربيب الاستعمار" ومنه قول الجواهري يرثي زعيماً وطنياً عراقياً:

حربٌ على مستعمر وربيبه

وكان محمد بن أبي بكر ربيب علي بن أبي طالب لأن والده مات وهو صغير فتزوج علي أمه ورباه عنده فقال عنه: "كان لي حبيباً وكان لي ربيباً" ولم يقل كان لي ربوباً. ويفهم من استعمالات المعاصرين أن الربيب عندهم هو كل من تربى عند أحد وحظي برعايته فصار ربيبه.

هَرَل، بفتحتين، ابن المرأة من زوجها الأول.

وهو القاروط في عامية المحيط. وسمعته في سورية من أبناء الجيل الأسن.

عكَبٌ الولد المتزوجة أمه.

مُكَرْكَس المولود من سلسلة إماء.

يتيم الصغير الذي مات أبوه. ولا يسمى من فقد أمه يتيماً بل هو العجي (انظر باب رعاية الأطفال) لأن اليتيم يتضمن معنى فقدان الرعاية والإعالة وهي عند القدماء للأب ولذا تنقلب في الحيوان فيكون اليتيم من فقد أمه. ويلاحظ الوضع الاجتماعي في أصل التسمية. ومن فقد والديه فهو اللطيم.

ملحق بالباب

مفردات وأفعال لها صلة

نَغُل ينغُل نغولة: ولد عن زنا

يَتِم ييتَم ويتُم ييتُم يُتْمًا: صار يتيماً

يتّمه وأيتمه: صيره يتيماً فهو مؤتم. ومؤتم الأشبال من رجال آل أبي طالب قتل لبوة ذات أشبال فلقّب بفعله. المصدر تيتيم كما في قول الفند الزّماني:

بضربٍ فيه تأييم وتيتيم وإنانُ

عن "تأييم" انظر مفردات الوضع الزوجي في كتاب الزواج.

تيتّم تيتُّماً: يتُم. وهي المتداولة في لغة الكلام.

التياط: أن يدعي الرجل ولداً ليس له. وقد التاطه يلتاطه، واستلاطه.

تَقَيُّل: شَبَه الأبناء بالآباء. تقيل أباه: أشبهه.

مولود لِرشدْة، بكسر الراء، ابن حلال. ولد شرعي.

مولود لِزْنية: نغْل

حق الدم: ثبوت جنسية الأب لولده الشرعي. يضعها المترجمون مقابل JUSSANGUINIS.

الفصل الخامس

رعاية الطفل

-١-

التغذية

رضاع ورضاعة، بكسر الراء وفتحها، اغتذاء الطفل من ثدي طبيعي أو اصطناعي. وقد رضَعها يرضِعها ورضِعها يرضَعها رَضْعاً فهو راضع. وأرضعته هي تُرضعه إرضاعاً. ورضّعته بالتضعيف من الدارج في لغة الكلام. واسترضع استرضاعاً: طلب مرضعة للرضيع.

وتراضعا: رضعاً معاً وراضعه رضع معه.

مَراضع جمع مَرْضع لموضع الرضاع وهو الثدي. في سورة القَصص: "وحرّمنا عليه المراضع" ومن الأمثال العراقية: "إل ما يسوقه مَرضعه، سَوْق العصا ما ينفعه" يريدون الأصل والمنشأ.

مِرْضعة قنينة الإرضاع الاصطناعي (الوسيط). وهي الرضّاعة في العامية. وفي (عق) مَمّة كأنها حكاية لصوت الطفل إذا تكلم بإطباق شفتيه.

بزّازة حلمة الرضّاعة التي يمتص منها الطفل ما في القنينة من حليب ونحوه (سط) فعّالة من البِز وهو الثدي.

لَهّاية حلمة مصنوعة توضع في فم المفطوم لإلهائه عن الرضاعة (عق، سط) فعّالة من اللهو.

فِطام قطع الطفل عن الرضاعة. وفَطَمته وتفطِمه فطماً فهو فطيم ومفطوم وهي فاطم وفاطمة. وانفطم الطفل: انقطع عن الرضاع. وأفْطَمَ حان أو اقترب موعد فطامه.

محاياة تغذية الطفل بما به حياته. وحايَتْه تُحاييه: غَذَتْه.

عجي العجيِ رضيع ماتت أمه فأرضع أو غذي اصطناعياً. ج عجايا. وفي الحديث : "كنت عجياً ولم أكن يتيماً" والحديث موضوع على الأكثر لأنه كان يتيماً ولم يكن عجياً بعكس مضمون الحديث وهذه السيرورة تسمى معاجاة وقد عاجاه يعاجيه. ومن شواهد الجوهري:

إذا شئتُ أبصرتُ من عَقبهم

يتامى يعاجَوْن كالأذؤب

وعجوته وعجيته أعجوه عجواً والعجاوة بالضم وبالكسر لبن يغذى به العجي. وأصل الاشتقاق مرجحاً عندي من العَجْوة للرُطب الناضج المكبوس، ويكون في العادة ليناً يصلح لتغذية الصغير والمريض.

لخاء، بالكسر وبالفتح، غذاء الرضيع عدا الحليب. والتخى الرضيع: اغتذى بطعام لين غير الحليب كالخبز المبلول. وألْخته تُلخيه. ولشاعر من بني أسد:

فهن مثلَ الأمهات يُلخين

يطعمن أحياناً وحيناً يَسقين.

سرهف الطفل وسرهده وسرعفه: أحسن غذاءه ونعّمه. وأنشدوا في سرهف:

إنك سـرهفت غـلامـاً جَـفْـرا

وهو مسرهَف ومسرهَد ومسرعَف: حسن التغذية ، منعَّم. والسرهدة تنظر إلى فُرهود وهو الصبي الممتلئ الحَسَن والناعم التار. والفرهدة في بعض اللهجات التنعم وحسن الحال.

تربيب تربية جسم الطفل. وربّبه: غذاه جيداً وأنماه. ويقول العراقيون مْرَبْرِب للولد السمين المعافى. وفي اللسان: "المطر يَرُبُّ النبات والثرى ويُنميه". وللجواهري:

هـذا الـنـفـاق تَـرُبّـه

صـحف ويُسـمنه كـتـاب

نأنأه أحسن تغذيته. والنأنأة تفيد الضعف والعجز والليونة. ومنه قول أبي بكر "طوبى لمن مات في النأنأة" وفي نأنأة الإسلام، أي قبل أن يقوى ويشتد ويصبح دولة. واستعمال النأنأة لحسن التغذية يرجع بالذهن إلى معنى التدليل والتنعيم.

تَسْغيم إجادة تغذية الطفل، كالسرهفة. وقد سغَّمَتْه. والتسغيم عام في الإنسان والحيوان والنبات.

عُلالة وتعلّة المخصص عن "العين": "المرأة تعلل الصبي (يقصد الرضيع) بشيء من المرق وغيره ليجزأ به عن اللبن". قال (والشعر لجرير):

تعلل وهي ساغبة بنيها

بأنفاس من الشبم القراح

واسم ما تعلله به العلالة والتَعِلّة.

شابل صبي شب في نعمة وحسن رعاية. وقد شبَل يشبُل شُبولاً.

حَثْل سوء الرضاع والحال. وقد أحثلته أمه. والُمحثل من أسيء رضاعه. مُتَمَّم بن نويرة:

وأرملةٍ تسعى بأشعثَ مُحْثَلٍ

كفرخ الحُبارى ريشُه قد تصوّعا

قَرْقَم الطفلَ أساء غذاءه. والُمقرْقَم: الذي لا يشب، سأل الأصمعي صبياً من الأعراب وقد رآه هزيلاً ضئيلاً عن سبب ذلك فقال: "قرقمني العز" يريد أن شعوره بالعزة والكرامة منعه من طلب الطعام عند غير أهله. ويقول العراقيون: "قُرْقُمَّه" للعجوز الضاوية المنحنية.

زَعْبَل طفل لم ينجع فيه الغذاء فعظم بطنه ودق عنقه. قال:

سمطاً يربّي وُلْدةً زَعابلا

وهذا المنظر مألوف للمعاصرين عن جياع أفريقيا التي ينهبها الغربيون.

جحن المخصص: السغِل والوغِل والجَحن السيّئ الغذاء. وأنشد ثعلب:

كواحدة الأدْحيِ لا مُشْمَعِلّة

ولا جَحْنة تحت الثياب جشوبُ

تكملة بأشكال الرضاع

مَلْج: تناول الرضيع ثدي أمه بأدنى فمه، وقد ملجه هو وأملجته هي.

لَهْس: أن يلطع الثدي بلسانه من غير أن يمصه. وقد لَهَسَه يلهَسه.

مَكّ: أن يمص الثدي باستقصاء.وقد مكّه وامتكه.

ربيكة: أول رضعة للمولود. وهي الضَبيك أيضاً.

رغلَ الطفل أمه يرغَلها رَغْلا: اختلس منها رضعة. وأرغلته هي: أرضعته. والرَغول شاة ترضع الغنم.

رَغَث الطفلُ رغثاً وارتغث: رضِع. وأرغثته هي: أرضعته. والمُرغِث: المرضع. قال رجل من غَطفان:

إذا المرغث العرجاء بات يعرُّها
على ثديها ذو وذعتين لَهوجُ

أمغلته: ارضعته وهي حامل فهي مُمغل ولبنها المغْل والمغَل، وفي (عق) امْغل الطفل: أصابه أذى في بطنه من رضعة سيئة. ومغلته هي أساءت إرضاعه.

غالت طفلها تَغيله غَيْلاً: أرضعته وهي حامل أوفي لحظة جماع. والغيْل هو حليبها ذاك. وتنهى العرب عن الغَيل. وفي أساس البلاغة قالت امرأة: ما سقيته غَيْلاً ولا حرمته قَيْلاً ويقولون: هذا الصبي أفسدته الغيلة. وأغاله أبوه وأغالته أمه فهو مُغال: تجامعا وهي حامل أو في حال إرضاعه.

-٢-

الحضانة

مَهْد سرير الطفل. وهو الثابت في العادة. وارتجل خياط مرعشلي المَهَزّ للمهد الهزاز والمهز هو الكاروك في (عق) عدا الجنوب حيث تشيع كلمة مهد. وأصله المرجح كاروخ فاعول من كرَخ يكرَخ عندهم أي هرول أو مشى مسرعاً على غير انتظام. من الفارسية "كرخ" المفيدة للمشي.

والكاروك لا يكون إلا هزّازاً. ومنه ردّ المرأة العراقية على الرجل إذا قال لها أنت كبيرة السن: هازّة كاروكك؟ ج مهد مُهود وجمع كاروك كواريك.

قماط قُماش يلف به الوليد بدل الملابس. ج أقمطة. وقمّطته تقميطاً فهو مقَمَّط وقمطَته، بالتخفيف، فهو مقموط. والعامية على التضعيف.

حَفّاظة خِرْقة تلف حول مقعد الرضيع لحفظ ملابسه من البول والبراز. (محدثة) وحفّظته ألبسته الحفّاظة.

حَضينة حفاظة (عق). ج حضاين. فعيلة من الحَضْن.

قَصْرية وعاء مستطيل يثبت في خرق من المهد لفضلات الرضيع. (محيط/ عامية)

قَعّادة وعاء نقال وقد يثبت في كرسي ليجلس عليه الرضيع إذا أراد التبرز (عق).

حضانة، بالكسر وبالفتح، رعاية الطفل وتدبير شؤونه. وتتضمن معنى الولاية عليه أيضاً. وحَضَنته تحضُنه حضناً: رعته وربته.

دار الحِضانة مؤسسة تتولى رعاية الأطفال عند غياب أهلهم في العمل (محدثة).

مربية امرأة تتولى العناية بالطفل نيابة عن أمه.

مَرْبى محل الرباية والنشأة. مستحدث في لغة الكلام.

حاضنة مربية.

داية حاضنة، مربية، من الفارسية قديمة التعريب. الفرزدق:

ربيبة دايات ثلاث رَبَيْنها
يلقّمنها من كل سُخْنٍ ومُبْرَدِ

دادة حاضنة. داية. تركية. من المعرب في الأوان العثماني.

تربية يراجع قاموس الثقافة.

-٣-

ملاعبته وتسكينه

هَدْهَدة تهـزيز الطفل بلطف لتنويمه أو إسكاته إذا بكى. وهدهدته تهدهده.

تهدين تسكين الطفل وإرضاؤه ليهدأ أو ينام.

وهدّنتـه هي وهَدَن هو هُدوناً. جذره دال على السكون ومنه الهـدنة في الحرب.

ربّتت الطفل تربِّتـه تربيتـاً ضربت بيـدها على جنبـه بلطف لينام. ويستعملها بعض المعاصرين متعدية بـ على.

ترقيص اختصه مجمع القاهرة بالأطفال. ورقّصته ترقّصه

زَهْزقة ترقيص. وزهزقته: رقّصته.

هشّك الطفل رقّصه (مص) لم أقف له على جذر في الفصيح.

ثغـثغ الطفل في الشيء: عـضّضـه قبـل أن تنبت أسنانه. المصدر: ثغثغة.

خَبَع الطفل يخبَع خُبـوعـاً: بكى حتى انقطع صوته. وفي (عق): قَحَط من جذر سامي أقدم. وفي العبرية فحد بمعنى الخوف والفزع.

تلولِي، بإمالة الواو، تنوم طفلها بترديد كلمات رقيقة مرتلة (عق) فعل شبيـه بالفعل الانجليزي LULL الذي يفيد التهدئه والتنويم. ويصعب القول باشتقاق العامي منه لأن مفردات الطفولة في العامية لا تحمل تأثيرات أجنبية ملموسة لعدم تأثر وسائل الرعاية والحضانة بالأساليب الأوروبية. وأرجح أنها منقولة من فعل مشتق من الليل مثل ألْيَل أي دخل في الليل ولايل تعامل معاملة ليلية.

دُرَيِّجة أداة تمشي على عجلات يقبض عليها الطفل ويدفعها ليتعلم المشي. (سط) تصغير دراَجة. وهي الحَجْلة في (عق) اشتقاق من حجَل يحجل إذا رفع رجله عند المشي وتريث في الأخرى وهو مشي الطفل في أوله. والدريجة والحجلة تعمل اليوم بأشكال وهيئات متنوعة.

الكتاب الثاني

الزواج

الباب الأول
مفردات زواج

زواج اقتران الذكر (الزوج) بالأنثى (الزوجة). وتعريفه اجتماعياً: "المؤسسة التي يجتمع فيها الزوج والزوجة بارتباط خاص اجتماعي وشرعي لتأسيس عائلة وصيانتها". وبهذا التعريف يخرج من الزواج المساكنة والسفاح (انظر تالياً) لكن السفاح قد يدخل ضمنها إذا اقتصر معناه على عدم شرعية العقد في مجتمع دون آخر مثل سفاح القربى.

زِيجة عقد الزواج. وهيئة الزواج. ج زيجات

تزاوُج حصول الزواج بين جماعتين يتزوج بعضهم من بعض

نِكاح زواج

تناكُح تزاوج

بُعولة زواج. واستبعل: تزوج، صار بعلاً أي زوجاً.

تباعُل في المخصص: تباعل القوم تزوج بعضهم في بعض. وباعل بنوفلان بني فلان تزوجوا فيهم.

الباب الثاني

أشكال الزواج

تعدد الزوجات ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي POLYGAMY والمراد زواج الضرائر أي الزواج بأكثر من واحدة.

نِكاح الرَهْط تعدد الأزواج. زواج المرأة بأكثر من رجل واحد في وقت واحد. يقابل المصطلح الأجنبي polyandry. ومن تفرعاته نِكاح الرهط الأخوي .fraternal p وهو اشتراك الأخوة في زوجة واحدة. وهو مرحلة متقدمة على نِكاح الرهط الأول البدائي.

النسبة إلى نكاح الرهط في الانجليزية: polyandric ترجمها المورد إلى عبارة: "ذو علاقة بتعدد الأزواج". والقياس: رهطي، polyandrous وترجمه المورد إلى "متعددة الأزواج في وقت واحد". والقياس: رهطية.

ملحوظة: وضع العلايلي ضَمْد والعصري ضماد لنكاح الرهط. والضمد هو اتخاذ المرأة أكثر من صديق فهو يشير إلى تعدد الخلان والأخدان لا تعدد الأزواج.

زواج المُتعة، بضم العين وكسرها، زواج موقت.

تفشُّل زواج الأباعد. التزوج من غريبة. وتفشّل فلان: تزوج غريبة فهو مفشِل وهن مفاشل.

زواج الأقارب التزوج في الأقرباء. ويدخل في مفردات هذه المادة الاضواء يقال: أضوى الرجل أي وُلد له ولد ضاوٍ لتزوجه من قريبته. ومنه الحديث: "اغتربوا لا تَضْوَواْ" أي تزوجوا الغريبات حتى لا يكون أولادكم ضاوين. وسبب ذلك أن زواج الأقارب قد ينقل الصفات الوراثية السلبية من الجهتين حسب الرأي السائد لدى الوراثيين المعاصرين. ومن مفردات الزواج الأقاربي ضَعَل وهو دقة البدن بسبب الزواج من قريبة. ويراد بدقة البدن تعوق النمو. وضَعِل يضعَل: دق بدنه من تقارب النسب.

شغار زواج بلا مهر يكون بأن يتفق رجلان على أن يتزوج كل منهما قريبة الآخر ولا يُدفع لهما مهر. من زيجات الجاهلية. وقد شاغَر يشاغر مشاغرةً وتشاغرا هما.

نكاح المَقْت أن يتزوج الابن زوجة أبيه بعد وفاته. من زيجات الجاهلية وأبطله الإسلام. والمقْتى من يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته وهو أيضاً للولد الذي يولد من زواج المقت. والاصطلاح في الآية /نساء: "ولا تنكحوا ما نكَحَ آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً" ويقول المفسرون إن ذوي المروءات من الجاهليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذا النكاح. ومما يلحق به: ضَيزَن وهو المتجرئ على زوجة أبيه/ أوس بن حجر:

والفارسية فيهم غيرمنكرةٍ

فكلهم لأبيه ضَيزَن صَلِفُ

استبضاع مضاجعة الزوجة رجلاً آخر بموافقة الزوج للحصول على ولد يحمل صفات مطلوبة تتوفر في ذلك الرجل كالفروسية. عادة زاولها بعض الجاهليين ومن بعدهم بعض سكان آسيا الوسطى مع الفرسان العرب للحصول على أبناء يحملون صفات أولئك الفرسان. وسمي هذا

«استفحال!». وكلاهما من الزنا المحرم في الإسلام. والاستبضاع والاستفحال ليسا من أبواب النكاح لكنهما يردان في المصادر بوصف نكاح تجوزاً. الاستبضاع استفعال من البُضْع ويرادف «زواج وجماع». والاستفحال من الفحولة.

نِكاح البَدَل أن يتبادل الرجلان زوجتيهما. وكان عند بعضهم في الجاهلية فأبطله الإسلام.

اهتِجان اهتُجنت البنت، على المبني للمجهول، افُتضت قبل البلوغ. واهتَجنت هي، على المعلوم تزوجت صغيرة فهي مهتجنة. والمصطلح هو الهاجن ومنه المثل: "جلّت الهاجن عن الولد" لأنها غير بالغ لا تلد. وأهجنها وليها. وأهجنهم أهلهم: زوجوهم صغاراً، للإناث والذكور. ويستقل تزويج الذكر صغيراً بالفعل: الْتبأ ابنَه، أي زوجه صغيراً لأجل النسل.

كُورة، بضم الكاف، زواج بالجملة مخفض المهر. (سدن) وفي جذر الكلمة كَورْ بالفتح للقطيع الضخم من الإبل والقطيع من البقر، وكُور بالضم لبيت الزنابير. والعراقيون يقولون كُورة.

جمع الأختين أن تكون بين الضرائر أختان في وقت واحد. من الزواج المحرم في الإسلام وجمَعَ حاكم الموصل قرواش العقيلي بين أختين فقيل له هذا لا تقره الشريعة فقال: وأي شيء من أفعالنا تقرّه الشريعة؟

زواج الأكْفاء: عدم تزويج العربية من الأعجمي. كان في الجاهلية وعمل به الأمويون في خلافتهم حتى عمر بن عبد العزيز الذي أبطله. وأقره بعض الفقهاء من أهل السنة وأبطله الخوارج والشيعة والمعتزلة.

مُساكنة: زواج غير شرعي. بلا عقد- (مستحدث) أورده الياس أنطون الياس في القاموس العصري مقابل co-habitation وهو من باب السفاح.

بيت شرعي: مسكن مستقل تحكم به المحكمة الشرعية للزوجة إذا تضررت من مصاحبة أهل الزوج وحدث ما ينغّص الحياة الزوجية. والسكن المستقل من حقوق الزوجة في الشريعة.

عُمْرة زواج الرجل في بيت أهل زوجته وإقامته عندهم. ويسميه الأنتروبولوجيون الإنجليز matrilocal حرفياً: سكن أمومي. ويقابله سكن أبوي patrilocal لإقامة الزوجة مع أهل الزوج. ومن هذا القبيل سكن خؤولة للإقامة في بيت خال الزوجة anunculocal من زيجات بعض الأقوام في افريقيا واستراليا.

Sororate مصطلح يفيد الزواج من أخت الزوجة المتوفاة. معناه الحرفي: زواج الأخت لم تضع له المعاجم المتخصصة مقابلاً عربياً.

Levirate أن تتزوج زوجة الأخ المتوفى من أخيه. ويقع ذلك غالباً مع وجود أطفال من الزوج المتوفى لضمان رعايتهم على يد أخيه. وقد كثرت هذه الزيجات في العراق في عقدي الثمانينات والتسعينات بسبب توالي الحروب طيلة هذين العقدين. معناه الحرفي زواج الأخ ولم تتضمنه المعاجم المتخصصة.

قَنْجَرة زواج الاختطاف. مصطلح سوداني يقابل المصطلح الأجنبي kid-naponaniage ينظر إلى القُنجور للرجل الصغير الرأس الضعيف العقل.

زواج الأكان نسبة إلى معشر أكان من المعاشر البدائية المعاصرة. يجري فيه جميع الإجراءات من خطوبة وتلبيس ولكن بدون زفاف إذ يبقى الزوجان كل عند أهله وتقوم الزوجة بزيارة زوجها ليلاً وتعد له الطعام من بيت والديها. ويقوم الزوجان معاً برعاية الأولاد الذين يظلون في حوزة والدي الزوجة أو أخوتها. ويسمي الأنتروبولوجيون هذا الزواج: dualocal حرفياً: «سكن ثنائي أو سكن مزدوج».

زواج تْروبرْياند نسبة إلى جزر تروبرياند. زواج اعتيادي غير أن رعاية الأولاد تكون على أهل الزوجة.

زواج تعاقدي زواج يُنص فيه على الحقوق الجنسية للزوجين، ومدته تحدد في العقد فيبطُل بعد انقضاء الأجل أو يُجدد. فهو شبيه بزواج المتعة. معروف عند الغربيين في الوقت الحاضر.

زواج التأرجُح swinging marriage من الزيجات الغربية في الغرب لا سيما الولايات المتحدة وفيه يتبادل الزوجان العلاقة الجنسية مع زوجين آخرين أو أكثر باتفاقهما.

زواج مفتوح من زيجات الغربيين يكون بين اثنين يتفقان على حق كل منهما بإقامة علاقة جنسية مع طرف آخر. وهذا كالسابق.

جَنْبَقَة اتفاق كليهما على الزواج رغم اعتراض الأهل وهروبهما إلى مكان آخر ليتزوجا (سدن) توليد من جُنُبقة بالضم للمرأة السيئة السلوك.

عَضْل وتعضيل منع الرجل ابنته أو أخته من الزواج. ويرادفه العُصْرة في المصطلح الفقهي وهي محرمة. وفي سورة البقرة "فلا تعضلُوهن أن ينكحن أزواجهن". وفي (عق) . نَهْوة وهي أن ينهى قريب المرأة عن زواجها من غريب لأنه أحق بزواجها فيتقدم لها فإذا رفضته كان العضل وهو المنع من الزواج بتاتاً. والنهوة فَعْلة من النهي. وهي الحيار في البادية ونواحي الشمال الغربي من سورية فَعال من الحيرة.

سفاح ومسافحة اقتران زوجين بعقد غير صحيح. يقال: تزوج بالمرأة سفاحاً أي بغير سنة ولا كتاب. وفي "دعائم الإسلام" لأبي حنيفة الاسماعيلي أن الرسول مر ببيت فسمع عزفاً فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله نكح فلان. فقال: كمل دينه. هذا النكاح لا السفاح ولا يكون نكاح في السر حتى يرى دُخان (كناية عن الطبخ للوليمة) أويسمع حِس

دف. وقال: الفرق ما بين النكاح والسفاح ضرب الدف. والغرض هنا أن السفاح يكون في السر لأنه غير شرعي ولذلك اشترط الإعلان عن الزواج لدفع الريبة.

وسفاح القربى عند الأنثروبولوجيين زواج المحارم، التزوج من الأخت أو الأم أو البنت.

ملحق بالبابين
مفردات وأفعال

عِصْمة في اللسان: "يقال بيده عصمة النكاح أي عقدة النكاح" وينسب لعروة بن الورد:

إذاً لملكتُ عصمة أم وَهْبِ

وفي المصطلح الشرعي رباط الزوجة. يقال: فلانة في عصمة زوج وفلانة لا تزال في عصمته أي أنها زوجته الشرعية ولم تَطْلُق منه.

مَسيكة امرأة يتخذها الرجل من غير عقد شرعي. (مولد) وهو من باب السفاح.

تسالفَ الرجلان وتظاءبا تزوجا أختين وهما ظَأبان وسِلفان وعديلان. ويقال: تزوجا بالمظاءبة.

تقاصُّوا تزوج كل منهم أخت الآخر. (مغ) والمعنى في قول العراقيين: قُصه بقُصة، والقُصة هي الناصية.

تسنَّتَ فلانة: تزوجها وهي أكرم منه لكثرة ماله وقلة مالها. قياسه اللفظي من السَّنوت مصطلح عام يشمل الزبد والجبن والعسل ومواد غذائية أخرى.

تسرّى وتسرّر اتخذ له سُرّية. وهي الجارية تعاشر معاشرة الزوجة حسب نظام الرق.

الباب الثالث

إجراءات الزواج وطقوسه

خُطوبة طلب الرجل يد المرأة (مستحدثة) وفصيحها خِطبة بكسر الخاء، غير مستعمل.

خَطيبة وخَطيب المخطوبان من الجنسين. محدث أقره مجمع القاهرة.

خاطِب من يتقدم لخطوبة المرأة. وقد تكون الخطوبة له أو لغيره ومثال الأولى قول الحارث بن سَليل الأسدي في خُطوبة: "جئتكَ خاطباً وقد يُنكح الخاطب" ومثال الثانية المثل: "أرسلتُه لي خاطباً فتزوج" وقول العامة "جاء الخَطّابة يخطبون فلانة لفلان" والخطّابة جمع خاطب. والخَطّابة عندهم أيضاً هي المرأة التي تتولى الخطوبة نيابة عن الرجل. وجمع الخاطب بالمعنيين خُطّاب. وفي حديث عدة سبيعة "أنها تجملت للخُطّاب" أي لمن سيأتون ليخطبوها. وهم بين خاطب لنفسه وخاطب لغيره.

وترد خاطب في لغة الكلام لمن له خطيبة، وهي مخطوبة أي لها خطيب. وهذه من الفصيح. يقولون: "فلان خاطب" بمعنى عنده خطيبة. و"فلانة مخطوبة" أي عندها خطيب.

- قول الحارث: وقد ينكح الخاطب إذا قرئ على البناء المجهول فهو من أنكحه: أي زوجه وإذا قرئت للمعلوم واللزوم أفادت: يتزوج. من قولهم نكحَ فهو ناكح أي تزوج فهو متزوج.

اختطاب عرض المرأة على الرجل من قبل ذويها أو من له علاقة بها. يقال: اختطب القوم فلاناً: دعوه إلى تزوج صاحبتهم.

تَلبيسة تقديم هدية الخطوبة للمخطوبة لتثبيتها رسمياً (سط).

نِيشان تلبيسة. (عق) من التركية. ومن أغانيهم:

* نيـــشـــان الخطوبة اليـــوم جـــابوا لي *

عقد القِران، بكسر القاف، إجراء عقد الزواج وهي في (سط) و(مص) كَتْب الكتاب من المحدث قديماً وردت عند ابن كثير في "البداية والنهاية" حوادث ٤٥٦هـ.

إكليل عقد القران عند المسيحيين العرب.

تقديس الخطوبة عند اليهود العرب، وتعتبر ركناً في صحة الزواج وتكون بهدية تقدم لها يداً بيد بحضور شاهدين.

كَتوباه كَتْب الكتاب عند اليهود عموماً. (عبرية) ويأتي بعد التقديس.

عَروس الزوجة في أيام التقائها الأولى بالزوج. وأصلها لكليهما ثم استقلت بالدلالة على المرأة. وشاعت عَريس المولدة للرجل، بالفتح والتخفيف، وعِرّيس بالكسر والتشديد في بعض اللهجات. ويقال عروسان لكليهما. ويجمع عَريس على عِرسان وعروس على عرائس والأخير قد يشمل الجنسين. والعروس أصيلة في العربية والساميات ومنها أخذت الكلمة الأوروبية eros ومشتقاتها الدالة على الحب والجنس.

ليلة الحنّا الليلة التي تتم فيها الجَلوة وتسبق في العادة ليلة الزفاف (عامية) نسبت إلى الحناء لأنها كانت المادة الأساسية في التجميل.

عُرْس مهنة الإملاك والبناء حسب اللسان. وتتضمن:

(١) انتقال العروس إلى بيت العريس. ومن هنا جعلها ابن الإعرابي خلاف العُمرة وهي انتقال العريس إلى بيت العروس (انظر زفاف).

(٢) الاحتفال بالتقاء الزوجين. ولذا أطلقها القدماء على وليمة الزواج. ويستعير المعاصرون جمعه أعراس للمناسبات الحافلة كقولهم: أعراس الوطن وأعراس النصر....

زِفاف، بكسر الزاي وبعض المعاصرين يفتحها، إهداء العروس إلى العريس. وفي تعريف الوسيط: "نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها". وبهذا المعنى فهو يرادف العرس ويخالف العُمْرة. ولذلك يقولون: زُفّت إليه العروس ولا يقولون: زفوه إلى العروس ويستعمل المعاصرون كلاً من العرس والزِفاف في معنى الالتقاء والاحتفال به والفعل زف عندهم مشترك للعروسين فيقولون زفوه وزفوها وزفوهما. وكثيراً ما يتم الزواج اليوم بالسفر إلى مكان قريب أو بعيد لقضاء شهر العسل ويكون الزفاف عندئذٍ إيصالهما باحتفال إلى مكان اللقاء إن كان قريباً أو مكان السفر إن كان الملتقى بعيداً.

زفّة زفاف. تكثر في العامية. وأوردها الوسيط مصدراً مرادفاً للزفاف. وفي الأمثال البغدادية: "مثل الأطرش بالزفة" يُضرب لمن يجهل أمراً يكتنفه ويحيط به لأن الأطرش لا يسمع شيئاً من الضجيج الهائل الذي تتم به الزفة في المعتاد.

دُخلة، بالفتح وبالضم، دخول العريس على العروسة ليلة الزفاف. وليلة الدخلة هي ليلة دخوله عليها. (مولد) ويلفظها العراقيون بتفخيم اللام فتتمايز عن الدخلة بالمعنى العام للدخول.

أعرس: في اللسان: "أعراس فلان اتخذ عُرساً وأعرس بأهله إذا بنى بها وكذلك إذا غَشيَها". فالإعراس جامع للدخلة والاحتفال بالتقاء العروسين. وعرّس: أعرس، عامية قديمة، جاء في اللسان "لا تقل عرّس والعامة تقولها ونص التاج على عاميتها. وهي اليوم في عامية زماننا.

جهّز العروس أعد لها جِهازَها. ويقول العوام: جهّزوا لها فيعدونها

بحرف الجر ويعطيها ذلك تمايزاً عن المعنى العام للتجهيز.

عُرسية من يقومون بأعباء العرس ويصاحبون العروسين في انتقالهما إلى بيت الزوجية (مولد في المحيط) وهم الزّفافة في (عق).

إشبين مرافق العريس والمتولي لأموره (محدثة) عن السرياني.

إشبينة مرافقة العروس. ويسميها العراقيون سَرْدوج من سرده الفارسية وهذه لها عدة معانٍ منها رئيس صحبة اللهو. ومنها ولدوا المعنى العُرسي.

نَكّافة التي ترافق العروس إلى بيت زوجها وتتولى الحديث باسمها. (مغ) من نقّافة الفصيحة وهي الحريصة على السؤال المكثرة منه.

فارِدة عروس تتزوج في غير قريتها أو عشيرتها. فهي كالنزيعة. ويطلق الاسم أيضاً على الزفّافين الذين يذهبون لأخذها من موطنها إلى موطن زوجها (فلسطينية).

ملحق بالباب

-١- ما يُقدَّم للزوجة من حقوق وهدايا

مَهْر المال الذي يخصص للمرأة في عقد الزواج. ج مُهور. ومهر مبلّت: مضمون وفي المخصص:

* ومـــا زُوِّجت إلا بمهـــر مـــبلَّت *

سِياق مهر. مأخوذ من قولهم "ساق إليها مهرها سياقاً" حين كان المهر من الابل والغنم ثم اتخذت معنى المهر عموماً. ويستعملها العراقيون بهذا المعنى العام.

صَداق وصِداق مهر. تتردد مع المهر في كتب الفقه وهي في لهجات المغرب.

معجِّل مهر معجَّل أو عاجل هو المدفوع فعلاً للزوجة في أول الزواج ومهر مؤجل أو آجل وهو جزء من المهر يؤخر دفعه إلى حين المطالبة به. ومن المعتاد أن يُدفع للمرأة بعد الطلاق.

بائنة ما يكون مع العروس المسيحية من مالها وجهازها عند الزفاف. ولها أحكام في نظام الزواج عند المسيحيين.

شَبْكة، باء ساكنة، هدية الخطوبة (مص) لعل أصلها أنه حين يخطبها يكون قد شبكها بنفسه. ويقول المصريون في التعبير عن الحب "شبك قلبي".

صُبْحيّة هدية العروس من أهل زوجها صبيحة الزفاف (عق، سط) وهي في (مغ) تَصبيحة.

نُقوط، بضم النون، هدية العروسين من الأقارب والأصدقاء. ونقّط العروس: أعطاها النقوط. في المحيط عامية وفي الوسيط مولدة.

حُلْوان جزء من المهر كان بعض الجاهليين يأخذونه إذا زوجوا بناتهم. وكانت العرب تعيّر من يأخذه. قالت امرأة تمدح زوجها:

* لا يأخذ الحلوان من بناتنا *

مُتعة بضم الميم، هدية تعويضية تقدم للمطلقة تكون واجبة حسب الشرع إذا طلقها قبل الدخول بها، ولم يكن قد سمى لها مهراً، ومستحبة في الحالات الأخرى.

رُضْوة، بضم الراء، مُتعة (سدن) تستعمل فيها مع المصطلح الشرعي مُتعة.

خاتم الخطوبة خاتم على شكل حلقة يلبسه الخطيبان في البِنصِر اليمنى ثم يحولانها بعد الزواج إلى اليسرى يسميه الأكثرون حَلْقة ويسميه المصريون دِبْلة بكسر الدال. وأصل الدبلة اللقمة الكبيرة والكتلة من الشيء.

-٢-

مفردات وأفعال

خطبَ المرأة يخطُبها

كتَب الكتاب وعقَد القران

لبّسْها: فعل التلبيسةَ لتثبيت الخطوبة رسمياً (سط). وفي (عق) نَيْشَنْها.

أمهر المرأة يُمهرها: خصص لها المهر وسماه لها.

مأذون موثِّق عقود الزواج والطلاق.

تزوج هو وتزوجت هي -تزوجاً.

تزوجها وتزوج بها يتزوج وتزوجته هي وتزوجت به. وهذه دارجة عند المعاصرين وتزوج في القوم الفلانيين: تزوج امرأة منهم.

زوّجوها وزوّجوه تزويجاً. وتزاوجوا هم تزواجاً تزوج بعضهم من بعض.

نكحَها ينكحَها وينكحها: تزوجها. وأنكَحه إياها: زوجه بها.

وفي القـرآن: وأنكِحـوا الأيامى منكم والصـالحين من عِـبـادكم وإمائكم: زوجوهم.

ونكحَت هي: تزوجت فهي ناكحة وناكح وهو ناكح: أمية بن أبي الصلت:

لله درّ أبي عليّ أيمٍ منهم وناكح.

وتناكحوا: تزاوجوا.

استنكح المرأة: طلب نكاحها. واستنكح في بني فلان: تزوج فيهم.

تبعّلت تبعّلاً: اعتنت بزوجها وتزينت له وأحسنت معاشرته. وفي الحديث: "جهـاد المرأة حسن التبـعل". قـال السـيـوطي في اللآلئ المصنوعـة إنه حديث موضوع. ومفاد التبعل في الحديث هو الزوجية وأداء حقوقها هو حسن التبعل.

مزواج: كثير أوكثيرة الزواج. والمزواج يستدعي المطلاق (انظرها في باب الطلاق).

الباب الرابع
فك الزواج

طَلاق فك العلاقة الزوجية بألفاظ مخصوصة. والطلاق عند المسلمين طلاقان: رجعي يجوز فيه رجوع الزوجة إلى الزوج إذا طلقها أولاً وثانياً. وبائن إذا طلقها للمرة الثالثة أو في حالات بينتها كتب الفقه. ولا ترجع إليه إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخر فيطلقها ويتزوجها عندئذٍ بعقد جديد.

خُلْع، بضم الخاء، طلاق الزوجة للزوج في الشرع الإسلامي ويكون مقابل تنازلها عن المهر أو دفعها تعويضاً للزوج.

مخالَعة، خُلْع

بَيْنونة انفصال الزوجة بالطلاق أو المخالعة. ولها أحكام في قوانين الأحوال الشخصية.

مطلَّقة المرأة التي طُلِّقت من زوجها. وهي صفة لازمة تختص بها بعد البينونة. وتستعمل طالق عند انتهاء إجراءات الطلاق. فيقال: هي الآن طالق. وفي خطابه لها: أنتِ طالق. ج.طوالق.

مطلِّق الزوج الذي انفصل عن زوجته بالطلاق.

نُشوز رفض الزوجة للزوج أو رفض الزوج للزوجة. وتترتب عليه أحكام في القوانين الشرعية. والناشز لأي منهما. وتغلب اليوم على المرأة.

خالعِ المطلّق والمطلّقة بخلع.

مِطلاق، رجل كثير الطلاق لا يثبت على زوجة.

نَفَقَة، ما تستحقه المطلّقة من المطلق عدا المهر والمُتعة إذا كانت حاملاً أو ذات ولد قاصر، أو في مدة العدة للمطلقة طلاقاً رجعياً. مصطلح قضائي يخص الأحوال الشخصية.

ظِهار، بكسر الظاء، قول الزوج للزوجة في حالة غضب أو خلاف: "أنت علي كظهر أمي" وعندئذ تَحْرُم عليه حتى يقدم كفّارة.

لِعان، بكسر اللام، قضية يتهم فيها الزوج زوجته بالخيانة وليس له شهود فيشهد أربع شهادات بالله أنه صادق والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً. وتشهد هي أربع شهادات بالله أنه كاذب وشهادة خامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً. ويقع بعدها التفريق بينهما. مع إسقاط عقوبة القذف عنه وعقوبة الزنا عنها. وقد تلاعنا يتلاعنان ملاعنةً.

إيلاء، أن يُقسم الزوج في حالة غضب أو خلاف بأن يهجر زوجته فيتركها مدة إذا تجاوزت الأربعة أشهر فلها مقاضاته بالعودة إلى فراشها أو تطليقها. من قولهم: آليت أن أفعل أولا أفعل كذا. أي أقسمت وتعهدت...

ملحق بالباب
مفردات وأفعال

طلّق زوجته يطلّقها تطليقاً وطلقها وتطليقة واحدة وطُلقت تُطلق صارت طالقاً.

اختلعت المرأة من زوجها وخلَعها هو: فعل الطلاق فيما يخص المرأة في الشرع الإسلامي.

تَخالعا: اتفقا على الطلاق. وخالعته هي طلبت الاختلاع وخالعها هو.

بانت تَبِين بينونة: طُلقت. وفي أخبار الحجاج أنه أرسل رجلاً ليطلق إحدى زوجاته بكلمتين فقال لها: كنت فبِنتِ فقالت: كنا فما حمِدنا وبِنّا فما ندمنا.

المحلّل من مصطلحات الطلاق في الفقه السني ويكون بعد الطلاق ثلاثاً. والشريعة تمنع الرجوع بعد الطلاق الثالث إلا إذا تزوجت المطلقة من آخر ثم طلقها فعندئذ تصح لها العودة إلى زوجها الأول بعقد جديد. وكان هذا تدبيراً لردعهم عن التوسع والإسفاف في الطلاق. وعند بعض أهل السنة أن الطلاق يكون بائناً إذا قال لها بلفظ واحد: "أنت طالق ثلاثاً"، فتحرم عليه ما لم تتزوج من آخر ثم يطلقها. ولحل هذا الإشكال يعقد عليها بعقد شكلي من رجل آخر ثم يطلقها قبل أن يمسها فتحل لزوجها الأصلي. ويُسمى القائم بهذه الحيلة الشرعية محلّل. وفي العراق تسمى الحيلة تجحيش. وقد جحّشها يجحّشها. ويحدث في حالات أن المجحّش يتمسك بالمرأة ويرفض تطليقها، فتصبح زوجته الشرعية لأن العقد تتوفر فيه أركانه المطلوبة ولو أنه يتم باتفاق مُسْبق مع المجحش.

آلى من زوجته يُؤلي: أقسم لا يمسها. وفي القرآن: "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر.."

نَشَزت عليه ونشز عليها ينشِز وينشُز: رفضته أو رفضها. وأصل النشوز الارتفاع وكأن أحدهما استعلى على صاحبه فكرهه وأراد فراقه.

ظاهَر من امرأته يُظاهر: قال لها أنت علي كظهر أمي.

تَفاخُت، تطالُق. طلاق جماعي متقابل بين العوائل من عشيرتين. من مصطلحات البوادي المشرقية. ويكون عند وقوع نزاع تتصدع به العلاقة بين العشيرتين. ينظر إلى الفَخْت في أحد معانيه وهو القطع فكأنهم أرادوا التقاطع فقالوا تفاخت.

مهجورة، امرأة هجرها زوجها فلم يعاشرها ولم يطلقها. تتردد على لسان العامة. وأصل الهجرفي القرآن وهو أن يهجرها في منزله إذا نشزت فيترك مضاجعتها للضغط عليها. والمهجورة هي المطرودة من بيتها تعسفاً. وهي كالمعيوفة.

الباب الخامس

مفردات الوضع الزوجي

عَذْراء امرأة لم تُفتض. ج عذارى وعذراوات.

عُذرة، بضم العين، حالة العذراء، البَكارة.

بِكر، بكسر الباء، عذراء. ج أبكار.

بكارة، بالفتح، عُذرة. والغشاء في مثلث عشتار قبل الافتضاض.

بَتول: عذراء. من المفردات الموغلة في القدم. فهي في الأكدية بَتولتو. وفي الآرامية بَتولا. وأخذت في العربية والسريانية معنى العذراء المتطهرة المنقطعة إلى الله ولذلك لقبت بها مريم.

مُحْصَنَة ذات زوج، متزوجة، وهو مُحْصَن: ذو زوجة، متزوج. من الإحصان ويعني تحصين الإنسان عن الزنا بالزواج.

ثَيِّب غير عذراء. ج ثَيِّبات. في القرآن: "ثيباتٍ وأبكاراً".

مشغولة امرأة مشغولة أي متزوجة أو مخطوبة. وفي خبر زواج شريح سأل أم الفتاة: أفارغة أم مشغولة؟ فقالت بل فارغة. والكلمة في (سدن).

عزب الجذر الدال على عدم الزواج وله اشتقاقات وصياغات مختلفة في المعاجم نثبتها مع التنبيه إلى المستعمل منها والمستجد في العربية الحديثة:

لغير المتزوج: عَزَب وعازب وأعزب. والأخير تقول المعاجم إنه لا يصحّ أو قليل. وهو كثير في العامية الحديثة. ويستعمل الكتاب عزب وعازب. والعَزَب

لكليهما واستعملوا عازبة تأنيثاً لعازب. وللمرأة يستعمل العوام عَزَبة وعَزْبا والأخيرة من عزباء. والجمع لكليهما عُزّاب ويجمع الكتّاب عازبة عازبات.

عُزوبة حالة العُزّاب. عدم الزواج. والعُزوبة لمن لم يتزوج أصلاً ولمن تزوج ثم فقد الزوج أو انفصل عنه.

معِزابة من طالت عزوبته حتى ليست له في الزواج حاجة.

عَانس عذراء تأخر زواجها. ج. عوانس.

أيِّم غير المتزوجة. وتعم العَزَبة والعانس والعذراء والأرملة والمطلقة. وأصلها للرجال والنساء ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

لــــلــــه در أبــــي عـــلــــيٍ

أيّـــمٍ مـــنـــهـــم ونـــاكـــح

أي غير المتزوج والمتزوج.

واستعملها القرآن لكليهما جمعاً: "وانكحوا الأيامى منكم..." ويغلب استعمالها على المرأة. وفي الأساس: "هي أيِّم مالها قيِّم". وفي حكم الأيم الباهل والباهلة وهي الأيم التي لا ولد لها أي أنها المنقطعة بلا زوج ولا أولاد. وفي قول الكميت:

فـتلك أمـور الناس أضـحت كـأنهـا

أمـــورُ مـــضـــيـعٍ آثر النوم، بُـهَّلُ

بهل هنا صفة لأمور الناس ومراده: مهمَلة مضيَّعة والإبهال الترك والإهمال.

أرملة التي مات زوجها. ج. أرامل. وهي الراجع أيضاً ولكنها تخص من ترجع إلى أهلها بعد موت زوجها. هكذا وردت في المعاجم. وتقال للمطلقة التي ترجع إلى أهلها أيضاً. ومن البيّن أن الصفة متوقفة على وجود أهل ترجع إليهم. وبخلافه فهي الأرملة أو المطلقة من غير قيد رجوع.

هجّالة في (مغ): عَزَبة خالية من الرباط العائلي. جِذر هجل يفيد الهَوَج والإهمال والحمق والتعرض للرجال...

مُعلَّقة امرأة فُقد زوجها وجُهل مكانه فلا هي ذات زوج ولا هي أيِّم. وحكمها في الشرع الانتظار مدة معلومة تكون بعدها في حل من الزواج بآخر.

مُغيب ومُغيبة، بضم الميم، امرأة غاب زوجها إلى مكان معلوم على أن يعود من غيبته في وقت ما، معلوم أو غير معلوم. وفي الحديث: "أمهلوا حتى تمتشط الشَعثة وتستعدّ المُغيبة" توجيه بإبلاغ الزوجة المغيبة بعودة الزوج حتى تستعد لاستقباله بزينتها التي يحب أن يراها فيها.

لَفوت، بفتح اللام، امرأة لها زوج وولد من غيره.

بَروك، فتح الباء، امرأة تزوجت وولدها بالغ كبير.

مثفاة امرأة منحوسة يموت من يتزوجها. والمِثفى من تموت زوجاته. وأصلها من تموت له أو لها ثلاثة. من الأثافي وهي ثلاثة وعممت على المنحوسين منهما بصرف النظر عن عدد موتاهما. وقد مات لعاتكة بنت زيد ثلاثة أزواج.

بايرة: بنت يتأخر زواجها ويقل أو ينعدم خطابها (عامية) من البوار وهو الكساد في أحد معانيه. وتختلف عن العانس في أن العانس قد تُطلب وتُخطب ولا تتزوج لسبب منها أومن أهلها أو أي سبب آخر. والبايرة هي التَريكة في الفصحى.

نزائع: المتزوجات في بلاد الغربة فهن ينزّعن إلى أهلهن وبلادهن. عمر بن الخطاب: "يا بني السائب أنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع" أضويتم لزواجكم من القريبات فتفشلوا وتزوجوا الغريبات.

صَرورة وصارورة الممتنع عن الزواج تبتلاً. لكليهما. وفي الحديث: "لا صرورة في الإسلام" نهي عن التبتل والترهب. والصرورة في الشعر المنسوب للنابغة:

فلو أنها عرضت لا شمط راهبٍ

عبدَ الإله صرورةٍ متعبِّدِ

ونُجل النابغة عن هذا الشعر المفكك الركيك ولولا شاهده على الصرورة لما رويناه.

حظيّة ومحظيّة: المفضلة من بين السراري. وقد تقال للزوجة المفضلة من بين الضرائر. وإلى الأولى يشير صعلوك من القرن الرابع يشكو من الجوع:

نفسي تحن إلى الهلام
الموت من دون الهُلام
هذا لأولاد الخطايا
والبغايا والحرام

ربة بيت: زوجة تتولى تدبير شؤون المنزل والعائلة ولا عمل لها خارج البيت (مستحدثة).

ملحق بالأفعال

عَنَست (المرأة) تعنِس وتعنُس وعنست تعنّس عُنوساً وعِناساً وعَنَّست: طال مكثها في بيت أهلها بعد بلوغها ولم تتزوج. وعَنَّسها أهلها: عضلوها حتى تأخر زواجها. والعُنوسة حالة العانس يصوغها المعاصرون على غرار عُزوبة.

ترمّلت المرأة تترمل ترمّلاً: صارت أرملة.

وهي مترملة. ورمّلها: جعلها أرملة. الصياغات الدارجة عند المعاصرين. والمعاجم على رمّلت وأرملت. ونص المحيط على ترمّلت.

آمت المرأة تئيم وتأيّمت تتأيم: أقامت بلا زوج. وأيّمها: صيرها أيّماً. ومنه قولهم: "الحرب مأيمة للنساء" أي تُفقدهنّ الأزواج.

تَثيَّبت المرأة: صارت ثيّباً. وثُيِّبت (على المجهول).

تعزَّب فلان وتعزبت فلانة: كانا عازبين. تركا الزواج. ويكون ذلك إذا لم يتزوجا أصلاً أو تزوجا وفقدا الزوج أوانفصلا عنه وبقيا بلا زواج.

الباب السادس
صفات المرأة كأم

مذكار، امرأة تلد الذكور وخلافها مئناث. ومِعقاب لمن تلد مرة ذكراً ومرة أنثى.

مقْلات، المرأة التي لا يعيش لها ولد. شاعر جاهلي:

بُغـاث الطيـر أكـثـرها فـراخـاً
وأم الصـقـرِ مـقـلات نزور

مُتئِم، من ولدت توأماً ومتئام من تلد التوائم.

خَروس، البِكرْ في حملها الأول.

ولَود، كثيرة الولادات. امرأة خصبة. فإن كانت تلد سنوياً وتحبل قبل الفطام فهي مُمغل.

ضانئ وضانئة ذات أولاد. من الضَنء وهم الأولاد.

مِنجاب، من تلد النجباء.

محماق، امرأة تلد الحمقى. وهذه وما قبلها صفة لاحقة بعد أن يكبر أولادها وتظهر عليهم صفات النجابة أو الحماقة. وأحمقت: ولدت الحمقى. قال الشاعر في امرأة يمدحها:

لا أحمقت لا ولا أزرت بها عُقُمُ

عائط امرأة ينقطع حملها سنين من غير عقم أو لا تحمل أبداً لكنها غير عقيم. وتعوطت تعوّطاً لم تحمل بلا عقم والعاقر والعقيم من لا تحمل لعلة فيها.

خَضيرة امرأة لا تكاد تتم حملاً حتى تسقطه. شاعر:

تزوجتَ مِصلاخاً رَقوباً خضيرة
فخذها على ذا النعت إن شئت أو دعِ

مُسبع من تلد لسبعة أشهر. وقد أسبعت.

خصوف التي تلد في موعدها من الشهر التاسع لا تتأخر ولا تتقدم.

ظِئر وظِئور من تعطف على ولد غيرها وترضعه. ج. أظأر وأظؤر. والاسم ظِئار.

مُشْبِل التي يموت زوجها ويترك لها أولاداً فتتفرغ لهم وتأبى الزواج.

مُرضِع امرأة لها رضيع تُرضعه بنفسها. والمُرضعة من تُرضع ولد غيرها. ومنه مرضعة النبي حليمة السعدية. وترد مرضعة في نصوص أدبية بدلالة مرضع وليست حجة في ذلك لأن النص البلاغي لا يراعي الدقة في المعنى. ويستعملها المعجميون في شروحهم بهذا المعنى كقولهم: استرضع: طلب مرضعة (وليس مرضعاً).

فاطِم من فطمت رضيعها ولم تعد تُرضعه وهي الفاطمة أيضاً.

رَؤوم التي تعطف على ولدها أو غيره وتلازمه. يقال: الأم الرؤوم كما يقال الأم الحنون.

ورَأم جذر يدل على مُضامّة وقرب وعطف (مقاييس اللغة).

قاعد، امرأة انقطعت عن الولادة. وفي القرآن:

"والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً..." والآية تشير إلى المرأة التي ناهزت سن اليأس فلم تعد قابلة للزواج والولادة.

فاقد، من مات زوجها أو ولدها أوحميمها.

ثاكل وثكلى من مات ولدها وتقال للرجل أيضاً لكن اختصت بالمرأة في الاستعمال.

واله ووالهة ثاكل شديدة الحزن على فقيدها.

ملحق بالباب

أفعال ومفردات ذات علاقة

آنثت إيناثاً: وَلَدت أنثى وأذكرت وَلَدت ذكَراً. ومن أدعيتهم للحبلى: اذكرت وأيسرت أي أن تلد ذكراً وتتيسر ولادتها...

أشْبلت تُشبل إشبالاً: قعدت على أولادها بعد وفاة زوجها ولم تتزوج.

أتأمت تُتئم إتآماً ولدت توائم.

ثكلَت ولَدها تثكَله ثَكْلاً وثَكَلاً وثُكْلاً: فقدته. وأثكلت: لزمها الثُكل. وثكلتك أمك دعاء بالهلاك. شعر:

* ثَكِلَتك أمك ما اعتذارك في غدٍ *

وأثكلها: أفقدها ولدها. (ليتنبه مراجع القاموس إلى أن الولد للذكر والأنثى)

أنجَبَتْ تُنجب ولدت ولداً نجيباً. قياس أفعل غير المتعدي. وعداها علي بن الخليل في العباسي الأول:

يـا خـــــيـــــر من أنجـــــبـــــه والـد

لِيَـــــهنِك الـفـــــارس لـيـث الـنِزال

ويسـتـعـملهـا المعـاصـرون بمعنى وَلَدت على جـهـة التـكريم لهـا.

ويستعملون «إنجاب» لعموم الولادة.

رئمت ولدها ترأمـه رَأْمـاً عطفت عليـه فـهي رائم ورائـمـة ورؤوم.

والدارج رؤوم.

ملحوظة: أوصاف المرأة البيولوجية ووظائفها في قاموس الطب.

الكتاب الثالث

الحب والجمال

الباب الأول
مفردات حب

حُب ضد البغض. ومعانيه على الوجه التالي(١) ميل الطبع إلى الشيء الملذ كما في الكليات. ويختص بحب ما هو لذيذ أو مفرح أو ما هو جميل ونحو ذلك(٢). ميل نحو الآخر ناشئ من القرابة كحب الأخ للأخ أو العلاقة الشخصية كحب الصديق للصديق(٣). ميل مبني على الإعجاب كحب شخصية سياسية أو ثقافية أو على الإيمان كحب المؤمن لرمزه الديني، أو علاقة إحسان كحب المحسَن إليه للمحسِن. ومنه قول العراقيين: "أحبك يا نافعي"(٤). انجذاب وجداني لموضوع علاقة كحب الوالدين وحب الوطن(٥). انجذاب شديد نحو شخص آخر مثل حب الأم لطفلها وحب أحد الجنسين للآخر. والأول ناشئ عن غريزة الأمومة فهو حب راسخ والثاني ناشئ عن غريزة الجنس لكنه يكون عذرياً مجرداً (اهتيامياً) كما يكون جنسياً. وما عدا ذلك فهو الحب بمعناه العام.

وللحب بمعنييه العام والخاص مرادفات نتابعها في الفقرات التالية.

مَحَبّة حب بمعناه العام في الغالب. يقال: "بين فلان وفلانة حب" فيفهم منه ارتباطهما بالعاطفة التي تربط بين الجنسين ويقال: «بين الأخوين محبة» فيفهم منه ارتباطهما الأخوي. وقد يستعمل الحب والمحبة في مكان بعضهما الآخر لكن الغالب على المحبة أنها عاطفة عادية.

وُدّ: في اللسان عن ابن سِيدة "الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" وبمقتضاه يكون الحب للخير والشر والود للخير وحده. والود قلما يراد للعاطفة الشديدة فهو حب معتدل كالمحبة. لكن الوداد في جملته الوجدانية أخص من الود كما في قول الصوفي:

سقاني شربةً أحيا فؤادي

بكأس الحب من بحر الوِداد

والوداد يسمّي به المعاصرون بناتهم لموسيقاه ودلالته المستحبّة.

والمَودّة الود والمحبة.

مَعَزّة: مصدر ميمي يستعمله المعاصرون بمعنى يجمع بين المحبة والإكرام وفعله الأصلي أعزّه أي أكرمه وأحبه.

هَوى: الحب بمعناه الخاص. وهو المراد في قول رابعة العَدَوية:

أحبك حبين حبٌّ الهوى

وحبّاً لأنك أهل لذاكا

والهوى أيضاً: ميل النفس إلى الشهوات وهو المراد بالآية "ونهى النفس عن الهوى" أما قوله: "ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله" فأعم من ذلك إذ المراد به ما يميل إليه الإنسان من أمور تحمله على عدم العدل ويدخل فيها مصالحه وشهواته.

والأهواء جمع للهوى استعمله السلفيون القدماء لوصف البدع والنزعات الخارجة عن العقائد التقليدية وسيأتي في موضعه من قاموس الثقافة.

عِشْق: فرط الحب. ويحده في الكليات بما هو مقرون بالشهوة. وفي القاموس: "إفراط الحب ويكون في عفاف وفي دعارة" وهو الأصح.

ويعده الأطباء المسلمون من الأمراض النفسية. وهاجمه الرازي في "الطب الروحاني". وسئل ثعلب عن الحب والعشق أيهما أحمد؟ فقال: "الحب، لأن العشق فيه إفراط". وفي المخصص عن الزَجّاجي إن العشق مشتق من العَشَقة وهي شجرة تخضّر ثم تصفّر وتذوي. فشبِّه بها حال العاشق لأن العشق يمرضه ويُذويه.

شَغَف: حب شديد. مأخوذ من الشَغاف وهو غلاف القلب. فكأن الحب بلغ الشغاف ليصل إلى القلب ويتمكّن منه. والمشغوف من شغفه الحب. ويعممه المعاصرون على حب الأشياء التي يولع بها الإنسان فيقولون فلان مشغوف بالقراءة وفلان مشغوف بالخمر وآخر مشغوف بالسفر... إلخ.

لاعج: الهوى المُحرق. ج. لواعج، وتغلب صيغة الجمع في الشعر. ولَعَجه الحب يلْعَجه لَعْجاً: أحرقه.

جَوى: الهوى الباطن الموجِع.

وَلَه: ذهاب العقل من حب أو حزن.

هُيام: جنون الحب والتحير فيه بحيث يذهب العاشق في الأرض لا يدري ما يفعل.

مِقة: حب. والوامق المحب... من شواهد اللسان:

إن البليـــــةَ من تَمَلُّ حـــــديثَــــه
فـــــانقع فـــــؤادكَ من حـــــديث الوامقِ

نادر في لغة الكتابة مهمل في لغة الكلام.

غَرام حب ثقيل راكز لا يستطاع الإفلات منه. وأصل الغرام العذاب كما في المخصص عن أبي علي الفارسي، لكن القرآن جعل الغرام صفة

للعذاب "إن عذابها كان غراماً". فينبغي أن يكون عذاباً ثقيلاً أو راسخاً. والغَرمى: المرأة الثقيلة. فالثِقْل من دلالات الغرام.

دَنَف المرض الشديد. وكثر استعماله لمرض الحب.

شَوْق نزوع النفس إلى الشيء. وعند الصوفية: هَيَجان القلب عند ذكر المحبوب. ويفرق الصوفية بين الشوق والاشتياق، فالشوق يسكُن باللقاء والاشتياق يتضاعف باللقاء.

صَبابة: رقة الحب والشوق وحرارتهما. والصب هو العاشق الرقيق المشتاق. "وديوان الصبابة" مجموعة منتقاة من شعر الحب لابن أبي حَجَلة.

دَلَه وَتدلّه: ذهاب العقل من عشق أو همّ ونحوهما.

وَجْد: الحزن والحب. وفي هذا البيت:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادني مسراك وجداً على وجد

يريد الشاعر أن نسيم نجد ذكّره فزاد حزنه على أحبته البعيدين. والوجد الصوفي ما يبلغونه في مراتب الحب الإلهي مقروناً بشدة السُكْر. وتواجَد الصوفي تواجُداً أخذته سَكْرة الحب. والواجد ذو الوجد. ومنه:

أحسن بالواجد من وجده

صبر يعيد النار في زنده

والوجد هنا هو الحزن على فقيد يحبه الواجد.

ملحق بالباب

مفردات وأفعال

أحبَّ يُحب فهو مُحِب؛ وأحبه فهو محبوب.

حبيب: فعيل من الحب يغلب على طرفي العلاقة العاطفية. ويقال

أيضاً لكل من هو موضوع لحب شديدٍ كالطفل والوطن. ج. أحبّاء وأحبّة.

حَبّب إليه الشيء أو الشخصَ: جعله يحبه. فهو محبَّب عنده. سورة الحجرات: "ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان".

تَحبَّب إليه: أظهر له المحبة.

تحابُّوا: تبادلوا المحبة. وهم متحابّون. والتحابُّ تبادل المحبة. وقد يُفك الإدغام في لغة الكلام فيقال تحابَبُوا.

أحبِبْ به: ما أُحبَّه. تعبير عن الإعجاب بشيء أو شخص محبوب.

حَبّوب وحَبّوبة: محبوب ومحبوبة (عامية). وكذا حبَّاب وحبَّابة.

ودَّه يَودُّه: أحبه. والوَدود المحب لغيره الكثير الود. وتوادُّوا تواداً: تحابُّوا. وتودَّد إليه: تحبب. والأوِدّاء: المحبون. وترد ودَّ بمعنى تمنى كقول القطب الجيلي عبد القادر: "وددِت لو أن الدنيا في يدي لأُطْعِمَها الجياع". وددت بكسر الدال وحكاها الكسائي بالفتح أيضاً.

أعزّه يُعزّه: أحبَّه. والعزيز عند المعاصرين المحبوب والغالي النفيس. وهو المستفاد من الخطاب في المراسلات: أخي العزيز، والدي العزيز، ولدي العزيز، صديقي العزيز...... ج. أعِزاّء وأعزّة وعِزاز. والجموع الثلاثة مشتركة لهذا المعنى المولد وللمعاني الأخرى التي ترد في القواميس.

يتعزز على: يتدلل (عامية) مولد من أحد معانيه القديمة التي تفيد التعظُّم والتمكن.

هَوِيها يهواها: أحبَّها. وهويَ الشيء يهواه: رغِب فيه وتعلّق به. واستهواه الشيء: أعجبه فشغل هواه. واستهواه فلان: أثَّر فيه فجعله يتقبل ما يقوله من غير نقاش. هاواه: سايره وداراه.

عَشِقها يعشَقها فهو عاشق وهم عُشّاق وهي معشوقة. ولا يقال عشيقة عند المعاصرين لأنها تختص عندهم بالمعاشرة غير الشرعية بين رجل وامرأة ومدلولها علاقة جنسية خالصة. وجمعها عشيقات. واستعملها الجواهري بمعنى المعشوقة في قصيدته عن زحلة اللبنانية:

في كل مقهىً عشيقات نزلن على
وادي الغرام وعشاق معاميدُ

وإنما اضطره إليها الوزن فالبيت ليس حجة على خلاف معنى العشيقة عند المعاصرين.

وعشِق على زوجته: أحب أخرى معها.

وتعشَّق: تكلف العشق. وتعشَّقها: عشقها.

تيَّمه الحب: استعبده. والمتيَّم من استعبده الحب واستولى عليه. وتيمته بحبها. ينبغي أن يكون من تَيْم وهو العبد ومنه تيم الله اسم قبيلة جاهلية ومعناه عبد الله.

وَلَه ووِله: تحير وداخ من حب أو همّ ونحوه. وتوله يتولّه أغلب عند المعاصرين كقول سلمى الجيّوسي:

إنما لا تتولَه
فأنا قد أتألَه

وللوله مدلولات نفسية تراجع في كتاب النفسيات من قاموسي الإنسان والمجتمع.

دَله يدلَه وتدلَّه، والأخير أغلب على المعاصرين، ذهب قلبه من هم أو حب أو نحوه. ودلّهه الحب تدليهاً فهو مدلَّه: حيّره وأدهشه.

هام بها حباً فهو هائم وهيمان: اشتد حبه حتى ذهب على وجهه لا يدري ما يفعل. وهيَّمه جعله هائماً. ابن عربي:

*. .. وهو لصاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيّمه الجمال"

والمُسْتَهام: الهائم، الكميت بن زيد:

من لقلب متيَّمٍ مُسْتهام

غيرَ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

جمع فيه متيم، ومستهام، وصبوة وهذه ستأتي.

شاقه يَشُوقه شوقاً: هاجه وأثار فيه الشوق إليه. واشتاق هو الشيء وإلى الشيء اشتياقاً وتشوق إليه. اشتد شوقه إليه. وشوَّقه تشويقاً: أثار فيه الشوق إليه وجعله ينزعَ إليه (التشويق في كتاب الفن من قاموس الثقافة). وتباريح الشوق: توهُّجه وهَيَجانه.

دَنِف: مَرِض مرضاً شديداً. وأدنفه المرض: اشتد عليه فهو دَنِف ومُدْنَف. ابن الفارض:

عَطْفاً على رَمَقي وما أبقيتَ لي

من جسميَ المُضنى وقلبي المدنفِ

يريد المدنف بالحب.

شَفَّه الحب: أنْحله وأوهَنه: قال الشاعر:

من لصبٍ شفه سَقَمُهْ

وتلاشى لحمه ودَمُهْ

تعلّقها وتعلّق بها: أحبها. والتعدية بالباء هي الدارجة عند المعاصرين.

هنَّدته: أورثته عشقاً بالملاطفة. وحسب ابن دريد كما في المخصص أن اشتقاق اسم هند من التهنيد والصحيح هو العكس فاسم هند أصلي مأخوذ من اسم البلاد وقد سمى به العرب بناتهم لما عرفوه من جماليات الهند

وحضارتها كما يترجّح عندي. والإحساس بالجمال شديد عند العرب.

يَتَحرَّق، يقول المعاصرون فلان يتحرق شوقاً إلى كذا تعبيراً عن شدة الشوق والتهابه.

أوحَشه: ضد آنسه، جعله يستوحش. ويريد بها المعاصرون في الغالب استوحش لغيابه. كقول الجواهري يداعب صديقاً:

لقد أوحشتنا حتى كأننا

ألفنا فيك مصطَحب الوحوشِ

ويقول المصريون: وحشتني.

نَغْمش على قلبي: استهواني وجذبني. (سط) من نَغَش إليه أي مال إليه. والميم زائدة.

متبول: من أسقمه الحب. والتَبْل جذر للأذى والمرض والعداوة. وفي (عق) للعبء والثقل. وهو المعنى الأقرب للمتبول. والكلمة مما يرد كثيراً في شعر الغزل عند القدماء من جاهليين وإسلاميين ومن مطلع قصيدة كعب بن زهير المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

صَبْوة: الميل إلى اللهو وبضمنه النساء. وقد صبا يصبو. دُرَيد بن الصمّة:

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسَه

فلما علاه قال للباطل إبعدِ

وأصبَتْه: جعلته يصبو إليها. من شواهد اللسان:

إلى هند صبا قلبي

وهند مثلُها يُصبي

-٢-

الحب حسب التصنيف النفساني

حب غَـيـري: حب من جـانب واحـد لا يهـدف إلى السـيطرة على المحبوب بل العناية به وجلب السعادة له. وهو حب الشاعر القديم الذي قال:

ويفـــرح قلبي أن أراها بنعـــمـــةٍ

وإن كـــان لا يُجـــدي عليَّ نعـــيـــمُـــهـــا

حب كاذب: حب أناني يجمع في وقت واحد أكثر من محبوب.

حب امتلاك: يتميز بحدة العاطفة وشدة القلق فيدفع إلى تمني امتلاك المحبوب. وتصحبه حالات مَرَضية كالقَمَه والأرق. وهذا هو العشق في معناه الذي شرحناه.

حب عُذري: حب عفيف انتشر في صدر الإسلام والخلافة الأموية في البادية والحجاز. نسبة إلى بني عُذرة الذين كثر فيهم المحبون من هذا النمط. والحب الغيري داخل في الحب العذري وهو أيضاً مرادف للحب الاهتيامي (الرومانسي) الذي عرفته أوروبا في القرن الثامن عشر.

حب جنسي: حب بقصد المضاجعة. وهو الحب المرادف في الإنجليزية المعاصرة للجنس حيث يقال:make love ويترجم: يمارس الحب. والترجمة ملتبسة لأن الحب في العربية لا يشترط الجنس حصراً. وترجمتها الصحيحة: يمارس الجنس.

الباب الثاني
الغزل

غَزَل، بفتحتين، تختلف المعاجم في تعريفه. ففي لسان العرب: حديث الفتيان والفتيات. وفيه عن ابن سِيدة: اللهو مع النساء. وفي القاموس: محادثة النساء. وفي الوسط: محادثة المرأة والتودّد إليها. وفي المنجد: يحادث النساء ويُفيض بذكرهن. ووضعه العصري مقابل FLIRTATION وشرحه باللهو مع النساء. وأورد: شعر غزلي مقابل EROTIC POETRY ومُغازل النساء مقابل PHILANDERER والانجليزي من PHILO اليوناني بمعنى الحب. ويختلط في EROTIC معاني الحب والشهوة والجنس فتخصيصه بالغزل ليس دقيقاً. ويستعمل المترجمون اليوم ايروسي (انظر مادة عروس في كتاب الزواج). تلخيصاً لهذه التعريفات ولاستعمالات الكلمة في العصرين الإسلامي والحديث نقول:

الغَزَل: حديث الحب بين الرجل والمرأة. وشعر الغزل: شعر الحب الذي يتحدث عن صفات المحبوب الجسدية والأخلاقية وعن عواطف الشاعر أومعاناته في حبه. والغَزَليات قصائد الغزل. ولا يقال: شعر المغازلة أو غازلها الشاعر لأن المغازلة هي الحديث العادي المباشر بين المحب

والمحبوب بل يقال تغزل بها أي أسمعها الغزل أو كتبه عنها والأخير هو الغالب والغَزِل هو معتاد الغزل. بِشارة الخوري (الأخطل الصغير):

وكــان بالقــرب منهــا كــوكب غَــزِلُ
يصـــغي فلمـــا رآها ســـبّح الله

وراح يُقـــســـم أن لابات لـيـلتـــه
إلا على شـفـتـيـهـا لاثمـاً فـاها

ويوضح البيت الثاني أن هذا الكوكب الغزِل هو في الحقيقة المغازل الذي وضعه العصري مقابل PHILANDERER وليس هو الشاعر الغزِل. والشاعر الغزِل هو الشاعر الرومانسي الاهتيامي ويميَّز بذلك عن الشاعر الماجن الذي يكتب الأدب المكشوف والرَفَث وشعر المجون. والغَزَل يميل إلى المعنى الأول وإن كان بعض المعاصرين يستعمل الغزل الصريح.

تشبيب: في لسان العرب: "تشبيب الشعر ترقيقه بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأريثها". فالتشبيب مخصوص بالغزل الشعري. وشبّب بها: قال فيها الغزل. وهو يتشبب: يتغزل بالشعر، يقول شعراً غزلياً.

نسيب: شعر الغزل الرقيق. ونَسَب بها ينسُب وينسِب: قال فيها شعراً عاطفياً رقيقاً.

مباغمة في اللسان: باغم فلان المرأة مباغمة إذا غازلها بكلامه. قال الأخطل:

حَـــثُّـــوا المطايا فـــولونا مناكـــبـــهم
وفي الخـــدور إذا باغـــمـــتـــهـــا صُـــوَرُ

والبُغام في الأصل صوت مرخم مُنعم مبهم ومنه بغام الظبية وبغام الطفل وهو لَغاه قبل أن ينطق.

ملحق بالباب

مفردات تتكرر في الغزل

وَصْل مواصلة الحبيبة لمحبها. نحو:

أتتْ وحــجــابُ الموت بيني وبينَهــا

وجــادت بوصلِ حــيث لا ينفع الوصلُ

وقد فهم الشاعر الوصل هنا بالوصال الجسدي. أما هي ففهمته بالوصال الروحي.

هَجْر وهجران: مقاطعة الحبيبة للمحب. والهجر عند المسيحيين العرب انفصال من غير طلاق.

عاذل وعَذول: الذي يلوم العاشق على عشقه. والعَذْل بسكون الذال وفتحها هو اللوم.

وكثر وروده في الغزليات وفي الأغاني المعاصرة كقول محمد عبد الوهاب أمير الغناء المعاصر:

والقــــمـــــر طال علينا

والعــــذول غــــايب عن عــــينينا

ج. عُذّال والعواذل للنساء واستعملها فريد الأطرش، زميل محمد عبد الوهاب، للجميع في أغنيته "يا عواذل فلفلوا"

وُشاة المشاغبون على المحبين. هكذا ترد في الغزليات. ولها معانٍ أصلية تجدها في كتاب الأخلاق.

شَجَن حُزْن. يكثر في الغزل ويجمع فيها على شجون وأشجان كقول الشاعر:

هلا أخــذتَ لهــذا اليــوم أُهْبــتــه

من قــبلِ أن تُصــبح الأشـواق أشـجـاناً؟

سُلُوّ وسُلْوان نسيان الحبيب والشفاء من حبه. والسُلوان أيضاً دواء إذا شربه العاشق شفاه من عشقه وهو المفرِّح عند الأطباء وقد سلا عنها وسلاها يسلو. والسَلْوة كل ما يُسلّي.

والسُلوانة خَرَزة. كانوا يصبون عليها ماء المطر ويسقونها العاشق ليسلو. يقال: سلوت وسليت ومنه قول رُؤْبة:

لو أشرب السلوانَ ما سَليتُ

وأسلاه وسّلاه: جعله يسلو وينسى. وللتسلية معنى يرد في موضعه من المعجم وانسَلى عنه الهم: انكشف.

تَوْرة، الفتاة ترسل بين العشاق.

الباب الثالث

الجمال ومرادفاته

جَمال ضد القبح والدمامة. المفردة الأساسية في هذا الباب. يحدده فلاسفة العرب بأنه: "صفة تُلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضاً". والجمال صفة للأشياء والأحياء والمجردات . وهو جميل وهي جميلة.

حُسْن، بالضم ويكسره العامة، جمال. ويجتمع فيه معنيان: كونه ملائماً للمزاج والطبع وكونه صفة كمال. واستعير لذلك للجودة. فيقال: حُسنُ العمل وحسن السلوك وعمل حسن وسلوك حسن، والأخلاق الحسنة. شائع عند القدماء وعوام المعاصرين نادر عند الكتاب الذين تجنبوه لشيوعه في العامية. على أنهم يقولون حسن العمل وحسن السلوك وحسن الأداء وقلما يستعملونه مرادفاً للجمال.

بَهاء يقال للحُسن المهيب المالئ للعين. ومنه اشتقاق المباهاة والتباهي زنة مفاعلة وتفاعل من البهاء وكأن المُباهي والمُتباهي يعرض ما عنده من بهاء ليفاخر به غيره.

وَضَاءة الحُسن مع ألقَ ونظافة. (يُنظر للوضوء ويعني غسل بعض الأطراف والوجه) وهي وضيئة وهو وضيء.

وَسامة أثر الحسن في الحسناء. وجذره وسم ووشم وهو أثر الكي. يقال وسمه بميسم كفر أو إيمان أي ثبّته عليه كما يُثَبَّت أثر الوسم. واستقل الوسيم بمعنى الجميل الثابت الجمال كأنه قد وُسم به وسماً.

نَضارة البريق والرونق والبهجة. وهي نضْرة ونضيرة وناضرة والمنظر نضْر ونضير وناضر.

مَلاحة، بفتح الميم، الحسن. وهي مليحة وهن مِلاح. ويقول العراقيون "مَمْلوحة" لمن يستملحون وجهها من غير أن توصف بجمال فائق. وهو الدلالة الأصلية للملاحة.

صبَاحة الجمال مع إشراق. وهي صبيحة وهو صبيح.

طَلالة، الأصمعي "الطلالة الحسن والماء". ويقع فيه معنى الجمال العذب. ولهذه الصفة علاقة بالطل وهو النسغ الجاري في الأغصان والمطر الخفيف أو الندى. وهي طليلة. وطلال من أسمائهم.

طلاوة الحسن والبهجة: وفي البيت التالي جمع الشاعر ثلاثة مرادفات للجمال وهو في امرأة سوداء:

وزاد بك الحسنُ البديعُ طلاوةً
كأنك في وجه الملاحة خالُ

والبديع هو المُحدَث العجيب الذي بلغ الغاية في بابه. وأعطته العامية المعاصرة معنى الجميل والجيّد واشتقوا منه بَداعة للحسن والجودة الفائقة.

وسمّوا أولادهم بديع وبديعة، ويتردد معنى الاسم بين البديع من أسماء الله الحسنى والبديع بالمعنى اللغوي. والأخير هو الأكثر لأنهم لا يسمون عبد البديع. الخال يأتي لاحقاً.

الطلاوة مثلثة الطاء. والطلي للكلام فيه طلاوة واللون الطلي والشعر الطلي عند المعاصرين ما فيه طلاوة.

بهجة الحسن والنضارة ممزوجاً بما يثير الفرح والشعور بالسعادة.

بَضاضة رقة البَشَرة مع نضارة وامتلاء، بصرف النظر عن لونها. وهي بَضّة وجسدها بضّ. أحمد شوقي:

كعذارى أخفينَ في الماء بضاً

سابحات به وأبدينَ بضّا

والبَضْباضة الرَخْصة الجسد الممتلئة البدن الصافية اللون (الوسيط).

رَشاقة جمال القد ولطفه واتساقه.

فتنة أصل الفتنة صهر المعدن في النار لاختباره. ومنه سمي الصائغ فتّان. وولّدت منها معانٍ كثيرة وردت في القرآن. وفي اللسان: "يقال فَتَن الرجل بالمرأة وافتَتَن. وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولّهته وأحبها وأهل نجد يقولون أفتنته." وتوسع المعاصرون في فاتنة وفتّانة للحسناء التي تخلب الألباب بحسنها. واستعملوا الفتنة أيضاً بمعنى الحسن الخلاب.

وقد فتنته بحسنها تفتنه فهو مفتون بها. وافتتن هو افتتاناً وفُتِن فتنة.

وقرينة الفتنة بالنساء هي الابتلاء بهن وكأنه خضع لاختبار الجمال الخلاب فلم ينجح فيه فصار مفتوناً به. ومن معاني المفتون المجنون. وفتنته المرأة إذا وضعته موضع الاختبار بحسنها.

غَنْدَرة جمال مع دلال ونعومة (عامية) من غُنُدر وغُندور الفصيحة، وهو صفة الغلام الناعم وخصصتها العامية بالمرأة فقالوا غَندورة بفتح الغين على عاداتهم في زنة "فعلول". ومن الأغاني اللبنانية:

حلوة حلوة وغَندورة

ملحق بالباب

أفعال ومفردات تتعلق بالجمال

جَمُلت فلانة تجملُ وجمُل الشيء يجمُل صارت جميلة وصار جميلاً. وتجمع جميلة على جمائل ويميل المعاصرون إلى جميلات وجمع الجميل جملاء. وللجمال اشتقاقات أخرى ترد في مواضعها.

حَسُن وحَسَن الشيء يحسُن وحسُنت فلانة صار حَسَناً وهي حَسَنة. والحسناء صفة استقلت عن الموصوف للمرأة التي تتمتع بحسن فائق وجمعها حِسان وحسناوات. ومحاسن المرأة عناصر الحسن فيها ويقال كذلك محاسن الشيء جمع لا واحد له "والمحاسن والمساوئ" كتاب للبيهقي في الأدب والتاريخ.

وسُمَت فلانة فهي وسيمة والجمع وِسام. والمعاصرون يميلون إلى وسيمات.

نضَر ونضُر ينضُر ونضِر ينضَر (الوجه والشجر والنبات وغيره) صار نضْراً، كان ذا رونق وألق. ونضَّره جعله نضراً.

مَلُح وجهها يملُح: حسُن واستُملح.

بَهِيت تبهى وبهت تبهو فهي بهية وهن بهايا وبهيات وهو بهي وهم أبهياء. والباهي: البهي من مفردات ألف ليلة وفي لهجات المغرب العربي وهم يقولون في جواب السؤال عن الحال: باهي... أو باهي وزين.

حَلا يحلو فهو حُلْو وهي حُلوة. وحَليت تَحلى. وفي الخطبة الشقشقية لعلي:

"ولكنهم حَليت الدنيا في أعينهم". والصيغتان موزعتان على اللهجات بعضها تقول حَلَت وبعضها حَليت.. واحلولى: حلا. والحُلْو:

الحَسَن المستطاب. وميزه الأقدمون عن الجميل فقال خالد بن صفوان لامرأة قالت له إنك لجميل: كيف تقولين هذا وأنا أصلع آدم (شديد السمرة) قصير؟ ولكن قولي إنك لحلو. وفي القاموس: الحلو من يُستخف ويُستحلى من رجل وامرأة.

ومن عبثيات أبي نواس:

يقـــــول والناطف في كـــــفـــــه
مـن يشـــــتـــــري الحلوَ من الحلوِ

الناطف: حلوى.

وَضُؤت تَوْضُؤ فهي وضيئة.

بهُج الشيء والوجه يبهُج بهاجة فهو بهيج وهي بهيجة ومبهاج: حَسن ونضُر وفي سورة الحج "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج". أي من كل صنف حسن رائق. وتباهج الورد: تضاحك. والمباهجة: المباهاة. وبهّج الشيء: حسّنه وجمّله. والتبهيج: التحسين.

رشُقت ترشُق فهي رشيقة.

بضَّ البدن يبُض ويبَض صار بضاً. وبضَّت هي.

تغندرت فلانة تتغْندر: تدللت أو تأنقت (عامية).

خد أسجح: سهل لين غير منتفخ وطويل في اعتدال. والسَجاحة صفته. وسجاحِ كحذامِ نبية بني تميم.

رَهيدة: شابة لينة ناعمة.

ترّ الجسد تَرارةً: امتلأ وتروى عظمه فهو تار.

شاعر عن محبوبته:

وتصـــــبح بالغـــــداة أترّ شيء

وفي (عق) وجه يترّ: يتلألأ. وجذر تار في السرياني يفيد الامتلاء واللّيونة والرطوبة.

أخّاذ: يقول المعاصرون: جمال أخّاذ أي فاتن جذاب.

غَريّ: في المخصص: "كل حَسنٍ غريّ، والغرّيان بناءان حسنان في الكوفة" والغري من أسماء مدينة النجف في العراق وكانت من أعمال الكوفة وسميت بالغري على تسمية البناءين اللذين كانا فيها وهما للمناذرة.

جَسَد: في القاموس: "الجسد جسم الإنسان" وينزع استعماله المعاصر إلى تخصيصه بجسم المرأة. وللكاتب اللبناني جورج حنا كتاب "المرأة جسد وروح"

الخال والشامة: كلاهما نكته سوداء في البدن خِلْقةً. وميّز بينهما في اللسان فقال: "يقال لما لا شخص له شامة وماله شخص فهو الخال". وتعرّف الشامة بأنها علامة في البدن مخالفة لسائر لونه. وفي حديث لابن عساكر "اصلحوا لباسكم وأصلحوا رِحالكم حتى تكونوا شامة بين الناس". والشامة والخال لاتتمايزان عند المعاصرين وهما موزعتان على اللهجات فبعضها يقول شامة وبعضها خال وكلاهما للنكتة التي تخالف سائر البدن بارزة أم لا وهي من سمات الحسن. ج.خال خِيلان وجمع شامة شامات. وصاحبة الخال خيلاء وصاحبة الشامة شيماء.

وَمْشة: الخال الأبيض.

وَحْمة بقعة مخالفة لسائر البدن تكون أكبر من الشامة. شائعة في العامية ولم تذكرها المعاجم ووضعها العصري والمورد والمعجم الطبي الموحد مقابل BIRTHMARK وشرحها العصري: أثر الوِحام في الولد، والمورد: علامة خَلقية على الجسد ووجودها في معظم اللهجات الحديثة يدل على وجودها في لغة الكلام القديمة ولم يقيدها المعجميون.

الباب الرابع
القبح ومرادفاته

قُبح خاصية في الشيء أو الشخص تؤذي النظر وتبعث على النفور من المرئي. وهو قبيح وهي قبيحة.ج. قِباح. والقَباحة القُبح إلا أنها مالت إلى الاختصاص بالأخلاق والسلوك. قبُح يقبُح صار قبيحاً واستقبحه عدّه قبيحاً.

دَمامة، القبح ويغلب على الأحياء دون الأشياء. هو دميم وهي دميمة. ج. دِمام ودمائم. والمعاصرون يميلون إلى الجمع السالم فيهما: دميمون ودميمات.

بَشاعة، الكراهة والخشونة والقبح. في اللسان كلام بشع: خشن كريه ورجل بشِع المنظر إذا كان دميماً ورجل بشِع النفس أي خبيث النفس (يريد بالرجل الإنسان) وبَشِعَ الوجهُ إذا كان عابساً باسراً وثوب بشع: خشن". وعند المعاصرين: وجه بشع: كريه دميم ومثله عمل بشع ومنظر بشع. وقد بَشِع يبشَع. واستبشعه عده بَشِعاً.

سَماجة، القبح والكراهة. والسَمْج والسميج الكريه غير المستملح وهي سَمْجة. والسماجة عامة في الأحياء والأشياء وأصحاب السماجات من فئات المرفهين عن أرباب الدولة في العصر العباسي سموا بذلك

لقيامهم بحركات مستهجنة أو سخيفة لإمتاع سادتهم. وقد سمُج يسمُج. واستسمجه عده سمْجاً.

جَهامة وجُهومة، صفة تختص بالوجه العبوس الغليظ المتجمع من غير اتساق ويستعمل العراقيون جهامة بمعنى شكل الوجه قبيحاً أو جميلاً. فيقولون فلان حلو الجهامة. ومنه قول المغني السياسي الساخر عزيز علي في تقاعس الحكام عن نصرة فلسطين:

والنواطيـــــر النشـــــامى
ذولا حلوين الجـــــهـــــامـــــة
نايْمين شلون نومـــــــــه

وهوجَهْم وجهيم. وجهُم يجهُم: صار عابس الوجه كريهه.

شَناعة، شدة القبح. وهو شنيع وهي شنيعة. وشنُع يشنُع: صار شنيعاً واستعيرت لمعانٍ تأتي في مواضعها من القواميس.

كريه، من معاني الكريه: القبيح، الذي يكرهه من ينظر إليه. وفعله كرُه يكرُه، لازم على زنة فعُل. وإذا أريد الكريه بمعنى البغيض قيل كرِه يكرَه فهو كاره والشيء مكروه وكريه.

الباب الخامس
صفات الجمال في المرأة

الفصل الأول
صفات عامة

غيداء وغادة: فتاة ناعمة ناعسة متثنية ليناً. تكثر في الشعر وفي تسميات المعاصرين لبناتهم. ج. غيد. والغَيَد صفتها. وتغايدت في مشيتها: تمايلت وتثنت.

خريدة العذراء الحيية المتحفظة. ج خُرّد. أحمد شوقي يجمعها مع الصفة السابقة:

* فداء ليلى الليالي الخُرَّد الغيدُ*

والخَرَد والتخرد صفتها. أوس بن حجر:

ولم تلهها تلك التكاليف إنها

كما شئت من أكرومةٍ وتخرُّدِ

وفي (عق) استخرد فلان فلاناً: استزلم عليه واستضعفه كما لو أنه خريدة.

خوْد شابة ناعمة. ج خُود. وتخوّد الغصن: تثنى وماس.

رَخْصة: ناعمة لينة.

مُخَصَّرة: الدقيقة الضامرة. وكَشْح مُخصَّر: دقيق.

غراء: الغراء. الحسنة البيضاء. وقال الأصمعي قلت لأعرابية ما الغراء فقالت: التي بين حاجبيها بَلَج وفي جبهتها اتساع تتباعد قُصتها معه عن حاجبيها فيكون بينها نفنف (فضاء).

عَيْطَل: طويلة العنق والجسد مع حُسْن.

وثيرة: سمينة ممتلئة.

هضيم: وهضماء: هيفاء لطيفة الكشح. وبطن هضيم وأهضم. والصفة هي الهَضَم.

سنيعة: جميلة لينة العظام لطيفة المفاصل كاملة الخلقة. جذر سنع يفيد الطول والرفعة والوفرة والحسن. وفي (نجد) سنّعه: رقّاه ورفه عنه وأحسن إليه.

مكسال: البطيئة الحركة ترفاً ودلالاً. مِفعال من الكسل.

وهنانة: مكسال. فعلانة من الوهن.

خَفوت، في اللسان عن الليث: "الخفوت التي تأخذها العين مادامت وحدها فتقبلها فإذا صارت بين النساء غمزتها. "يريد أن تبدو جميلة حين تكون وحدها فإذا صارت بين حِسان ظهرت عيوبها.

منمنمة لطيفة الأعضاء صغيرتها. (من عامية المحيط) اسم مفعول من النمنم وهو صغار الخرز اللطيفة الملونة.

ممشوقة: طويلة جميلة القَوام مع رقة ونحافة غير مخلة.

ممسودة: مطوية الخَلق. والمسْد فتل الحبل جيداً. وفي مفردات الراغب. امرأة ممسودة مطوية الخلق كالحبل الممسود وفي التاج: بطن

ممسود: لين لطيف مستوٍ لا قبح منه.

مَسمورة: نحيفة معصوبة البدن.

مرْمورة ومَرْمارة: الفتاة الناعمة الرجراجة.

عُطبول الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة الجيد. عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي
قتلَ بيضاء حرة عطبولِ

شَطْبة، في الأساس: لها قد كالشطبة وهي السعفة الخضراء. وجارية شطبة إذا كانت تارّة.

والشطبة في العامية التي لها قدٌّ طويل ممشوق كالشطبة.

رُعبوب شطبة تارة أو بيضاء ممتلئة الجسد. ج رعابيب. حميد بن ثور:

رعابيبُ بيض لا قصارٌ زعانف
ولا قمعات حسنهن قريبُ

جيداء: طويلة العنق في حسن: نسبة إلى الجيد، مرادف للعنق كثير الورود في الشعر. والجَيَد صفتها.

جَعْدة: ذات شعر جعد. وجعدة من أسمائهن.

جسد سبط يقال امرأة سبطة الخَلْق: رخصة لينة. وجسد سبط: حسن القد والاستواء. من المنسوب لامرئ القيس:

فجاءت به سَبْطَ العظام كأنما
عمامته بين الرجال لواء

يشير إلى رجل، والصفة مشتركة لهما. والعرب تجعل استواء خلقة الرجل من كماليات السؤدد والمكانة.

فرعاء: كثيرة شعر الرأس طويلة فروعه. يقال: لا بد للقرعاء من حسد الفرعاء.

لفّاء: اللفَفَ فخامة الفخدين، وامتلاء ما بينهما وهو في النساء نعت وفي الرجال عيب.

عجزاء سمينة العجيزة.

ممكورة: يقال ممكورة الساقين لذات الساقين الممتلئتين المستديرتين.

وممكورة الخَلْق للمدمجة الخِلقة مع امتلاء وسمن. شعر:

ممكورة الخلق ما طالت وما قَصُرت

عجزاء لفّاء في أحشائها هَضَمُ

عجزاء، لفاء، هَضَم: راجع ما قبلها.

معكّنة وعكناء: ذات عُكن (طيات) مستحسنة في بطنها.

مجدولة: ساق مجدولة أي مُحكمة الطي منسقة. وامرأة مجدولة: لطيفة القصب محكمة الفتل.

مُهَفْهَفة: ضامرة البطن دقيقة الخصر.

رَداح: ثقيلة الأرداف تامة الخلقة.

غيفاء: غيداء لانت جوانبها ومال عنقها لكن من غير نعاس. وجذر غيف يفيد النعومة والترف والتثني. والغاف شجر حلو الثمار.

وَركاء: ضخمة الوركين.

الفصل الثاني

صفات الأنوف

أقنى الأنف الأقنى هو الشكل السائد لأنوف العرق النورمندي. ووجد عند العرب والمصدر القنا وهو ارتفاع في أعلاه واحديداب في وسطه مع دقة الأرنبة وضيق المنخرين.

ذَلْفاء الذَلَف قصر الأنف وانبطاحه مع استواء وصغر في الأرنبة. ومن الأحاديث الموضوعة: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ذُلْف الآنُف" والإشارة إلى يأجوج ومأجوج. وهذه صفة عيون أهل الصين وأنوفهم. والذلفاء من أسمائهن.

خنساء: ذلفاء إلا أن أنفها أقصر مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وسموا خنساء كما سموا ذلفاء.

شماء: الشَمَم ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها مع إشراف قليل في الأرنبة. ويستحسن العرب هذه الصفة في الرجال فالأشم أكثر تداولاً من الشماء ويستعار للسمو والرفعة والأنفة. حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول.

أنُوف، طيبة رائحة الأنف.

الفصل الثالث

جماليات العيون

عَيناء: واسعة العينين حسناؤهما مع اتساع في السواد. ج عِين ومنها الحور العين لنساء الجنة.

نَجلاء: واسعة العينين. والنَجَل صفتها.

وَطفاء: كثيفة شعر الحاجبين مع طول واسترخاء في الأهداب. والوطَفَ صفتها.

غطفاء: طويلة الأهداب مع التوائها. وصفتها الغَطَف.

كحلاء: الكَحَل أن يعلو منابت الأهداب سواد طبيعي. وكحِلَت تكحَل.

حوراء الحَوَر غلبة سواد العين على بياضها والحور في الظباء والمها دون البشر ويشبه الشعراء به عيون حبيباتهم. وقد حَوِرت تَحْور.

برج، إحداق البياض بالسواد كله. وبِرِجت عينها تبرج. شعر:

كحلاء في برجٍ صفراء في عجٍ
كأنها فضة قد مسّها ذهب

زَجَج الدقة في الحاجبين مع طول وتقوس. وهي زجّاء والحاجب أزجّ. وزججّت حاجبها. قال:

إذا مـــا الـغـــانيـــات برزن يومـــاً

وزجّـــجن الحـــواجب والعـــيـــونا

وازدج الحاجب: تم إلى دُنابى العين.

بَلجَ: نقاوة ما بين الحاجبين وتباعدهما. وبلِجت تبلَج فهي بلجاء. والبلج الإشراق ومنه انبلاج الصبح وتبلجه. ومن الرجز في المديح:

أبلج بين حـــاجـــبـــيـــه نُوره

والحق أبلج: أي واضح بيِّن.

ناعسة عيون ناعسة وطَرْف ناعس: فيها فتور مستحسن. أحمد شوقي:

يـا نـاعـس الـطـرف لاذقـت الـهـــــــوى أبـداً

والنعاس فتور في الحواس ينشأ عن الحاجة إلى النوم واستعداد الجسم له. وصاحبه نعسان وهي نعسى ونعسانة على المعنى الأصلي. وأكثر المستعار يرد على ناعس وناعسة.

صفات أخرى للعيون في كتاب الإنسان.

الفصل الرابع
جماليات المرأة بحسب الفم

ثَغْـر، الفم، والأسنان ومـقـدم الأسنان. والثـغـر للفـرجـة في الجـبل وللمـدينة السـاحليـة ذات المرفـأ. والثُغْرة للفرجة والنقـرة. ويسـتـعـملهـا المعـاصرون للفتَحة والمنفذ فـاللفظ أولى بالفم منه بالأسنان. وستـأتي في موضعها من قـاموس الطب. والثغر في الغزل دون الكلام العـادي ويرد بمعنى الفم والأسنان كما في قول رضا الهندي (معاصر):

أمـــــفلَّج ثـغــــرك أم جـــــوهر؟
ورحــــــيق رضـــــابـك أم سُكَّـر؟

والتفليج للأسنان.

لَمى: سمرة في الشفة مع قلة احمرار. وصاحبتها لمياء. وقد يعبر به عن الشـفة نفسـها كـما في قـول مـحمد سعيـد الحبوبي- أوائل القرن العشرين:

أيهـــا الســـاقي ومن خـــمـــر اللَمى
نـشــــوتي فــــاذهب ببـنت العـنبِ

لعساء: اللَعَس واللُعْسة سواد خفيف مستحسن في الشفة. ذو الرمة:

لميـــاء في شـــفـــتـــيـــهـــا حُـــوّة لَعَسٌ
وفي اللِثـــات وفي أنيـــابهـــا شنب

حُوّة لون أسود مشرب بحمرة كُميتية. ولقد جاء ذو الرمة بالمنفِّر إذ صور حبيبته ذات أنياب وإنما أراد أسنانها فرآها لا تستقيم مع موسيقى البيت. وموسيقى الصورة أولى من موسيقى العبارة.

ويتقارب تعريف اللمى واللَعس في المعاجم وقد رادفها ذو الرمة في الشاهد مع حوة. وفي اللسان:

فيها لمىً من لُعْسة الأدعاجِ

فجعل اللَمى من اللَعَس.

ظمياء صفة مشتركة للشفاه والعيون. في الشفاه سمرة مع ذبول مستملح وفي العيون رقة الجفنين.

رَشوف: طيبة الفم. وتزوج أعرابي فقيل له كيف رأيتها؟ فقال: وجدتها رصوفاً رَشوفاً أنَوفاً. الرصوف الضيقة العضو.

رتَل: اتساق الأسنان واستواؤها وبياضها. وثغر رَتْل:

ومبدٍ رتْلٍ كأن النحل عسَّل فيه، بارد

فَلَج: تفرق الأسنان، وانفراجها. وهي صفة مستحسنة في الأسنان ولا يراد بها وقوع مسافات بيِّنة من سن لأخرى إنما عدم تراكبها وارتصاصها بحيث يدخل بعضها في بعض، فالفلج هو انتظامها في صفها من غير تشتت ولا تراكب.

ظَلْم، بفتح الظاء، بريق الأسنان الشديدة البياض الذي يظهر كأنه الماء الرقراق. ابن الفارض:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها

فعدلك عن ظَلْم الحبيب هو الظُلم

يريد مزجها بهذا الماء الوهمي الذي يترقرق في أسنانها.

الفصل الخامس

جماليات الوجه

وجه طلق: ضاحك مشرق

وجه أسجح وخد أسجح: سهل منسوق معتدل الطول غير نحيف ولا منتفخ. ذو الرُمة.

ووجه (أو وخد) كمرآة الغريبة أسجح

والسَجاحة تقال للرفق والعفو ومنه قولهم:

"قـد ملكت فـأسـجح"

خد أسيل: أملس مستوٍ.

غمّازة: دارة تحدث في الخد عند الابتسام. في (المحيط) عامية وفي (الوسيط) مولدة.

وجه مكلثَم: جيد الاستدارة ناتئ الجبهة قليلاً فاتته سهولة الخد ولم تلزمه جهومة. وصفت ألْفت إدْلبي في "حكاية جدي" وجه فتاة بأنه "مستدير مكلثم".

أسارير: خطوط وإطار الجبهة والوجه ومحاسنهما يقال بَرقت أساريره أو أساريرها، وتهللت أساريره أو أساريرها تعبيراً عن الفرح بشيء.

قَسمات: الفتح والكسر معاً في الوسيط، ملامح الوجه. من شواهده قديماً:

كأن دنانيراً على قسماتهم

يصفها بالحسن وكأنها الدنانير الذهبية

وللشيخ باقر الشبيبي من المعاصرين:

هذا الذي يبدو على قسماتي

أثر الغرام فما يقول وشاتي

ووجه مقسَّم: أعطي كل قسم منه نصيبه من الحسن فهو متناسق. قال الشاعر:

ويومَ تُوافينا بوجه مقَسَّمٍ

ملحق بالأبواب السابقة

مفردات ترد في الشعر الغزلي

تَرائب: موضع القلادة من الصدر. من معلقة امرئ القيس:

ترائبها مصقولة كالسَّجَنْجَل (المرأة)

ومن أراجيز الحرب للمسيَّب بن نَجبَة الفزاري:

قد علمت ميالة الذوائبِ

واضحة الخدين والترائبِ

نَهْد: تعبير جمالي عن الثدي يرد في الشعر دون الثدي المستعمل كمصطلح أساسي للعضو.ج نهود. والناهد والناهدة الممتلئة النهد البارزته وهو من محاسن الثدي ونَهَد ثديها ارتفع وبرز.

مُقْلة، يختلف فيها اللغويون واختارها الوسيط مرادفاً للعين. ج مُقَل. وترد في الشعر وورود العين أكثر، وللجواهري:

إن وجه الدجى أنيتا تجلّى

عن صباحٍ من مقلتيك أطلا

مَبْسِمِ الثَغْر وللمقلة تعريف طبي يرد في موضعه.

شَفايف جمع عامي للشفة. ورد في ألف ليلة ويكثر في الأغاني المعاصرة..

بَنان: الأصابع أو أطرافها. ويرد في الشعر عند التغزل بجمال الأصبع كقول الشاعر:

خطرات النسيم تجرح خديه
ولمس الحرير يُدمي بَنانه

ويقول عبد العزيز بن عبد الله إن البنانة تطلق في المغرب على الموز تشبيهاً له بالأصبع لتقوسها (نحو تفصيح العامية). وهو اسم الموز في الإنجليزية وأرجعه قاموس وبستر إلى أصل إفريقي من غير أن يحدد في أي لغة إفريقية.

لِيت، بكسر اللام، صفحة العنق التي يتذبذب القرط فوقها. الجواهري:

إليَّ إليَّ بجيدٍ وليت
كأنَّ عروقهما النافرات
خطوط من الكلم الساحرات

لَبَّة: ما بين النحر وأعلى الصدر أو هي النحر نفسه. ابن زيدون:

والروض عن مائه الفضي مبتسم
كما فككت عن اللَبّات أطواقا

الباب السادس
صفات القبح والدمامة عند المرأة

شوهاء قبيحة غيرمنسوقة الشكل (الجذر شوه واشتقاقاته يراجع في كتاب الإنسان)

مقّاء طويلة مع دقة في البدن وهو أمق. والمقَق حالتهما.

خرثاء: صخمةالخاصرتين مسترخية اللحم

عَشّة: دقيقة عظام اليدين والرجلين. وهو عَشٌ. وأنشد ابن الأعرابي:

تضحك مني إن رأتني عشاً

عُكبُرة: جافية الخِلْقة.

فِرشاح: كبيرة سمجة.

حَبْناء: ضخمة البطن خِلقةً أو من داء. والحبَنَ صفتها. والمغيرة بن حبناء شاعر.

خَثْواء: في القاموس: الخَثْوة أسفل البطن إذا كان مسترخياً. والخثواء وصف للمرأة دون الرجل.

رَسْحاء: هزيلة الأرداف. في حكاية أبي القاسم البغدادي:

"رسحاء كأنها الضفدع كأنما لحسها من خلفها الذيب"

حَمَش وحُموشة: دقة الساقين. ومنه قول الشاعر يهجو امرأة:

شوهاء خِلقتها في وجهها نَمَشٌ

في عينها عمشٌ في ساقها حَمَش

وفي حديث المهدي مع الخيزران: هاتها على حَمَش في ساقيها.

وقال الشاعر يذكر البراغيث:

وحُمْش القوائم حُدْب الظهور

طَرَقْن بليلٍ فأرقنني

صاوية هزيلة يابسة البدن وهي المصويّة في (عق). وقد صَوت تَصوي

لَخْناء: اللخن قبح رائحة الفرج والأرفاغ وهي لخناء و"يا بْنَ اللخناء" شتيمة رائجة عند القدماء.

طُرْطُبّة ذات الثدي الضخم المسترخي.

ضهياء: امرأة لم تنمُ أعضاؤها التناسلية وثدياها ولا يأتيها الطَمَث.

دَمْصاء: الدَمَص رقة الحاجب من مؤخرته وكثافته من مقدمته.

قَمَلية قصيرة جداً.

دَرامة ودَروم: القصيرة القبيحة المشية:

من البيض لا درامة قَمَلية

إذا خرجت في يوم عيد تُواريه

حَضُون: مَنْ أحد ثدييها أكبر من الآخر.

وفي المخصص: التي ذهبت إحدى حلمتيها.

دِرْدِحة: التي طولها وعرضها سواء. ج درادح. أبو وَجْزة:

وإذ هي كـــالبَكر الهـــجـــان إذا مـــشت

أبى لا يماشــيـــهـــا القـــصـــار الدرادحُ

محصوصة: مهزولة من داء. وهي المهلوسة أيضاً وكلاهما من الفصيح العامي.

مُتَخَرْخِرة: في المخصص: تخرخرت المرأة كانت سمينة ثم هُزِلت.

صفات شتى

مِجبال: غليظة الخِلقة

وِجناء: ضخمة الوجنتين

ثَهْمَد: البدينة الضخمة

فوهاء:واسعة الفم. وهو أفوه

ثَجَل: استرخاء البطن وتضخمه.

سَوَل: استرخاء البطن تحت السرة. وهي سولاء

الباب السابع
صفات نفسية وأخلاقية للمرأة

نَوار: المرأة المتحفظة التي تنفر من الريبة. والنوار اسم زوجة الفرزدق التي طلقها ثم ندم على طلاقها فقال:

ندمت ندامة الكُسَعيِّ لما
غدت مني مطلقةً نوار

رزَان: رزينة في مجلسها، ذات عقل وعفاف ووقار.

عَروب: المرأة المتحببة لزوجها.

بَرْزة: امرأة مهيبة قوية الشخصية تبرز للرجال وتشارك في الحياة العامة ولا تتحجب حجاب الشابة.

بهنانة: امرأة طيبة النفس والرائحة لينة في حركتها ومنطقها تضحك ضحكاً خفيفاً: من شواهد لسان العرب:

يا رُبَّ بهنانةٍ مخبَّأة
تفترُّ عن ناصع من البَرَدَ

شَحْشاح: المرأة المضاهية للرجل بقوتها.

مسترجلة: متشبهة بالرجال. (عق) واسترجلت تسترجل. والفصيح ترجلت.

عَطيف: امرأة مطواع بسيطة عديمة الكبر.

فَرْفورة: الفتاة المرحة النشيطة المغناج (سط) والفرفرة كلمة جامعة لمعاني الطيش وخفة الحركة والخُزق.

لَعوب امرأة حسنة الدل. وعند المعاصرين: لبقة خفيفة تلعب على الرجال.

لاعة تعرّفها المعاجم بتعريفين: امرأة حديدة الفؤاد قوية، وامرأة تغازل الرجال ولا تمكّنهم منها. وبالجمع بين التعريفين فهي امرأة تلعب على الرجال وتتقصد العبث بهم ولا يقدرون عليها لأنها قوية منيعة.

شَموع: امرأة مزاحة حلوة الحديث. المتنبي:

لحـــاها اللّه إلا مـــاضـــيـــيـــهـــا
زَمـــانَ اللهـــو والخَـــوْدَ الشَـــمـــوعـــا

طامح وطمّاحة: زوجة جانحة تتطلع إلى رجل آخر. من الفصيح العامي. وطمحت تطمَح عليه: تركته وذهبت إلى أهلها أو أنشزت عليه لتطلّعها إلى آخر. وفي العامية طمحته متعدياً بنفسه (انظر مطروفة أدناه)

غانية: المرأة التي تستغني بحسنها عن الزينة. وعند المعاصرين هي المتبرجة وغير المتحفّظة.

سافر وسافرة مكشوفة الوجه. ذو الرمة:

ولو أن لقـــمـــان الحكيم تعـــرضت
لعـــينيـــه مي ســـافـــراً كـــان يبـــرق

ويقتصر المعاصرون على سافرة. ويعممونها على حاسرة الرأس مكشوفة الوجه، ضد محجّبة وهي من تستر شعرها وجسدها وقد تكون

مكشوفة الوجه. والحكم الشرعي في الحجاب هو كشف الوجه وستر الرأس والجسد ومن تفعل ذلك فهي المحجبة. أما السافرة فمن تكشف عن رأسها. ويقول العامة مْخلَّعة لمن لا تحتشم في ملابسها فتظهر أجزاء واسعة من بدنها أوأطرافها.

خَلوب: خداعة للرجال.

مطروفة: لا تثبت على رجل، طمّاحة. الحُطيئة:

وما كنتُ مثل الهالكي وعِرسه

بغى الودَّ من مطروفة العين طامح

خريع: المرأة المتهتكة. وفي الأساس: "هو خليع بيّن الخلاعة وامرأته خريع بيّنة الخَراعة".

غاوية: مترفة تحب التزين والتأنق. (عامية) وهو «غاوي». وأصله للممعن في الضلال المنهمك فيه.

ضَنوط: المرأة تتخذ صديقين. والضَنْط فعلها. وأصل الضنط الضيق والزحام. وهذه من مصطلحات الجاهليين وكانوا يسمحون للمرأة غير المتزوجة أن تتخذ لها صديقاً واحداً على سبيل المعاشرة اللاجنسية في الغالب. ويرادف الضنط الضَمْد وهو أن تتخذ المرأة أكثر من صديق أو أن تتخذ صديقاً وهي ذات زوج. والمعنى الأول هو المراد في قول أبي ذؤيب:

تريدين كيما تضمِديني وخالداً

وهل يُجمع السيفان ويحك في غِمد؟

هَرنانة: امرأة كثيرة التضجر والبكاء (مغ) توليد من هَنَّ أي حنَّ وأنَّ وبكى بكاء يشبه الحنين. والراء زائدة

منفاص: الكثير والكثيرة الضحك.

عفير: بخيلة لا تهدي لأحد شيئاً. الكميت:

وإذا الخـــرد اغـــبـــررن من المحـل

وصـــارت مِـــهـــداؤهن عــفــيـــرا

المهداء ضد العفير.

فارك: ضد عَروب. التي لا تحب زوجها. الشريف الرضي:

فـــصـــبـــرت حـــتى نلتـــهن ولم أقل

جَـــزَعـــاً دواء الفـــارك التطليق

دَرْدَب: امرأة تذهب وتجيء بالليل. والدردبة عَدْو الخائف المتلفت.

عَسوس: امرأة لا تبالي أن تدنو من الرجال.

هَلوك: الساقطة من النساء. الجواهري:

أمـــان الله والدنيـــا هلوك

أبت إلا التلون والوِقـــاعـــا

جَهواء: قليلة الحشمة لا تتستر.

عَنْقَفير: سليطة اللسان وقحة داهية. وهي من الكلمات التي يدل لفظها على معناها.

مَثْعاء: قبيحة المشية. والمَثَع مشية قبيحة للنساء.

عِنْفِص: امرأة بذيئة سيئة الأدب. قال:

لعـــمـــرك مـــا ليلى بورهاء عِنفصٍ

ولا عَـــشّـــةٍ خلخـــالهـــا يتـــقـــعـــقع

هيْنَغ في المعاجم: الملاعبة الضحاكة والفاجرة والتي تخفي سرها. والأول والثاني في هذا الرجز.

سلفعة وسَلْفع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق. وفي الحديث: شر نسائكم السلفعة. وفي التفسير عن ابن عباس في قوله: "فجاءته إحداهما تمشي على استحياء" قال: ليست بسلفع.

جُنْبُقة: المرأة السيئة الخُلُق. وفي المخصص: جُنْبُقثة.

حَزَنْبَل: المرأة الحمقاء والعجوز المتهدمة.

وَرْهاء: حمقاء.

شَلَقة: امرأة جريئة لعوب (مص).

خضراء الدِمَن: المرأة الحسناء في منبت السوء. من مفردات الحديث النبوي في قوله: "إياكم وخضراء الدمن" وأصله النبات ينمو في المزابل كنىّ بها عن المرأة الحسناء خَلْقاً القبيحة خُلُقاً.

حوس: امرأة تحاوس الرجال تخالطهم. والحَوْس جذر من دلالاته الجرأة والتوغل. وحاس يحوس جاس يجوس.

شرشوحة المرأة الوقحة العديمة الحياء (سط)

الباب الثامن
حالات للرجل في علاقته بالمرأة

رنّاء الذي يديم النظر إلى النســاء. من رنا يرنو: أدام النظر إلى الشيء ساكن الطرف. وفي (عق) يقال: عُويناوي. ويقال عينه مالحة وهذه وردت في "البخلاء" للجاحظ عن بخيل يحذر جليسه من التحرش بطعامه فيقول له: "أخاف أن تكون عينك مالحة".

زير النساء: من يكثر مخالطة النساء وزيارتهن.

رُكاكة رجل ضعيف الشخصية تستحقره النساء ولا يهبنه.

نظْلى رخو يشبه المرأة في نعومته ورقته. (مص) عن التركية بلفظه ومعناه. ويطلق في التركية أيضاً على المرأة المغناج ومنه الاسم التركي نازْلين للنساء وسمى به بعض العرب من الجيل الماضي بناتهم.

نَسْونة التشبه بالنساء (مص)

تأنّث يتأنث تشبه بالأنثى ولان ولم يشتد

انخناث تكسر ولين وتثن في الرجل. وقد انخنث وتخنث.

متصابي الكهل أو الشيخ المتشبه بالشباب في التأنق وملاحقة النساء. تكثر عند المعاصرين. وتصابى تكلف الصبا.

خَيدَع من لا يوثق بحبه.

مُفركٌ رجل غير محظوظ عند النساء والفروك والفارك مرت في فصل صفات المرأة.

ملحق بالباب
صفات جمال وقبح في الرجل

مَنْظَراني حسن المنظر

وضّاح أبيض الوجه بسّام.

طرير ذو رواء وهيئة حسنة. العباس بن مِرداس:

ويعجبك الطرير فتبتليه

فيخلف ظنك الرجل الطريرُ

أحوري الأبيض الناعم، وهي أحورية.

شتيم غليظ الخِلْقة كريه الوجه. والشتامة صفته:

وهزِئن مني أَن رأين مويهناً

تبدو عليه شتامة المملوك

ويدل البيت أن الشتامة صفة المتعوب الذي يكد ويكدح حتى يتغير وجهه من الكد والكدح.

وقد مر في الأبواب السابقة ما هو مشترك من الصفات بينهما. أما الصفات الجسدية والأخلاقية ففي مواضعها من كتاب الإنسان وكتاب الأخلاق.

الباب التاسع
الزينة والتزيين

الفصل الأول
مفردات الزينة ومصطلحاتها

تزيّنت المرأة وازينت تزيّناً: تجملت. والزينة ما تتزين به. ويقول العوام عن الذهب: "زينة وخزينة". وزيّنت نفسها وزيّنها غيرها تزييناً. وزانها يزينها زَيْناً. وازدان الشيء حسُن وجمُل. والزِيان كل ما يُتزين به. والزَيْن كل ما يزين واستعمله المتأخرون لمعنى الجيد وسيأتي في موضعه. والمُزيِّن الحلاق،: ومن يزين النساء ويصفف شعرهن وهي مزيِّنة (مولد)

زوّقت نفسها وتزوّقت: تزيّنت والاسم زَواق وفي (عق) زْواقة.

تبرّجت تبرجاً أظهرت زينتها للرجال. من البَرَج جذر دال على الحسن وهو من صفات العين (انظر الباب الخامس). ويقابله

الترقُّش للرجل وهو عند بعض اللغويين كالتبرج للنساء، التزين بزينة ظاهرة والمبالغة في تجميل المظهر. ويترقش هو كما تتبرج هي.

تطوّست تزينت وبالغت في الزينة. تفعُّل من الطاووس. والمطوَّس كل شيء جميل.

تجمّلت تتجمل تزيّنت. وفي حديث عدة سُبيعة أنها "تجملت للخُطّاب" وكان ذلك بعد أن وضعت فعُدّت عدتها منقضية. وجمّلتها تجملها والتجميل التزيين. وجراحة التجميل فرع من الطب الجراحي لتجميل الأعضاء المشوهة أو التي أدركها الكِبَر.

امرأة مبهرجة: مسرفة في زينتها (محدثة عن الوسيط) والبهرجة عند المعاصرين تقال للمبالغة في المظاهر والزخرفة. والبهرجة معرب قديماً عن الفارسي بمعانٍ بعيدة عن هذا المعنى ما لم نلمس قرينة بين الغش والتزييف وهو أحد معانيها وبين التزيين.

حفّ حفّت المرأة وجهها تَحِفّه حفّا وحِفافاً: إذا أزالت ما عليه من شعر. وحففته بالغت في حفه وتزيينه. والحَفّافة في (عق) مزينة النساء التي تحف لهن وجوههن ونحوها. والحفافة بالتخفيف هي عملها.

تطريف قص الأظافر وتجميل اليد. (الوسيط) وفي اللسان: طرّفت الجارية (الفتاة) بنانها إذا خضّبت أطراف أصابعها بالحناء وهي مطرِّفة. والتطريف بمعناه في الوسيط من اصطلاحات المجمع.

تكحّلت تكحّلا واكتحلت اكتحالاً وكَحلت جفنيها: زينتهما بالكُحْل وهو مسحوق رمادي اللون يؤخذ رئيسياً من الإثمد. وفي قول الشاعر "ليس التكحل في العينين كالكَحَل" تفريق بين الكَحْل التجميلي (التكحل) والكَحْل الطبيعي (الكَحَل). وهناك فرق بين التكحل والاكتحال فالأول تكلُّفه والثاني يختلط بمفهوم الذاتي. ولذا يقال في المستعار: لم تكتحل عيني بالنوم ولا يقال: لم تتكحل. والمكحلة علبة الكحل أصلها كمُنخُل ويلفظها المعاصرون كَمرحلة. والميل بكسر الميم عود معدني رفيع يؤخذ به المسحوق من المكحلة لتكحيل الجفن وهو

المِرودَ أيضاً. والقَفَدانة سدادة المكحلة. وكُحلّه مايعة كحل سائل عند نساء زماننا.

تزجيج الحاجبين: ترقيقهما وتطويلهما.

أنيق الأنيق الحَسَن المعجب من شيء أو شخص. وتأنق في الأمر: تجوّد وجاء بالمعجب منه. والتأنق والأناقة عند المعاصرين في الملابس والهيئة والطعام والأثاث وسائر المقتنيات. والتأنق في العمل: إتقانه وإحكامه. وقد أنقت تأنَق فهي أنيقة وتأنقت تتأنق عند المعاصرين: تجملت ولبست ثياباً جميلة ترضي الذوق وتسرّ النظر فهي متأنقة.

رُموش تطلقه المعاصرات على انتصاب الأهداب خلقة أو صنعة. والرموش الاصطناعية تستعمل للتعويض عن قصر الأهداب ودلالتها في الجمع دون المفرد. والرَمْش في العامية هو الحركة المضطربة للجفن عند النظر أو الكلام. والرَمَش في الأصل احمرار الأجفان وتفتل الأهداب مع سيلان لكن المعاجم نصت على مِرماش لمن يحرك عينيه كثيراً عند النظر أو الكلام. ومن مجمل هذه الدلالات للجذر تكون القرينة التي ولدت بها المعاصرات معنى الرموش.

تفليج تفريق الأسنان المتراصة لجعلها مفلّجة.

وَشْر تحزيز الأسنان وتحديد أطرافها.

قاشرة المرأة التي تقشر وجهها بالأدوية ليصفو لونها. وفي الحديث: "لُعنت القاشرة والمقشورة" ولعن فاعلات الزينة على اختلافها يكثر في الحديث ولعله من الموضوعات.

نُونة، في الأصل: نقرة في ذقن الصبي وأطلقت في (عق) على الطرة الحمراء في وسط الناصية فويق الأنف مما تتزين به نساء الهنود واستعارته منهن نساء بعض العرب في العصور المتأخرة.

وَشْم زينة تقليدية تتشكل في خطوط وطُرَر ونقاط خضراء أو خضراء مزرقّة وتكون بعملية قاسية حيث تغرز ابرة في الجلد أو يشرط بها ويذر النيلج على المكان فيخضر أثره حسب المطلوب.

ووشَمت ذراعها، أو غيره، وشماً واستوشمت: طلبت أن توشَم. والواشمة من تقوم بعملية الوشم.

لَعْط وعَلْط وعُلْطة خط الوشم في الخدود. ويكثر عند نساء الحبشة والسودان. ج ألْعاط وأعلاط.

مَفاتن مفاتن المرأة: ما يفتن الرجال من محاسنها وجمالياتها. (مستحدث).

مَعاري معاري المرأة: ما يظهر منها كالوجه واليدين والرجلين. ويقال أيضاً مَحاسر من حسر أي انكشف.

خشْل الخَشْل هي الأسورة والخلاخيل فيما تقله اللسان عن ابن برى حاكياً عن علي بن حمزة وهو ما كان منها أجوف غير مُصْمَت. وهذا هو معناها في (عق) وتلفظ فيها بكسر الخاء. يلجأ متعلموهم إلى مخشّلات فراراً من لفظ العامة ولو أنه الصحيح. وخشّلها فهي مخشّلة حلاّها بالخشْل.

تضمير طريقة لتخفيف الوزن استعملها العرب للخيل لجعلها ضامرة. ويستعمل المعاصرون «تنحيف» للإنسان.

الفصل الثاني

زينة الشعر

تصفيف تصفيف الشعر: ترتيبه بأشكال وأوضاع مناسبة. (مستحدث) وصفّفت شعرها تصفّفه. والتصفيف هو الترجيل عند القدماء. وكانت لعبد الملك بن مروان مرجّلة ترجّل شعره اسمها حُسَينة. والمصفِّف من يصفف الشعر، والمادة التي تستعمل لتصفيفه. يقال في الإعلانات: "مصفف الشعر المدهش الدهن الفلاني".

تسريح تسريح الشعر: حَلُّه وإرساله أو ترجيله وتخليص بعضه من بعض بالمشط. وسرّحت شعرها تسرِّحه. والتسريحة مستحدثة لهيئة التسريح أو التصفيف. سعدي يوسف:

نتعرى على حافة المائدة
غير أني أسرّح شعرك
إني اسرّح شعرك
دوائره وارتباكاته... واحتمالات تسريحة
في دمشق

ترطيل الشعر تليينه بالأدهان وتمشيطه.

مَشْط: مَشَطت شعرها تمشُطه: سرّحته بالمشط. والدارج عند

المعاصرين: مشّطته تمشيطاً. والماشطة والمَشّاطة: مزينة الشعر ومسرّحته. وآل الماشطة أسرة دينية في العراق. والمَشْطة واحدة المَشْط، اسم المرة منه، يقال مَشَطت شعرها مشطة واحدة.

إرفاه المواظبة على تدهين الشعر وترتيبه. والارفاه عام في الأخذ بأسباب الرفاهية والفعل أرقَهَ زنة أفعل اللازم الذي يفيد اكتساب الشيء وحصوله للنفس.

تحبيك، تكسير الشعر وتجعيده. والحبيكة الطريق من خصل الشعر المحبّك.

نُصول ذهاب خضاب الشعر. وقد نَصَل يُنصل وينصَل، يقال: نصَل الشعر: زال لون خضابه ونصل اللون أو الخضاب: زال.

تجعيد تجعيد الشعر تحوله من سبط إلى جعد. وجعّدته تجعّده فهو مجعّد.

عَقْص الشعر: لويه وإدخال أطرافه في أصوله لتجعل منه مثل الرمانة أو الكرة. وقد عقّصته تعقصه.

استرسل الشعر: صار سبطاً وتدلى. ويقال أيضاً: انسدل وتسدل. وسَدَلته هي أرْخته وأرسلته من غير أن تضم جانبيه.

بِكْله، بالكسر، الزي والهيئة كما في الرجز القديم:

لسن إذن لِزَغبلة

إن لم أغير بِكلتي

والجميل البكيل: المتنوق في ملبسه ومشيه. والُبكلة بالضم في (عق) تسريحة عريضة للشعر يرتفع بها من مقدمه إلى أعلاه. وهي بالفتح في (سط) ومنها قول الشاعر الشعبي السوري عمر الفرّا:

سـلام أرسل لمنديل القـصبْ الأزرق

لـسـن الـذهـب يـتـــــلالا

ولبـكلة سـيـــد المفـــرق

ضَفيرة خصلة شعر تُضفر على حدة. وقد يُضفر الشعر كله ويرسل إلى الوراء أو تعمل منه ضفيرتان أو عدة ضفائر. وضفرت شعرها تضفِره ضَفْراً.

قصيبة الخصلة من الشعر تلوى لكي تترجل وترسل ولاتُضفر. وهي في (عق) والبوادي المشرقية بمعنى الضفيرة دون زيادة أو نقص في المعنى. ج قصائب.

جديلة ضفيرة. مولدة حديثاً يستعملها الكتاب وهي في عامية بلاد الشام أيضاً ونص (المحيط) على عاميتها. ومن أغانيهم ما يبدأ بخطاب.

يابو الجـدايل

غديرة، في اللسان: الغدائر الذوائب. وعن الليث: كل عقيصة غديرة. والغديرتان الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر. وفي القاموس الذؤابة. وفي الوسيط: الذؤابة المضفورة من شعر النساء. فالغديرة إذن هي الضفيرة إنما بأشكال وأوضاع مخصوصة.

ذؤابة، في الأساس: هي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر. وهو المعنيّ في قول المتنبي:

نشـرت ثلاث ذوائب من شـعـرها

في ليلةٍ فـأرت ليـالي أربعـا

والذؤابة في غير الأساس هي شعر مقدم الرأس وشعر في أعلى

ناصية الحصان. واستعمالاتها المجازية تفيد العلو والظهور والمقدّمية. لكن شروح المعاجم للغديرة (انظر ما قبله) ترادفها مع الذؤابة في معناها في الأساس وعند المتنبي.

خُصلة المجموعة من الشعر. ج. خُصَل.

عُسْنة الخصلة من العرف والناصية والذوائب. وفي جذر غسن ما يفيد الجمال والشباب.

سَبيبة الخُصلة ج سبائب

قُصّة شعر الناصية المقصوص من مقدمه بمحاذاة الناصية. وهي الناصية أيضاً. وهذا المعنى في (عق) و(مغ) وفي الأساس: أخذ بقُصته أيّ بناصيته.

قُذْلة عامية منقولة من القَذال وهو جماع مؤخر الرأس، ويراد بها عكسه: شعر مقدمه المقصوص من جانبيه مع ترك خصلة صغيرة متدلية في الوسط. من أهازيج الأعراس في فلسطين:

إنت غـــواك بِقـــذلتك واحنا غـــوانا ســـيـــوفنا

فَرْق الخط الفاصل بين صفين أو خُصلتين من شعر الرأس. وفَرَقت شعرها بالمشط تفرُقه وتفرِقه فهو مفروق عملت له فرقاً وهو من أشكال التصفيف.

سباسيب سباسيب الشعر: أطرافه المنسدلة. وتسبسب: انسدل واسترسل (من عامية المحيط).

مَيش تلوين خُصَل من الشعر بلون خفيف مخالف للونه. والشعر مميَّش. وميّشته زينته بالميش. عامي وأصل الميش الخلط ومنه خلط الصوف بالشعر.

نِقريس وردة اصطناعية أو ما في شبه الوردة يزين بها الشعر. ج نقاريس ومن شواهد اللسان:

فحُلِّيتِ من خزٍ وبزٍ وقرمزٍ

ومن صنعة الدنيا عليكِ النقاريسُ

مِشْبَك أداة يشبك بها الشعر. وقد تتخذ لمحض الزينة وهي على أشكال متنوعة منها دبابيس ومنها قفايص مستطيلة أو مستديرة ولها تسميات كثيرة محلية نحو: ماشة، ملقط، حبّاسة، شكّالة.

قفيص أداة يُقفص بها الشعر إذا أريد إسداله أو عقصه كما تقفص به الضفيرة لمنع انفراطها.

شرايط جمع عامي للشريط تستعمل هكذا لأشرطة الشعر المختلفة. والجموع في العربية تقبل الاختلاف في دلالاتها باختلاف الصيغ.

طَوْق قوس ملون ومزخرف يطوق به الرأس من وسطه للزينة وتسبيط الشعر. والطوق أيضاً حلية من معدن نفيس يُطوق به العنق. ويكون دائرة مغلقة حول العنق. الأول مستحدث والثاني هو ما عناه ابن زيدون بقوله:

كما فككت عن اللبات أطواقاً

شامبو (باء باريس) محلول لزج مكثف لغسل الشعر. هندية الأصل بمعنى يدلك ويكبس واستعملها الأوروبيون لهذا المحلول.

مجفِّفة شعر: أداة كهربائية تنفث هواء حاراً لتجفيف الشعر بعد غَسله.

حلاقة حَلْق الشعر: إزالته. وبهذا المعنى يقال لحلق اللحية والشارب وحلق شَعر الرأس إذا أريد به إزالته تماماً. والحلاقة بالمعنى المحدث هي

إلى جانب معناها الأصلي تقال لقص الشعر وترتيبه حسب المطلوب. وهذا هو المعنى المراد في المصطلح الانجليزي hairdressing وسمي الحلاّق في العصر العباسي الأوسط «مزيّن» لأن عمله زاد على محض الإزالة للشعر إلى تزيينه. والمزيّن في لغة الكلام المعاصرة إلى جانب الحلاق. وزيّن فلان أي حلق. وحلَق شعره يحلِقه حَلْقاً وصاحب المهنة هو الحلاّق والحلاّقة. ويكتب على محلات الحلاقة: حلاقة رجالية أو حلاقة نسائية.

الفصل الثالث

مواد وأدوات الزينة

غُسْل وغَسول ما يُغسل به. وقد يقصد بالغَسول في الوقت الحاضر أي محلول كيمياوي طبي تُغْسل به البشرة أو تُرّطب مقابل الانجليزية lotion.

دُهن يطلق على زيوت يدهن بها الشعر أو الوجه أو البشرة عموماً. ويَدَّهِن عند القدماءُ يُرَوّي شعره بالدهن لترطيبه وتليينه. وتميل كلمة دهن اليوم إلى التخصص بدهن الشعر وتستعمل للبشرة المادة الأوروبية المسماة كْريم وكْريمة. وأصلها في الانجليزية القشرة وأطلقت على القشدة ثم على هذه المادة التزيينية. ودهنت شعرها تدهُنه دَهناً.

بَوْدرة، بإمالة الواو، من powder الأوروبية المحورة بدورها عن بارود العربية، للمسحوق المعطر الذي يدلك به الوجه وأي جزء من الجسم للتنعيم والتعطير وهي المسماة في العصر الإسلامي ذريرة، فعيلة من ذرّ الشيء يذرّه الحُمْرة قلم تحمر به المرأة شفتيها.

مَسْكرة علبة تحتوي على مادة لزجة ملوّنة تستعمل لإظهار جمال الأهداب. من الإيطالية.

مَكّي مواد الزينة (عامية) نسبة إلى مكة وكانت ترد منها مواد كهذه وغيرها لكونها مركزاً تجارياً علاوة على كونها مركزاً دينياً. ومن أمثالهم في (سط): "لولا علبة المكي كانت الحالة تبكّي" يشيرون إلى غير الجميلة التي تستعين بالمكي لتجميل نفسها.

إسْبيداج مسحوق أبيض ناصع من رماد الرصاص (كربونات الرصاص القاعدية) تزين به نساء الريف والمدينة وجوههن ويسمى عندهم سِبْداج. والكلمة من المعرب قديماً عن الفارسية وهي فيها سْبيتاج (باء باريس وجيم قاهرية)

دَيرَم، بإمالة الياء، لحاء شجر الدارم تحمِّر به نساء الريف والبادية شفاههن.

بخّاخ الرشاش والمرذاذ. عامية مقابل الأجنبي spray. ويستعمل لبخ شتى السوائل لأغراض مختلفة منها للمواد التي يتطلبها التصفيف ورش العطر. من الفعل بخ بمعنى رش وهو مقتطع من بخّر يبخّر.

مِشط، بضم الميم وبكسرها، أداة تمشيط الشعر. ج أمشاط.

وقد مرت في الفصول السابقة مواد وأدوات استدعاها السياق لتوضع هناك.

الفصل الرابع

التعطر والتعطير

تعطُّر استعمال العطر. وتعطرت هي تتعطر فهي متعطرة وعطّرها غيرها يعطّرها فهي معطَّرة. والعَطِرة المَطِرة عند القدماء التي تعتاد العطر، والمطرة التي تعتاد السواك لتنظيف أسنانها. ومن أقوالهم: "خير النساء الخَفِرة العَطِرة المَطِرة". والمعطار: الكثير التعطر من الرجال والنساء. والمِعطار أيضاً للعطر الفواح. الجواهري:

والأرض بالدم ترتوي عن دِمْنةٍ
وتمجُّه عن روضةٍ معطارِ

وعَطِرت فهي عَطِرة: تطيبت فصارت طيبة الرائحة. والعاطر عند المولدين هو العطر وعند اللغويين محب العطر.

تَطَيّبت تعطرت، استعملت الطِيب وهو العطر.

عاتكة التي تكثر من التعطر حتى تحمر بشرتها منه. وقد عَتَك بها الطيب يعتِك عُتوكاً: لَصِق. والعاتكة ترد في أسمائهن أكثر مما في صفاتهن. ومدلول التسمية صفاؤها وحمرتها.

تضمُّخ تلطيخ الجسد بالعطور. وضَمَّخت جسدها تُضمِّخه وتضمَّخت بالعطر.

تلغّمت بالعطر: وضعته في ملاغمها وهي ما حول الفم من الجهتين الذي يبلغه اللسان.

ملحوظة: أصناف العطور وأدواتها واستعمالاتها تراجع في كتاب التزيين والتحلية من قاموس الحياة والحضارة.

الفصل الخامس

تسميات مَنْ يهملون الزينة

سَلْتاء امرأة لا تستعمل الخضاب أي لا تزيّن يديها ونحوهما بالحناء وغيرها.

مَرْهاء التي تهمل الكحل. وفي الحديث أنه لَعَن السلتاء والمرهاء. والحديث قد يصحّ لأن الشرع الإسلامي يحثّ على النظافة والتزين والتعطر.

عثْوَلٌ الأشعث المهمل غسل شعره وحَلْقه ودَهْنه (الإفصاح)

حفّانة امرأة لا تتنظف ولا تتزين. (سدن). ومن كلامهم: «حفّانة راسها انفسخ» فعّانة من حفَّ رأسها إذا بعد عهده بالغسيل والدهن.

قَرْثَع من تكحل إحدى عينيها وتهمل الأخرى وتلبس القميص مقلوباً.

متفال امرأة لا تتعطر حتى تظهر منها رائحة كريهة. وأصل التَفْل البصاق والزَبَد، والثُفل بالثاء ما يترسب من شوائب وأكدار في قعر الأوعية.

دَفْراء كريهة الرائحة وهو أدفر. والذَفَر بالذال رائحة الإبط المنتن ويحوله العامة إلى الزاي ويسمونها زفرا بالإمالة وهو زَفِر.

بخراء كريهة رائحة الفم وغيره. وهو أبخر.

رَعْبَل ورَعْبلة امرأة تلبس الخلقان ولا ذوق لها في اختيار الملابس. ويقول العوام: مرعبلة.

جَنْفا المرأة العسراء والتي تلبس الثوب بالعكس (سدن) من الجنف وهو الميل والاعوجاج.

المحتويات

الأعمال الكاملة للمؤلف:

- خلاصات في السياسة والفكر السياسي في الاسلام (١)
- الاغتيال السياسي في الاسلام (٢)
- من تاريخ التعذيب في الاسلام (٣)
- كتاب التاو (٤)
- شخصيات غير قلقة في الاسلام (٥)
- فصول عن المرأة (٦)
- المرئي واللامرئي في الادب والسياسة (٧)
- المعجم العربي الجديد (٨)
- ديوان الهجاء (٩)

هذا الكتاب دراسة لحياة المرأة العربية في الجاهلية ثم في الإسلام روعيت فيها المقارنة في أوضاع المرأة وما طرأ عليها من تطورات ما بين العصرين الجاهلي والإسلامي وعلى امتداد العصر الإسلامي. وتضمنت إلى ذلك مقارنات مع الموقف من المرأة في الحضارات الأخرى ومنها حضارة الغربيين القديمة والحديثة. ولاستكمال المقارنة أضيف إلى الفصول فصل عن المرأة في الصين لتقديم غرار لتحرر المرأة تحقق على يد الشيوعيين الصينيين بتجربتهم المتميزة في البناء الشيوعي.

وأُلحق بالكتاب قاموس للمرأة مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر وهو مشروع المؤلف لتطوير المعجمية العربية للمساهمة في حل مشكلات التعبير اللغوي القائمة الآن.

تميزت الدراسة بالصراحة والموضوعية على النهج المعتاد للمؤلف الذي يكتب لارضاء الحقيقة وحدها.



ISBN:2-84305-637-X
9 782843 056376